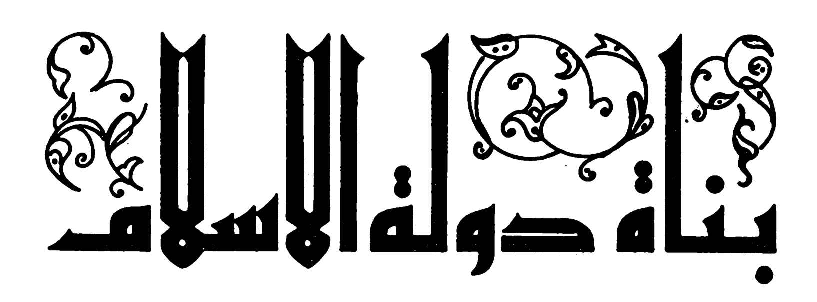
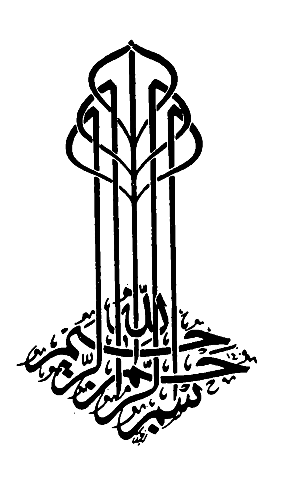


٦١ ـ ٧٠

محمود شاكر

المكتب الإسلامي


بسم الله الرحمن الرحيم



٦١ ـ ٧٠

الطبعة الأولى
١٤١٦هـ - ١٩٩٥م



بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - برقياً : اسلاميا - تلكس : ٤٠٥٠١ - هاتف : ٤٥٠٦٣٨
دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧
عمان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٥٦٦٠٥ - فاكس : ٧٤٨٥٧٤

بُنَاة دَوْلَةِ الإسْلام

٦١

أَنَسُ بنُ مَالِكٍ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

مقدّمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله، محمد بن عبد الله، خاتم النبيين، وإمام المرسلين، وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين **أما بعد**:

فإن البناء ليس بالسيف وحده، كما أنه ليس بالعلم وحده، لكن في جوانب الحياة كلها. فالسيف، والقلم، والكتاب، والمنجل، والمبضع، وكل عملٍ، بل والدعاء أحياناً، جميع ذلك مجال للبناء وإقامة الصرح، فكل مُيسّر لما خُلق له.

رب رجلٍ لا يجيد إلا خوض غمار الحروب والضرب بالسيف فهو ينتقل من ميدانٍ إلى آخر، وما ينتهي من معركةٍ إلا ويدخل ثانيةً حتى برز واشتهر بالقتال، وكان له دور في البناء، وربّ آخر لا يمكنه إشهار السيف، ولا النزول إلى الساحة لما به من ضعفٍ، وما في جسمه من هزالٍ غير أنه ما أن ينتهي من تدوين كتابٍ يخطّه لمصلحة الأمة إلا ويبدأ بتسجيل غيره، وقد يكون رجل ثالث لا يجيد ما يُحسنه الأول، ولا يصلح لما

يعمله الثاني، غير أنه مغرم بالإنتاج يزرع الحقل، أو يجني الثمر، أو يعمل بالمصنع فيقدّم للأمة الغذاء، ويعطي المجتمع ما يلبسون. وقد يهتمّ آخرون بصحة الرعية، فينصرفون للعناية الطبية، ويجدون السعادة النفسية في عملهم. غير أن هؤلاء جميعاً مُلزمون بحمل السلاح إذا دعا داعي الجهاد، وأوجب على كل قادر النفير فيما إذا عجز المجاهدون عن دفع الخصم، أو دهم العدوّ الديار، ووصل إلى الحمى، حتى المرأة لا تُعفى من النهوض في حالة وصول الدخيل إلى الرحال والمضارب، أو إلى المنازل والمساكن.

وهناك رجال ونساء قعدة يعجزهم السنّ من شيوخ وأطفال، أو يمنعهم المرض، وما خلق الله في الجسم من علّةٍ فهؤلاء ليس لهم من دور إلا الدعاء والابتهال إلى خالقهم بطلب النصر، فلكلٍ دوره في البناء، ولكلٍ نصيبه في العطاء، وحسب عمله والصدق والإخلاص ينال الجزاء.

وقد كان لأنس بن مالك، رضي الله عنه، دور في خدمة رسول الله، ﷺ، والعمل، ثم كان له دور في التعليم، ونقل سنّة رسول الله، ﷺ، وإلى جانب ذلكم الدورين لم يترك السيف، فقد حمله إلى جانب رسول الله، ﷺ، وحمله من بعده مجاهداً محتسباً، فكان خادماً عاملاً، معلماً سيداً، مجاهداً صادقاً، وفي كل هذا يبتغي وجه الله، فكان قدوةً لمن يريد

التأسي به، ممن يأتي بعده.

فنرجو من الله أن نوفّق بإعطاء لمحةٍ عن حياة هذا الصحابي الجليل الذي في حياته درس لنا. كما نرجو أن يكون عملنا خالصاً للّه، فهو مولانا، نعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أُسْرةُ أنَسٍ

أُسرةٌ مِنْ بَني النَّجَّارِ كانَتْ تَعيشُ في المَدِينَةِ بِصُورَةٍ رَتيبةٍ هَادِئَةٍ قَبْلَ قُدُوم رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَكَانَ كِلاَ الزَّوْجَيْنِ مِنْ بَني النَّجَّارِ[١]. فَالرَّجُلُ هُوَ مَالِكُ بنُ النَّضَرِ بنِ ضَمْضَم بنِ زَيْدِ بنِ حَرَامِ بنِ جُنْدُبِ بنِ عَامِرِ بنِ غَنَم بنِ عَدِيٍّ بنِ مالكِ بنِ النَّجَّارِ. والمَرْأَةُ هي مُلَيْكَةُ بنتُ حَرَامِ بنِ مِلْحَانِ، وَهَذَا لَقَبٌ لَهُ فَهُوَ مَالِكُ بنُ خَالِدِ بنِ زَيْدِ بنِ حَرَامِ بنِ جُنْدُبِ بنِ عَامِرِ بنِ غَنَمِ بنِ عَدِيٍّ بنِ مَالِكِ بنِ النَّجَّارِ. فالزَّوْجَانِ أَبْنَاءُ عَمٍّ.

---

(١) النجار: هو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، وعمرو هو الذي شعر بتصدّع سدّ مأرب، وتوقّع انهياره، فخرج من سبأ، واتجه نحو الشمال، ومعه الأوس والخزرج، ونزلوا في المدينة.

وبنو النجار أقرباء رسول الله، ﷺ، ويدعوهم، عليه الصلاة والسلام، أخواله، لأن جده هاشم بن عبد مناف تزوج سلمى بن عمرو النجارية.

وَكَانَ لَهُمْ مِنَ الأَوْلَادِ البَرَاءُ بنُ مَالِكٍ، وَأَنَسُ بنُ مَالِكٍ.

كَانَ الرَّجُلُ شَدِيدَ العَصَبِيَّةِ لِقَوْمِهِ وَعَادَاتِهِمْ، شَدِيدَ الغِيرَةِ عَلَى أَهْلِهِ، وَكَانَتْ المَرْأَةُ مُتَفَتِّحَةَ الذِّهْنِ ذَاتَ رَأْيٍ وَفِكْرٍ.

بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، بِمَكَّةَ، وَبَدَأَتْ أَنْبَاءُ الإِسْلَامِ تَصِلُ إِلَى المَدِينَةِ، وَأَسْلَمَ أُنَاسٌ مِنْ أَبْنَائِهَا، وَكَانَتْ مُلَيْكَةُ مِمّنْ أَسْلَمَ، إِذْ أَرْشَدَهَا فِكْرُهَا إِلَى الحَقِّ، وَهَدَاهَا اللَّهُ، فَآمَنَتْ.

دَعَتْ مُلَيْكَةُ زَوْجَهَا إِلَى الإِسْلَامِ حُبّاً لَهُ، وَرَغْبَةً بِالخَيْرِ لَهُ، وَلَكِنْ عَزَّ عَلَيْهِ مُفَارَقَةَ قَوْمِهِ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ، فَالعَصَبِيَّةُ تُعْمِي وَتُصِمُّ، وَصَعُبَ عَلَيْهِ أَنْ يَرَى زَوْجَهُ مُؤْمِنَةً بَيْنَ قَوْمِهِ فَخَرَجَ مُغَاضِباً، وَاتَّجَهَ نَحْوَ الشَّامِ حَيْثُ هَلَكَ هُنَاكَ.

كَانَ الإِيمَانُ يَغْمُرُ قَلْبَ تِلْكَ الزَّوْجَةِ لِذَا لَمْ تُبَالِ بِمُغَاضَبَةِ رَجُلِهَا وَرَحِيلِهِ مَا دَامَ قَدِ اسْتَحَبَّ الكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ، وَالْتَفَتَتْ إِلى ابْنَيْهَا تَغْرِسُ فِيهِمَا حُبَّ الإِسْلَامِ، وَتَعْمَلُ عَلَى أَنْ تُنَشِّئَهُمَا النَّشْأَةَ الصَّالِحَةَ.

جَاءَ أَحَدُ رِجَالِ بَنِي النَّجَّارِ المَعْرُوفِينَ يَخْطُبُونَ مُلَيْكَةَ، وَهُوَ أَبُو طَلْحَةَ[1]، لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُسْلِماً، وَإِنَّمَا كَانَ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ،

(١) أبو طلحة: هو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن =

فَلَمْ تُبَالِ بِالأَمْرِ كَثِيراً، إِذْ كَانَ الإِيْمَانُ يَمْلأُ قَلْبَهَا كُلَّهُ، وَيُسَيْطِرُ عَلَى تَفْكِيرِهَا، فَأَجَابَتْهُ جَوَابَ مَنْ يَسْتَعْلِي بِدِينِهِ، وَيَتَرَفَّعُ عَلَى غَيْرِهِ بِإِيمَانِهِ، فَقَالَتْ لَهُ: وَاللَّهِ مَا مِثْلُكَ يَا أَبَا طَلْحَةَ يُرَدُّ[1]، وَلَكِنْ أَلاَ تَسْتَحِي أَنْ تَعْبُدَ شَجَرَةً؟. فإِنْ أَسْلَمْتَ فَلَكَ مَا أَحْبَبْتَ، وَلاَ أُرِيدُ مِنْكَ صَدَاقاً إِنْ آمَنْتَ، إِذْ يَكْفِينِي مِنْكَ الإِسْلاَمُ، فَهُوَ خَيْرُ مَا يُهْدَى إِلَيَّ، فَإِيمَانُ مَنْ أَعِيشُ مَعَهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيْهَا. فَأَسْلَمَ.

وَلْنَنْظُرْ إِلَى حَدِيثِ أَنَس، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ زَوَاجِ أُمِّهِ مِنْ أَبِي طَلْحَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. رَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَنَس، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ خَطَبَ أُمَّ سُلَيْمٍ[2]، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا،

= زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار، أسلم قبل الهجرة بعد بيعة العقبة الأولى، وشهد العقبة الثانية، وعدّه بعض المؤرخين من النقباء، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله، ﷺ، وثبت أوقات الشدة، كان شجاعاً جواداً كريماً، آخى رسول الله، ﷺ، بين المسلمين في داره، وآخى بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح، وكلفه عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، عندما طعن بحفظ الأمن، وتوفي في خلافة عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وصلى عليه الخليفة عثمان.

(١) لا يردّ مثلك بمقاييس الدنيا المعروفة في المجتمع يومذاك.

(٢) أُمّ سُليم: اشتهرت بكنيتها حتى اختلف في اسمها فقالوا: سهلة، ورميلة، ومليكة، ورميثة، وأنيثة. كما اختلفوا بلقبها فقالوا: =

فَقَالَتْ: أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ إِلَهكَ الَّذِي تَعْبُدُ نَبَتَ مِنَ الأَرْضِ؟.

قَالَ: بَلَى.

قَالَتْ: أَفَلا تَسْتَحِي أَنْ تَعْبُدَ شَجَرَةً؟.

إِنْ أَسْلَمْتَ فَإِنِّي لاَ أُرِيدُ مِنْكَ صَدَاقاً غَيْرَهُ.

قَالَ: حَتَّى أَنْظُرَ فِي أَمْرِي.

فَذَهَبَ، ثُم جَاءَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمّداً رَسُولُ اللَّهِ.

قَالَتْ: يَا أَنَسُ زَوِّجْ أَبَا طَلْحَةَ. فَزَوَّجَهَا.

وَفِي سُنَنِ النِّسَائِي عَنْ أَنَس، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَطَبَ أَبُو طَلْحَةَ أُمَّ سُلَيْم، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا مِثْلُكَ يَا أَبَا طَلْحَةَ يُرَدُّ، وَلَكِنَّكَ رَجُلٌ كَافِرٌ، وَأَنَا امْرَأَةٌ مُسْلِمَةٌ، وَلاَ يَحِلُّ لِي أَنْ أَتَزَوَّجَكَ، فَإِنْ تُسْلِمْ فَذَاكَ مَهْرِي، وَمَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَكَانَ ذَلِكَ مَهْرُهَا.

لَمْ يُشْغِلْهَا زَوَاجُهَا عَنْ تَرْبِيَةِ أَوْلاَدِهَا، وَلَمْ يُلْهِهَا إِسْعَادُهَا لِزَوْجِهَا عَنِ التَّفْكِيرِ فِي نَشْأَةِ فَتَيَاهَا. حَيْثُ كَانَتْ تَبْحَثُ دَائِماً

= الرميصاء، وقالوا: الغميصاء.

عَنِ الوَسِيلَةِ لِيَكُونَ بَنِيهَا فِي خِدْمَةِ الإِسْلَامِ، وَفِي بِنَاءِ دَعَائِمِهِ، فِي الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَالجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لإِعْلَاءِ رَايَتِهِ. وَلَمْ تَطُلِ الأَيَّامُ حَتَّى انْتَشَرَ الإِسْلَامُ فِي المَدِينَةِ، فَلَمْ يَبْقَ بَيْتٌ إِلَّا وَفِيهِ ذِكْرٌ لِلإِسْلَامِ، ثُمَّ هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

رَأَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ أَنْ تَضَعَ وَلَدَهَا أَنَساً فِي خِدْمَةِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، لِيَأْخُذَ مِنْهَجاً، وَيَتَّخِذَ قُدْوَةً، وَيَنَالَ فِقْهاً، وَلِيَحْصَلَ عَلَى سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ، وَهَذَا غَايَةُ مَا تَتَمَنَّاهُ لِوَلَدِهَا فِلْذَةَ كَبِدِهَا، وَقَدْ وَقَعَ اخْتِيَارُهَا عَلَى أَنَس، لِأَنَّهُ أَصْغَرُ مِنَ البَرَاءِ فَلَا يَجِدُ مَنْ يُكَلِّفُهُ فِي خِدْمَةٍ حَرَجاً كَمَنْ يُكَلِّفُ كَبِيراً. وَنَشَأَ أَنَسٌ عَلَى الإِسْلَامِ نَتِيجَةَ تَرْبِيَةِ أُمِّهِ، وَحِرْصِهَا عَلَى ذَلِكَ. وَلَمَّا بَلَغَ أَهْلَ المَدِينَةِ خَبَرُ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، مِنْ مَكَّةَ وَاتِّجَاهِهِ إِلَى المَدِينَةِ كَانَ أَنَسٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَخْرُجُ مَعَ صِبْيَةٍ مِثْلِهِ إِلَى ظَاهِرِ المَدِينَةِ يَتَرَقَّبُونَ وُصُولَ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِيَنَالُوا شَرَفَ رُؤْيَةِ المُهَاجِرِ الْكَرِيمِ، وَتَوَالَى خُرُوجُهُمْ حَتَّى تَمَّ لَهُمْ مَا أَرَادُوا، وَرَأَوْا رَسُولَهُمُ الْكَرِيمَ فَشَعَرُوا بِحَظٍّ عَظِيمٍ حَصَلُوا عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ الرُّؤْيَةِ.

تَرْبِيَةُ رَسُولِ اللَّهِ:

وَشَعَرَ أَنَسٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِسَعَادَةٍ كَبِيرَةٍ عِنْدَمَا قَدَّمَتْهُ أُمُّهُ، أُمُّ سُلَيْمٍ، وَزَوْجُهَا أَبُو طَلْحَةَ، وَعَمُّهُ أَنَسُ بنُ النَّضْرِ لِيَكُونَ

خَادِماً لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عَاشَ أَنَسٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِجَانِبِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، مُدَّةَ إِقَامَتِهِ فِي المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، وَانْتَقَلَ مِنْ دَارِ الدُّنْيَا إِلَى الدَّارِ الآخِرَةِ، وَهُوَ مَا يَزِيدُ عَلَى عَشْرِ سَنَوَاتٍ، تَلَقَّى خِلاَلَهَا عِلْمَاً غَزِيراً، وَتَرْبِيَةً قَوِيمَةً لَمْ يَكُنْ لِيَحْصَلَ عَلَيْهَا فِي أَيِّ مَدْرَسَةٍ أَوْ مِنْ أَيِّ مَخْلُوقٍ فِي الدُّنْيَا. رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، ٢٢٨٦ حَدِيثاً، اتَّفَقَ الشَّيْخَانِ عَلَى ١٨٠ حَدِيثاً، وَانْفَرَدَ البُخَارِيُّ بِثَمَانِينَ حَدِيثَاً، وَمُسْلِمٌ بِتِسْعِينَ حَدِيثاً.

وَقَدْ تَلَقَّى التَّرْبِيَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، فَيَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، عَشْرَ سِنِينَ، وَاللَّهِ مَا قَالَ لِي «أُفٍّ» قَطُّ، وَلاَ قَالَ لِي لِشَيْءٍ لِمَ فَعَلْتَ كَذَا، وَهَلاَّ فَعَلْتَ كَذَا.

وَكَانَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، يُنَادِيهِ «يَا بُنَيَّ» كَنَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ التَّكْرِيمِ، وَإِضْفَاءِ نَوْعٍ مِنَ الحَنَانِ عَلَيْهِ، لِيَشْعُرَ بِالعَاطِفَةِ، وَيُحِسَّ بِشَيْءٍ مِنَ الأُبُوَّةِ، وَيُبَادِلَهَا بِمِثْلِهَا، وَيُعَامِلَ النَّاسَ بِهَذَا النَّوْعِ مِنَ الوُدِّ، وَكَذَا النَّاسَ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ.

وَيَنْهَى رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، أَهْلَهُ مِنْ أَنْ يَلُومُوا أَنَساً أَوْ يُعَاتِبُوهُ إِنْ قَصَّرَ فِي أَمْرٍ، أَوْ أَهْمَلَهُ، فَلَمْ يَفْعَلْ مَا كُلِّفَ بِهِ. يَقُولُ أَنَسٌ،

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خَدَمْتُ النَّبِيَّ، ﷺ، عَشْرَ سِنِينَ. فَمَا أَمَرَنِي بِأَمْرٍ فتَوَانَيْتُ عَنْهُ أَوْ ضَيَّعْتُهُ، فَلَامَنِي، وَإِنْ لَامَنِي أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ إِلَّا قَالَ: «دَعُوهُ فَلَوْ قُدِّرَ ـ أَوْ قَالَ: قُضِيَ ـ أَنْ يَكُونَ كَانَ».

كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، يُمَازِحُ أَنَساً أَحْيَاناً، فَيَقُولُ لَهُ مَثَلاً يَا ذَا الأُذُنَيْنِ.

أَنَسٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ
مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

لَمْ يَكُنْ أَنَسُ بنُ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، لِيَخْدُمَهُ فَقَطْ، كَمَا يُفْهَمُ مِنْ عِبَارَةِ «الخَادِم»، وَإِنَّمَا يَكُونُ مَعَهُ يَتَرَبَّى عَلَى يَدَيْهِ، وَيَتَعَلَّمُ مِنْهُ العِلْمَ وَالفِقْهَ، وَلِيُمَارِسَ تَطْبِيقَ مَبَادِىءِ وَتَعَالِيمِ الإِسْلَامِ عَمَلِيّاً، لِذَا كَانَ بِجَانِبِهِ أَيْضاً فِي المَعَارِكِ يُبَاشِرُ القِتَالَ.

فُرِضَ الجِهَادُ بَعْدَ أَنْ أُقِيمَتْ دَوْلَةُ الإِسْلَامِ فِي المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ، وَبَدَأَتْ كَتَائِبُ الدَّعْوَةِ تَنْطَلِقُ إِلَى كُلِّ جِهَةٍ تَعْمَلُ عَلَى نَشْرِ الإِسْلَامِ وَقِتَالِ المُشْرِكِينَ، وَالَّذِينَ يَقِفُونَ فِي وَجْهِ الدَّعْوَةِ. وَكَانَ أَنَسُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي صُفُوفِ هَذِهِ الكَتَائِبِ، وَإِذَا كَانَ صَغِيراً أَيَّامَ بَدْرٍ، وَأُحُدٍ إِلَّا أَنَّهُ حَضَرَهُمَا إِذْ كَانَ فِي خِدْمَةِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَبَقِيَ أَثْنَاءَ القِتَالِ فِي رِحَالِ المُسْلِمِينَ، وَلَهُ أَحَادِيثَ فِيمَا شَاهَدَ فِي هَاتَيْنِ المَعْرَكَتَيْنِ. غَيْرَ أَنَّ المَشَاهِدَ

الأُخْرَى قَدْ بَاشَرَ فِيهَا القِتَالَ، حَيْثُ حَضَرَ صُلْحَ الحُدَيْبِيَةِ، وَبَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَشَهِدَ فَتْحَ خَيْبَرَ، وَدُخُولَ مَكَّةَ، وَيَوْمَ حُنَيْنٍ. وَحَضَرَ مَعْرَكَةَ مُؤْتَةَ رَغْمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، لَمْ يَكُنْ فِيهَا. وَكَذَا كَانَ فِي تَبُوكَ. وَكَانَ يَصْمُدُ أَثْنَاءَ القِتَالِ مَهْمَا اشْتَدَّ، وَيَقِفُ بِجَانِبِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنَ الأَبْطَالِ، وَلَمْ يُعْرَفْ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ مِنْ قَادَةِ المَيْدَانِ، وَرِجَالِ السَّاحَةِ البَارِزِينَ.

إِنْ لَمْ يَبْرُزْ أَنَسُ بنُ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي سَاحَةِ الوَغَى مَعَ حُضُورِهَا، غَيْرَ أَنَّهُ بَرَزَ فِي مَيْدَانٍ آخَرَ، وَهُوَ حِفْظُ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَفِي هَذَا بِنَاءٌ عَظِيمٌ، وَخَيْرٌ كَبِيرٌ، فَالسُّنَّةُ المَصْدَرُ الثَّانِي لِلتَّشْرِيعِ فَهِيَ مُوَضِّحَةٌ لِلأَحْكَامِ، مُبَيِّنَةٌ لِلْمَبَادِىءِ، مُفَسِّرَةٌ لِلْتَعَالِيمِ، وَهِيَ إِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ طَرِيقٌ لِلْحَيَاةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ، فَرَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، أُسْوَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ فِي أُسْلُوبِ حَيَاتِهِ، وَمِنْهَجِ عَمَلِهِ.

وَلَمْ يَرْوِ أَنَسُ بنُ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، فَقَطُ، بَلْ رَوَى عَنِ الصَّحَابَةِ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَنْهُمْ، كَثِيراً مِنَ الأَحَادِيثِ الَّتِي رَوَوْهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، حَيْثُ سَمِعُوهَا، وَلَمْ يُقَدَّرْ لِأَنَسٍ أَنْ يَسْمَعَهَا. وَمِمَّنْ رَوَى عَنْهُمْ: أَبُو بَكْرٍ،

وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بن عَوْفٍ، وَأَبُو ذَرٍّ، وَثَابِتُ بنُ قَيْسٍ، وَأَبُو طَلْحَةَ زَيْدُ بنُ سَهْلٍ، وَأُبَيُّ بنُ كَعْبٍ، وَمُعَاذُ بنُ جَبَلٍ، وَعُبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ رَوَاحَةَ، وَأُسَيْدُ بنُ الحُضَيْرِ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ صَخْرٍ الدَّوْسِيُّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ، وَمَالِكُ بنُ صَعْصَعَةَ، وَفَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ بنتُ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَأُمُّهُ أُمُّ سُلَيْمٍ، وَخَالَتُهُ أُمُّ حَرَامٍ بِنْتُ مِلْحَانَ زَوْجُ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ، وَأُمُّ الفَضْلِ لُبَابَةُ بِنْتُ الحَارِثِ زَوْجُ العَبَّاسِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ.

وَكَانَ أَنَسُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَتَحَدَّثُ عَمَّا يُشَاهِدُ فِي الغَزَوَاتِ وَأَيَّامِ القِتَالِ فَيُسْتَفَادُ مِنْ حَدِيثِهِ فِي التَّارِيخِ ومِمَّا جَرَى فِي المَعَارِكِ، وَيُعَدُّ ذَلِكَ سَنَداً رئِيسِيّاً لِصِحَّةِ مَا يُرْوَى، وَصِدْقِ مَا يَجْرِي، فَهُوَ صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ، وَثِقَةٌ، وَكُلُّ صَحَابِيٍّ ثِقَةٌ.

يُعَدُّ أَنَسُ بنُ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الصَّحَابِيَّ الثَّالِثَ مِنْ حَيْثُ رِوَايَةِ الحَدِيثِ الشَّرِيفِ بَعْدَ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَعَبْدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وَعِنْدَمَا اسْتَقَرَّ فِي البَصْرَةِ بَعْدَ أَنِ انْتَهَى مِنَ الجِهَادِ وَخَوْضِ المَعَارِكِ أَخَذَ يُعَلِّمُ النَّاسَ سِنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَتَعَهَّدَ عَدَداً مِنَ الرِّجَالِ أَصْبَحُوا مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ، مِثْلِ: الحَسَنِ البَصْرِيِّ، وَمُحَمَّدِ بنِ سِيرِينَ، وَسَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ، وَقَدْ رَوَوْا الحَدِيثَ عَنْهُ، كَمَا رَوَى عَنْهُ الزُّهْرِيُّ، وَعُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزِيزِ، وَمَكْحُولٌ.

أَنَسٌ رَضِيَ اللهُ عَنهُ مَعَ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ

أَرْسَلَ الصِّدِّيقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَساً، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِكِتَابٍ إِلَى أَهْلِ اليَمَنِ يَسْتَنْفِرُهُمْ لِلْجِهَادِ، والاِنْضِمَامِ إِلَى الجُيُوشِ الإِسْلَامِيَّةِ المُنْطَلِقَةِ إِلَى الشَّامِ.

وَبَعَثَ الصِّدِّيقُ أَنَساً سَاعِياً عَلَى البَحْرَيْنِ بِرَأْيِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَيْثُ قَالَ: ابْعَثْهُ فَإِنَّهُ لَبِيبٌ كَاتِبٌ. وَلَمَّا قُبِضَ الصِّدِّيقُ قَدِمَ أَنَسٌ عَلَى عُمَرَ، فَقَالَ: هَاتِ مَا جِئْتَ بِهِ، قَالَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ البَيْعَةَ أَوَّلاً، فَبَسَطَ يَدَهُ.

وَلَمَّا تَوَلَّى عَبْدُ اللَّهِ بنُ قَيْسٍ (أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، البَصْرَةَ فِي عَهْدِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ كَانَ بِجَانِبِهِ، وَقَدْ بَعَثَهُ أَبُو مُوسَى إِلَى الخَلِيفَةِ لِيُخْبِرَهُ عَنْ أَحْوَالِ النَّاسِ بِنَاءً عَلَى طَلَبِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ.

وَشَهِدَ أَنَسٌ فَتْحَ (تُسْتَرَ) مَعَ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ الَّذِي ذَهَبَ

مَدَداً إِلَى النُّعْمَانِ بنِ مُقَرِّنٍ الَّذِي انطَلَقَ مِنَ الكُوفَةِ، وَسُهَيْلِ بنِ عَدِيٍّ الَّذِي انْطَلَقَ مِنَ البَصْرَةِ. وَكَانَ أَبُو سَبْرَةَ بنُ أَبِي رُهْمٍ ابنُ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، قَائِدَ الحَرْبِ. وَفُتِحَتْ تُسْتَرُ، وَأُسِرَ صَاحِبُهَا الهُرْمُزَانُ الَّذِي كَانَ يَنْقُضُ العَهْدَ، بَيْنَمَا كَانَ يُقِيمُ سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الكُوفَةِ، وَهُوَ الأَمِيرُ. وَبُعِثَ الهُرْمُزَانُ وَالغَنَائِمُ مَعَ وَفْدٍ إِلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، وَعَلَى الوَفْدِ أَنَسُ بنُ مَالِكٍ، وَمَعَهُ الأَحْنَفُ بنُ قَيْسٍ. وَتَوَلَّى أَنَسُ أَمْرَ فَارِسَ، وَكَانَتْ تَتْبَعُ البَصْرَةَ، وَاتَّخَذَ مُحَمَّدَ بنَ سِيرِينَ كَاتِباً لَهُ.

وَجَدَ أَنَسٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ كَثِيرِينَ قَدْ دَخَلُوا بِالإِسْلَامِ، وَهُمْ بِحَاجَةٍ إِلَى عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ بِالدِّينِ الجَدِيدِ عَلَيْهِمْ، كَمَا عَلَيْهِ تَعْرِيفُهُمْ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، لِتِبْيَانِ المُنْهَجِ الصَّحِيحِ لِلْحَيَاةِ، لِذَا فَقَدِ اسْتَقَرَّ بِالبَصْرَةِ، وَأَخَذَ يَقُومُ بِهَذِهِ المُهِمَّةِ، وَلَمْ يَكُنِ الخُلَفَاءُ أَوِ الأُمَرَاءُ لِيُشِيرُوا عَلَيْهِ غَيْرَ الَّذِي يَخْتَارُ تَقْدِيراً لَهُ، وَتَكْرِيماً لِرَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، الَّذِيْ لَمْ يَقُلْ لَهُ أَبَداً، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا أَوْ لَوْ فَعَلْتَ كَذَا.

أَقَامَ فِي البَصْرَةِ، وَلَمْ يَكُنْ يَهْتَمُّ بِغَيْرِ تَعْلِيمِ المُسْلِمِينَ سُنَّةَ رَسُولِهِمُ الكَرِيمِ. وَإِنْ كَانَ أَحْيَاناً يَقُومُ بِمَا عَلَيْهِ مِنْ نُصْحٍ لِلْمُسْلِمِينَ جَمِيعاً مِنْ رُعَاةٍ وَرَعِيَّةٍ، وَقَدْ يُصْلِحُ بَيْنَ المُسْلِمِينَ إِنْ

حَدَثَتْ جَفْوَةٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ، مِثْلُ الجَفْوَةِ التِي حَدَثَتْ بَيْنَ الأَمِيرِ زِيَادِ بنِ أَبِيْهِ وَالِي المَشْرِقِ أَيَّامَ الخَلِيفَةِ الرَّاشِدِ عَليٍّ بنِ أَبِي طَالِبٍ وَالخَليفَةِ مُعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَبَيْنَ أَخِيهِ لِأُمِّهِ أَبِي بَكْرَةَ، فَأَرْسَلَ الأَمِيرُ زِيَادُ إِلَى أَنَس يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَعْمَلَ عَلَى الصُّلْحِ بَيْنَهُمَا، وَإِنْ لَمْ يُوَفَّقْ إِذْ عَاجَلَتِ المَنِيَّةُ أَبَا بَكْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَرَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ عَليٍّ بنِ زَيْدٍ قَالَ: بَلَغَ مُصْعَبَ بنَ الزُّبَيْرِ عَنْ عَرِيفِ الأَنْصَارِ شَيءٌ فَهَمَّ بِهِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَنَسُ بنُ مَالِكٍ، فَقَالَ لَهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، يَقُولُ: اسْتَوْصُوا بِالأَنْصَارِ خَيْرَاً ـ أَوْ قَالَ مَعْرُوفَاً ـ اقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ» فَأَلْقَى مُصْعَبٌ نَفْسَهُ عَنْ مَجْلِسِهِ، وَأَلْصَقَ خَدَّهُ بِالبِسَاطِ، وَقَالَ: أَمْرُ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، عَلَى الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ. وَأَخْلَى سَبِيلَ عَرِيفِ الأَنْصَارِ.

أنس مع خلافة عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما

مَاتَ يَزِيدُ بنُ مُعَاوِيَةَ، وَجَيْشُهُ يُحَاصِرُ عَبْدَ اللَّهِ بنَ الزُّبَيْرِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي مَكَّةَ بِقِيَادَةِ الحُصَيْنِ بنِ نُمَيْرٍ السُّكُونِيِّ الكِنْدِيِّ، فَلَمَّا وَصَلَ خَبَرُ وَفَاةِ يَزِيدٍ إِلَى الحُصَيْنِ دَعَا عَبْدَ اللَّهِ بنَ الزُّبَيْرِ، وَالْتَقَى مَعَهُ بِالأَبْطُحِ، وَقَالَ لَهُ: إِنْ يَكُ هَذَا الرَّجُلُ قَدْ هَلَكَ فَأَنْتَ أَحَقُّ النَّاس بِهَذَا الأَمْرِ، هَلُمَّ فَلْنُبَايِعْكَ، ثُمَّ اخْرُجْ مَعِي إِلَى الشَّامِ، فَإِنَّ هَؤُلاَءِ الجُنْدَ الَّذِينَ مَعِي هُمْ وُجُوهُ أَهْلِ الشَّامِ، وَفُرْسَانُهُمْ، فَوَاللَّهِ لاَ يَخْتَلِفُ عَلَيْكَ اثْنَانِ، وَتُؤَمِّنُ النَّاسَ، وَتَهْدِرُ هَذِهِ الدِّمَاءَ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَ أَهْلِ الحَرَّةِ. إِلاَّ أَنَّ ابنَ الزُّبَيْرِ رَفَضَ ذَلِكَ لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَرْكَنُ إِلَى الحُصَيْنِ أَوْ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ، وَلَمْ يَكُنْ يَرْغَبُ فِي مُغَادَرَةِ مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ. فَسَارَ الحُصَيْنُ وَجَيْشُهُ إِلَى الشَّامِ.

دَعَا عَبْدُ اللَّهِ بنُ الزُّبَيْرِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، لِنَفْسِهِ بَعْدَ مَوْتِ

يَزِيدَ، وَخُرُوجِ جَيْشِ الحُصَيْنِ مِنْ مَكَّةَ فَبَايَعَتْهُ الحِجَازُ، وَالعِرَاقُ، وَالشَّامُ، وَمِصْرُ، وَاليَمَنُ، وَخُرَاسَانُ، وَبِذَا أَصْبَحَ هُوَ الخَلِيفَةَ الشَّرْعِيَّ. وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ جِهَةُ البَلْقَاءِ مِنَ الشَّامِ (مَنْطِقَةُ عَمَّانَ اليَوْم) لَمْ تُبَايعْ إِذْ تَجَمَّعَ فِيْهَا بَعْضُ الرِّجَالِ المُنَاوِئِينَ لِابْنِ الزُّبَيْرِ، مِثْلُ الحُصَيْنِ بنِ نُمَيْرٍ، وَعُبَيْدِ اللَّهِ بنِ زِيَادٍ، وَمَرْوَانَ بنِ الحَكَمِ مَعَ بَعْضِ وُجُوهِ بَنِي أُمَيَّةَ، وَقَدْ وَصَلُوا مِنَ المَدِينَةِ مَطْرُودِينَ مِنْهَا.

وَبُويِعَ مُعَاوِيَةُ بنُ يَزِيدٍ فِي دِمَشْقَ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ تَنَازَلَ عَنِ الحُكْمِ، وَجَعَلَهَا شُورَى بَيْنَ المُسْلِمِينَ، وَهَذَا مَا مَكَّنَ لِابْنِ الزُّبَيْرِ، إِذْ بَقِيَ وَحْدَهُ فِي المَيْدَانِ دُونَ مُنَازِعٍ، وَهُوَ الخَلِيفَةُ الشَّرْعِيُّ حَيْثُ بَايَعَتْهُ الأَمْصَارُ، وَأَهْلُ الحَلِّ وَالعَقْدِ فِيهَا، وَالصَّحَابَةُ، وَأَبْنَاؤُهُمْ، وَكِبَارُ التَّابِعِينَ، وَلاَ عِبْرَةَ فِي تَخَلُّفِ جُزْءٍ مِنْ أَحَدِ الأَمْصَارِ.

كَانَ مَرْوَانُ بنُ الحَكَمِ يُفَكِّرُ فِي بَيْعَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، غَيْرَ أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بنَ زِيَادٍ قَدْ أَغْرَاهُ، وَأَمَّلَهُ الحُصَيْنُ بنُ نُمَيْرٍ، وَأَقْنَعَ عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ زِيَادٍ وَالِيَ دِمَشْقَ الَّذِي أَطَاعَ ابْنَ الزُّبَيْرِ بِأَنْ يَخْرُجَ مِنْ دِمَشْقَ إِلَى أَطْرَافِهَا. وَجَاءَ بَنُو أُمَيَّةَ مِنْ تَدْمُرَ حَيْثُ كَانُوا يُقِيمُونَ، وَسَارُوا نَحْوَ «الجَابِيَةِ»، وَالْتَقُوا مَعَ حَسَّانَ بنِ مَالِك بنِ

بَحْدَل الكَلْبِيِّ، خَالِ يَزِيدَ بن مُعَاوِيَةَ، وَأَمِيرِ البَلْقَاءِ. وَاتَّفَقَ المُجْتَمِعُونَ عَلَى مُبَايَعَةِ مَرْوَانَ بنِ الحَكَمِ، فَخَالِدِ بنُ يَزِيدَ، فَعَمرِو بنِ سَعِيدِ بنِ العَاصِ. وَسَارَ مَرْوَانُ بنُ الحَكَمِ مِنَ الجَابِيَةِ إِلَى دِمَشْقَ، وَعَمْرُو بنُ سَعِيدِ بنِ العَاصِ عَلَى مَيْمَنَتِهِ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بنُ زِيَادٍ عَلَى مَيْسَرَتِهِ، وَدَخَلَ مَرْوَانُ دِمَشْقَ، وَقَتَلَ الضَّحَاكَ بنَ قَيْسٍ، وَتَبِعَتْ الشَّامُ إِلَى مَرْوَانَ.

وَلَكِنَّ هَذَا كُلَّهُ لاَ يُنْقِصُ منْ شَرْعِيَّةِ خِلاَفَةِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ، فَخُرُوجُ طَامِعٍ، أَوْ حَرَكَةُ مُعَارِضٍ، أَوِ انْفِصَالُ مُخَالِفٍ فِي إِقْلِيمٍ لاَ يُؤَثِّرُ عَلَى البَيْعَةِ، فَالْخَلِيفَةُ الشَّرعِيُّ إِذَنْ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ الزُّبَيْرِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَمَعَهُ أَمْصَارُ دِيَارِ الإِسْلاَمِ كُلِّهَا بِاسْتِثْنَاءِ الشَّامِ الَّتِي تَبِعَتْ مَرْوَانَ بنَ الحَكَمِ، وَمَنْ بَعْدَهُ حَتَّى قُتِلَ ابنُ الزُّبَيْرِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَبَايَعَ المُسْلِمُونَ بَعْدَهَا عَبْدَ المَلِكِ بنَ مَرْوَانَ. فَمُعَاوِيَةُ الثَّانِي، وَمَرْوَانُ بنُ الحَكَمِ، وَعَبْدُ المَلِكِ بنُ مَرْوَانَ فِي مَرْحَلَةِ حُكْمِهِ الأُولَى خَارِجُونَ عَلَى الخِلاَفَةِ، وَلَيْسُوا خُلَفَاءَ، وَإِنِ اعْتَادَ المُؤَرِّخُونَ أَنْ يُدَوِّنُوهُمْ خُلَفَاءَ كَأَفْرَادٍ مِنْ أُسَرٍ حَكَمَتْ، وَفِي مُحَاوَلَةٍ قَدْ تَكُونُ غَيْرَ مَقْصُودَةٍ لإِبْعَادِ الخَلِيفَةِ الشَّرْعِيِّ، وَإِيجَادِ تَشْوِيشٍ فِي التَّارِيخِ الإِسْلاَمِيِّ.

وَالَّذي يُهِمُّنَا البَصْرَةَ حَيْثُ يَسْتَقِرُّ أَنَسُ بنُ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. كَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ زِيَادٍ أَميراً عَلَى البَصْرَةِ عِنْدَمَا مَاتَ يَزِيدُ، وَدَعَا لِنَفْسِهِ ابنُ الزُّبَيْرِ، فَبَايَعَ أَهْلُ البَصْرَةِ أَميرَهُمْ عُبيدَ اللَّهِ عَلَى أَنْ يَقُومَ لَهُمْ بِأَمْرِهِمْ حَتَّى يَصْطَلِحَ النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ يَرْتَضُونَهُ لأَنْفُسِهِمْ، وَدَعَا عُبَيْدُ اللَّهِ أَهْلَ الكُوفَةِ إِلَى فِعْلِ أَهْلِ البَصْرَةِ، فَأَبَوْا عَلَيْهِ، بَلْ حَصَبُوا وَالِيَهُمْ، وَاخْتَارُوا لأَنْفُسِهِمْ أَمِيراً.

حَدَثَتْ فِتْنَةٌ بِالبَصْرَةِ فَرَّ إِثْرَهَا عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ زِيَادٍ إِلَى الشَّامِ، وَاتَّفَقَ أَهْلُ البَصْرَةِ أَنْ يَجْعَلُوا عَلَيْهِمْ أَميراً يُصَلِّي بِهِمْ حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ. وَاخْتَارُوا عَبْدَ المَلِكِ بنَ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَامِرٍ، فَصَلَّى بِهِمْ شَهْراً، ثُمَّ جَعَلُوا عَبْدَ اللَّهِ بنَ الحَارِثِ بنِ نَوْفَلِ بنِ الحَارِثِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَأَقَرَّهُ ابنُ الزُّبَيْرِ، وَصَلَّى بِأَهْلِ البَصْرَةِ شَهْرَيْنِ، ثُمَّ كَتَبَ ابنُ الزُّبَيْرِ إِلَى أَنَسِ بنِ مَالِكٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَصَلَّى بِهِمْ أَرْبَعِينَ يَوْماً حَيْثُ قَدِمَ عَلَيْهِمْ عَمْرُو بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ مُعَمِّرٍ التَّيْمِيُّ أَميراً مِنْ قِبَلِ ابنِ الزُّبَيْرِ، فَمَكَثَ شَهْراً، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الخَلِيفَةُ عَبْدُ اللَّهِ بنُ الزُّبَيْرِ أَميراً عَلَيْهِمْ الحَارِثَ بنَ عَبْدِ اللَّهِ بنِ أَبِي رَبِيعَةَ. وَأَخِيراً تَوَلَّى أَمْرَ العِرَاقَيْنِ مُصْعَبُ بنُ الزُّبَيْرِ مِنْ قِبَلِ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ. وَكَانَ أَنَسُ بنُ مَالِك لاَ يَدْخُلُ عَلَى الأُمَرَاءِ إِلاَّ لِنُصْحٍ أَوْ لأَمْرٍ يَهُمُّ المُسْلِمِينَ.

أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
مَعَ الخِلَافَةِ المَرْوانِيَّةِ الأُمَوِيَّةِ

تَمَكَّنَ عَبْدُ المَلِكِ بنُ مَرْوَانَ مِنْ أَخْذِ العِرَاقِ، وَقَتْلِ مُصْعَبِ بنِ الزُّبَيْرِ، ثُمَّ أَرَادَ تَوْجِيهَ قَائِدٍ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ، فَلَمْ يَجِدْ سِوَى الحَجَّاجِ بنِ يُوسُفَ الثَّقَفِيِّ، فَسَيَّرَهُ إِلَى الحِجَازِ، وَتَمَكَّنَ مِنْ قَتْلِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ، وَدُخُولِ مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ بَعْدَ أَنْ ضَرَبَهَا بِالْمَنْجَنِيقِ، وَبُويِعَ عَبْدُ المَلِكِ بَعْدَهَا خَلِيفَةً، وَاكْتَسَبَ الصِّفَةَ الشَّرْعِيَّةَ بَعْدَ أَنْ كَانَ يُعَدُّ خَارِجاً عَلَى الخِلَافَةِ وَالنِّظَامِ. وَآلَ أَمْرُ العِرَاقِ إِلَى الحَجَّاجِ فَسَاسَ النَّاسَ بِالشِّدَّةِ حَتَّى كَرِهُوهُ، وَقَسَى حَتَّى ثَارُوا عَلَيْهِ.

كَانَ أَنَسُ بنُ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يُنْكِرُ عَلَى الحَجَّاجِ أَعْمَالاً يَقُومُ بِهَا، وَيَحْمِلُ عَلَى أُسْلُوبِ حُكْمِهِ وَقَسْوَتِهِ، وَإِنْ كَانَ يَنْصَحُ تَلَامِذَتَهُ، وَمَنْ يَشْكُو مِنْ ظُلْمِ الأَمِيرِ بِالصَّبْرِ. وَلَكِنْ لَمْ يُشَارِكْ بِالثَّوْرَةِ ضِدَّهُ رَغْمَ تَأْيِيدِهِ القَلْبِيِّ، وَرَغْمَ انْضِمَامِ كَثِيرٍ

مِنَ العُلَمَاءِ إِلَى جَانِبِ المُعَارِضِينَ لِشِدَّةِ الحَجَّاجِ. وَجَرَتْ مَعَارِكُ قُرْبَ البَصْرَةِ بَلْ قُرْبَ مَنْزِلِ أَنَسٍ بَيْنَ أَعْوَانِ الحَجَّاجِ الَّذِينَ يَسْتَنِدُونَ عَلَى شَرْعِيَّةِ السُّلْطَةِ وَبَيْنَ مُؤَيِّدِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ الأَشْعَثِ الَّذِينَ يَعْتَمِدُونَ عَلَى شَرْعِيَّةِ مُقَاوَمَةِ الظُّلْمِ، وَوَاجِبِ تَغْيِيرِ المُنْكَرِ. وَأَعْتَقِدُ أَنَّ أَنَساً، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَمْ يُشَارِكْ فِي هَذِهِ الحَرَكَةِ لِأَنَّهُ كَبِيرُ السِّنِّ، حَيْثُ كَانَ يَحْمِلُ عَلَى الحَجَّاجِ، وَيَأْتِي إِلَيْهِ الخَارِجُونَ، وَالحَجَّاجُ يُدْرِكُ هَذَا، لِذَا عَمِلَ بَعْدَ انْتِهَاءِ الحَرَكَةِ عَلَى إِذْلَالِ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كَتَبَ أَنَسٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى الخَلِيفَةِ فِي دِمَشْقَ عَبْدِ المَلِكِ بنِ مَرْوَانَ يَشْكُو لَهُ فِعْلَ عَامِلِهِ الحَجَّاجِ، وَبَعْضَ تَصَرُّفَاتِهِ. فَامْتَثَلَ عَبْدُ المَلِكِ وَكَتَبَ إِلَى الحَجَّاجِ، وَأَوْصَاهُ بِأَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالَ لَهُ: دَعْهُ فَلْيَسْكُنْ حَيْثُمَا شَاءَ مِنَ الأَرْضِ، وَلَا تَتَعَرَّضْ لَهُ. كَمَا كَتَبَ لِأَنَسٍ: إِنه لَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَيْكَ سُلْطَانٌ دُونِي.

وَيَبْدُو أَنَّ الحَجَّاجَ عَادَ فَتَعَرَّضَ لِأَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَعْدَ وَفَاةِ عَبْدِ المَلِكِ، وَهَذَا مَا جَعَلَ أَنَساً يُسَافِرُ إِلَى دِمَشْقَ لِيَشْكُوَ الحَجَّاجَ إِلَى الوَلِيدِ بنِ عَبْدِ المَلِكِ. وَلَكِنْ يَظْهَرُ أَن رِحْلَتَهُ إِلَى

دِمَشْقَ كَانَتْ أَيَّامَ مُعَاوِيَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَيْسَتْ أَيَّامَ الوَلِيدِ، وَذَلِكَ مِنْ عَمَلِ الرُّوَاةِ[١].

(١) لا يعتمد على الكتب التي أوردت بعض هذه الأخبار كالعقد الفريد إذ زاد الرواة من شدّة الحجّاج وقسوته في سبيل الطعن ببني أمية.

نِهَايَةُ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

تَقَدَّمَتْ السّنُّ بِأَنَس، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأَصْبَحَ لاَ يَسْتَطِيعُ الصَّوْمَ، فَكَانَ يُطْعِمُ ثَلاَثِينَ مِسْكِيناً. وَذَلِكَ فِي العَامِ الَّذِي تُوفِّيَ فِيْهِ.

تُوفِّيَ فِي بَيْتِهِ بِـ (الطَّفِّ) قُرْبَ البَصْرَةِ عَامَ ٩٣ هـ، فَهُوَ آخِرُ مَنْ تُوفِّي فِي البَصْرَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَرُبَّمَا كَانَ آخِر الصَّحَابَةِ وَفَاةً، إِذْ عَاشَ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ سَنَةٍ. فَقَدْ وُلِدَ فِي العَامِ العَاشِرِ قَبْلَ الهِجْرَةِ.

وَغَسَّلَهُ، وَكَفَّنَهُ تِلْمِيذُهُ مُحَمَّدُ بنُ سِيرِينَ، وَصَلَّى عَلَيْهِ قَطَنُ بنُ مُدْرِكٍ الكِلاَبِيُّ.

كَانَ يُكَنَّى بِأَبِي حَمْزَةَ، وَقِيلَ: بِأَبِي ثُمَامَةَ. وَكَانَ أَبْرَصَ، وَبِهِ وَضَحٌ شَدِيدٌ.

وَقَدْ كَثُرَ مَالُهُ، وَزَادَ عَدَدُ أَوْلاَدِهِ. وَقَدْ دَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ،

فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ». وَقَدْ تَجَاوَزَ عَدَدُ أَبْنَائِهِ وَأَحْفَادِهِ وَأَبْنَائِهِمْ فِي أَيَّامِهِ عَلَى المِائَةِ. وَمِنْ أَشْهَرِ أَوْلَادِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ، وَالنَّضْرُ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ، وَمُوسَى. وَمِنْ أَحْفَادِهِ ثُمَامَةُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ أَنَسٍ، وَحَفْصُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ أَنَسٍ.

بُنَاة دَوْلَـةِ الإسْلام

٦٢

البَرَاءُ بنُ مَالِكٍ

رَضيَ اللهُ عَنْهُ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين، وخاتم النبيين، محمد بن عبد الله، وعلى إخوانه، وآله، وأصحابه، ومن سار على دربهم إلى يوم الدين *أما بعد*:

فإن الإيمان قد رسخ في نفوس الصحابة الكرام فلم يكن لهم من أملٍ في هذه الحياة الدنيا إلا العمل للوصول إلى الجنّة بإرضاء الله، وكانوا يرون أن أسهل الطرق وأقربها هي الجهاد في سبيل الله، ونيل الشهادة مع عدم التقصير في الطرق الأخرى ودون ترك أي مجالٍ يرضى به الله سبحانه وتعالى.

ومن هذا المنطلق انطلق المسلمون نحو الجهاد، واندفعوا نحو العدوّ لا ينظرون إلى ما خلّفوه وراءهم من أهلٍ، ومتاعٍ، ورغباتٍ، وإنما كانت نظرتهم متجهةً إلى الأمام لقتال عدوّهم لتحقيق النصر، وتطبيق منهج الله في الأرض، وهي المهمة المناطة بهم في الدنيا، إرضاءً للّه، وكذلك لنيل الشهادة والوصول إلى الجنة أملاً في نعيم الله.

ومن هنا كان الصحابة، رضوان الله عنهم، جميعاً أصحاب شجاعةٍ فائقةٍ، هم، ومن سار على دربهم في مختلف العصور، وإن كانت هذه الشجاعة تختلف بين صحابي وآخر، فهناك من كانت شجاعته بالثبات في مكانه كالجبال الرواسي، لا تزيحه أعنف الأمواج البشرية المهاجمة، ولا يُحرّكه من مكانه أشدّ اندفاع الأبطال. كأبي بكرٍ، وأبي عبيدة، وعمر، و... وهناك من كانت شجاعته في الحركة والانتقال من مكانٍ إلى آخر يحصد في جموع الخصم لا يبالي بمن يقف أمامه، يُجيد المناورة، ويُحسن التخلّص، ويعرف فنون القتال كعلي بن أبي طالبٍ، والحمزة، وأبي دجانة. وهناك من كانت عنده عبقرية في قيادة الجيوش، ومداهمة الخصم، وضرب الميمنة بالميسرة، ومعرفة الحيل، والإقدام كخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعكرمة بن عمرو بن هشام. وهناك من كانت شجاعته بالاندفاع مع عزمٍ لا يُبارى، وإقدامٍ مع حكمةٍ لا تُجارى، والسرعة بالحصد في الخصم مع جرأةٍ لا تُدانى كالزبير بن العوام، والمقداد بن عمرو، والأشتر، والأشعث بن قيس...

والإيمان هو أساس هذه الشجاعة، والتصميم والقوة أغصانها فإذا فُقد الإيمان زال التصميم وضاعت القوة فالزبير والمقداد وحدهما مع الإيمان فرّ أمامهما خالد، وعكرمة

وأربعون معهما من المشركين مع وجود القوة والتصميم لديهم مع أنه قد أُشيع ورسخ في نفوس الناس أن خالداً لم تهزم له راية لا في جاهليةٍ ولا في إسلام، إشاعة من غير رأس مالٍ لها، ورسوخ في النفوس من غير معرفةٍ ودون دليل، حباً لخالد، رضي الله عنه، وتقديراً لعبقريته القتالية، وتعظيماً لانتصاراته فهو قاهر الفرس والرومان، ومحطّم الطغاة، والكذابين المتنبئين، والمرتدين.

إن الإقدام هو عنوان المسلمين، والشجاعة صفتهم لذا يصعب التمييز بين شجاعة صحابيٍ وآخر، غير أن بعض الأحداث قد أبرزت رجالاً فذُكروا بتلك الحادثة، وعُرفوا بها واشتهروا على حين بقي أمثالهم في الظلّ إلا إذا وقعت لهم أحداث مشابهة قاموا بها فكلهم رجال ميدان، وكلهم طلاب شهادةٍ، وكلهم سُعاة نصرٍ لتطبيق منهج الله، والحكم بما أنزل. وقد برز البراء بن مالك بما قام به يوم اليمامة، وبما أقدم عليه يوم فتح «تستر».

ونرجو من الله أن نُوفّق بإعطاء صورةٍ صادقةٍ عن هذا الصحابيّ، رضي الله عنه.

إسلام البراء

البَرَاءُ بنُ مَالِكٍ شقيقُ أَنَس بن مَالِكٍ الّذِي تَحَدَّثْنَا عَنْهُ، وَقَدْ وُلِدَ البَرَاءُ حَوَالَيِ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ قَبْلَ الهِجْرَةِ، فَهُوَ أَكْبَرُ مِنْ أَخِيْهِ أَنَسٍ بِسَنَتَيْنِ.

أَسْلَمَ البَرَاءُ فِي سِنٍّ مُبَكِّرَةٍ بِتَرْبِيَةِ أُمِّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، الَّتِي أَسْلَمَتْ قَبْلَ الهِجْرَةِ، وَبِذَهَابِ أَبِيهِ مَالِكِ بنِ النَّضْرِ مُغَاضِباً لإِسْلَامِ زَوْجِهِ، فَارّاً مِنْ مُجْتَمَعِهِ، بَقِيَ البَرَاءُ يَخْضَعُ لِتَرْبِيَةِ وَتَوْجِيهِ الأُمِّ فَقَطُ، فَنَشَأَ عَلَى الإِسْلَامِ.

وَصَلَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، إِلَى المَدِينَةِ مُهَاجِراً مِنْ مَكَّةَ. وَانْتَقَلَ أَنَسُ بنُ مَالِكٍ مِنْ دَارِهِ لِيَخْدِمَ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، فَكَانَ البَرَاءُ يَتَرَدَّدُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ لِيَسْتَمِعَ مِنْهُ، وَيَأْخُذَ مُنْهُ، وَيَتَعَلَّمَ، وَكَثُرَ التَّرَدُّدُ لِوُجُودِ أَنَسٍ، وَلِذَهَابِهِ مَعَ أُمِّهِ أَيْضاً لِرُؤْيَةِ أَخِيهِ. وَقَدْ كَانَ فِي هَذَا مَجَالٌ لِيَتَلَقَّى الكَثِيرَ فَغَمَرَ الإِيمَانُ قَلْبَهُ، وَانْطَلَقَ يُرِيدُ

الدَّعْوَةَ، وَنَشْرَ هَذَا الدِّينِ، وَالسَّعْيَ لِإقْبَالِ النَّاسِ لِلإِيمَانِ، وَانْدَفَعَ إِلَى سَاحَاتِ القِتَالِ، فَهِيَ مَيْدَانُ العَمَلِ، وَهِيَ مَجَالُ نَيْلِ الشَّهَادَةِ وَالوُصُولِ إِلَى الجَنَّةِ، وَهِيَ وَسِيلَةُ بِنَاءِ الدَّوْلَةِ، وَتَطْبِيقِ حُكْمِ الإِسْلَامِ.

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

كَانَ البَرَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الصَّحَابَةِ الصِّغَارِ السِّنِّ إِذْ لَمْ يَكُنْ عُمْرُهُ لِيَزِيدَ عَلَى الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ يَوْمَ وَصَلَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، مُهَاجِراً إِلَى المَدِينَةِ لِذَا لَمْ يَشْهَدْ بَدْراً لِصِغَرِ سِنِّهِ، غَيْرَ أَنَّهُ شَهِدَ أُحُداً، وَبَقِيَّةَ المَشَاهِدِ، وَبَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ غَزْوَةٍ غَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، وَلاَ عَنْ سَرِيَّةٍ بَعَثَهَا. وَكَانَ يُقَاتِلُ هَادِئاً، وَيَنْدَفِعُ نَحْوَ الأَعْدَاءِ صَامِتاً، وَيُبَارِزُ الأَبْطَالَ، وَيَصْرَعُهُمْ، وَيُجَنْدِلُ الرِّجَالَ دُوْنَ فَخْرٍ، هَمُّهُ الحُصُولُ عَلَى النَّصْرِ لِرَفْعِ رَايَةِ الإِسْلاَمِ، أَوْ نَيْلِ الشَّهَادَةِ لِيُحَقِّقَ إِخْوَانُهُ النَّصْرَ، وَيُؤَدُّونَ المُهِمَّةَ المُلْقَاةَ عَلَى عَاتِقِهِمْ، وَيَكُونَ العَمَلُ المُتَكَامِلُ. هَذَا رَغْمَ صِغَرِ سِنِّهِ، فَقَدْ انْتَقَلَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، مِنْ دَارِ الدُّنْيَا الفَانِيَةِ إِلَى الدَّارِ البَاقِيَةِ وَلَمْ يَتَجَاوَزِ البَرَاءُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الثَّالِثَةَ وَالعِشْرِينَ مِنَ العُمْرِ. وَمَعَ هَذِهِ السِّنِّ الصَّغِيرَةِ كَانَ البَرَاءُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي مُقَدِّمَةِ الأَبْطَالِ. بَلْ نَسْتَطِيعُ أَنْ نُسَمِّيَهُ مِنَ

الفِدَائِيينَ إِذْ كَانَ يُلْقِي بِنَفْسِهِ عَلَى الأَعْدَاءِ، وَيَبْدَأُ سَيْفُهُ حَصْدَاً فِي رُؤُوسِهِمْ.

مَعَ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

ارتَدَّتْ أَكْثَرُ قَبَائِلِ العَرَبِ بَعْدَ انْتِقَالِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، مِنَ الدَّارِ الدُّنْيَا الفَانِيَةِ إِلَى الدَّارِ الآخِرَةِ البَاقِيَةِ. وَبُويِعَ الصِّدِّيقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، خَلِيفَةً لِرَسُولِ اللَّهِ، فَانبَرَى إِلَى المُرْتَدِّينَ يُقَاتِلُهُمْ، فَسَيَّرَ لَهُمُ الجُيُوشَ، وَانْطَلَقَ المُسْلِمُونَ مُجَاهِدِينَ يَنْضَبُونَ تَحْتَ رَايَةِ القَادَةِ، وَانْدَفَعَ البَرَاءُ بنُ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَسَارَ تَحْتَ لِوَاءِ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الَّذِي سَارَ إِلى جِهَةِ اليَمَامَةِ يُقَاتِلُ مُسَيْلَمَةَ الكَذَّابَ، وَيُعِيدُ بَنِي حَنِيفَةَ إِلَى صَوَابِهِمْ. وَكَانَ بَنُو حَنِيفَةَ يَوْمَئِذٍ كَثِيرِينَ يَزِيدُ عَدَدُهُمْ عَلَى أَرْبَعِينَ أَلْفاً.

وَعِنْدَمَا التَقَى الطَرَفَانِ، وَدَارَتْ رَحَى الحَرْبِ، هُزِمَ المُسْلِمُونَ، وَوَصَلَ جَمَاعَةُ الكَذَّابِ إِلَى فِسْطَاطِ خَالِدٍ. ثُمَّ تَدَاعَى المُسْلِمُونَ فَقَالَ ثَابِتُ بنُ قَيْسٍ: بِئْسَمَا عَوَّدْتُمْ أَنْفُسَكُمْ يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ! اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ ـ يَعْنِي

أَهْلَ اليَمَامَةِ ـ وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ ـ يَعْنِي المُسْلِمِينَ ـ ثُمَّ جَالَدَ بِسَيْفِهِ حَتَّى قُتِلَ. وَانْدَفَعَ زَيْدُ بنُ الخَطَّابِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، وأَصَابَتْ العُرَوَاءُ البَرَاءَ بنَ مَالِكٍ، وَكَانَتْ تَأْخُذُهُ إِذَا حَضَرَ الحَرْبَ، إِذْ يَرْتَعِدُ، وَيَقَعُ عَلَى الأَرْضِ، ثُمَّ لَا يَلْبَثُ أَنْ يَنْتَفِضَ، وَيَهُبَّ كَالأَسَدِ. وَقَدْ قَامَ بَعْدَ لَحْظَةٍ مِنْ وَقُوعِهِ عَلَى الأَرْضِ، وَوَثَبَ، وَأَرْعَدَ، وَقَالَ: أَيْنَ يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ؟ أَنَا البَرَاءُ بنُ مَالِكٍ، هَلُمُّوا إِلَيَّ. وَفَاءَتْ فِئَةٌ مِنَ النَّاسِ، فَقَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَةَ حَتَّى غَلَبُوهُمْ ـ بِإِذْنِ اللَّهِ ـ. وَخَلَصَ المُسْلِمُونَ إِلَى مُحَكَّمِ اليَمَامَةِ، وَهُوَ مُحَكَّمُ بنُ الطُّفَيْلِ، الَّذِي قَاتَلَ قِتَالاً شَدِيداً، فَرَمَاهُ عَبْدُ الرّحْمَنِ بنُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ بِسَهْمٍ فَوَضَعَهُ فِي نَحْرِهِ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ زَحَفَ المُسْلِمُونَ حَتَّى أَلْجَؤُوا بَنِي حَنِيفَةَ إِلَى الحَدِيقَةِ، حَدِيقَةِ المَوْتِ، وَفِيْهَا عَدُوُّ اللَّهِ مُسَيْلَمَةُ الكَذَّابُ، فَقَالَ البَرَاءُ: يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ، أَلْقُونِي عَلَيْهِمْ فِي الحَدِيقَةِ. فَقَالَ النَّاسُ: لَا تَفْعَلْ يَا بَرَاءُ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَتَطْرَحُنِّي عَلَيْهِمْ فِيهَا. فَاحْتَمَلُوهُ عَلَى تُرْسٍ، عَلَى أَسِنَّةِ رِمَاحِهِمْ، وَأَلْقَوْهُ فِي الحَدِيقَةِ، فَاقْتَحَمَ إِلَيْهِمْ، وَشَدَّ عَلَيْهِمْ، وَقَاتَلَ حَتَّى افْتَتَحَ بَابَ الحَدِيقَةِ، وَدَخَلَ المُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ، وَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى قُتِلَ مُسَيْلَمَةُ الكَذَّابُ عَدُوُّ اللَّهِ، قَتَلَهُ وَحْشِيٌّ ـ قَاتِلُ الحَمْزَةِ بنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ ـ وَرَجُلٌ مِنَ

الأَنْصَارِ، إِذْ دَفَعَ وَحْشِيٌّ عَلَيْهِ حَرْبَتَهُ، وَضَرَبَهُ الأَنْصارِيُّ بِسَيْفِهِ.

وَجُرِحَ البَرَاءُ يَوْمَئِذٍ بِضْعَةً وَثَمَانِينَ جُرْحاً، لِذَلِكَ أَقَامَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ عَلَيْهِ شَهْراً يُدَاوِي جِرَاحَهُ.

وَاسْتُشْهِدَ أَكْثَرُ مِنْ سِتِمائَةٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَقُتِلَ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ سَبْعَةُ آلافٍ فِي فَضَاءِ عَقْرَبَاءِ، وَمِثْلُهُمْ فِي حَدِيقَةِ المَوْتِ.

وَدَخَلَ المُسْلِمُونَ بِلادَ اليَمَامَةِ كُلَّهَا.

مَعَ الفَارُوق عُمَر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

وَبَعْدَ القَضَاءِ عَلَى المُرْتَدِّينَ أَمَرَ الصِّدِّيقُ خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ بِالمَسِيرِ إِلَى الفُرْسِ، وَالدُّخُولِ عَلَيْهِم مِنْ جَنُوبِ العِرَاقِ، فَسَارَ خَالِدٌ، وَمَعَهُ البَرَاءُ، وَكَانَتْ هُنَاكَ سَاحَةُ جِهَادِهِ، فَخَاضَ المَعَارِكَ الَّتِي دَارَتْ رَحَاهَا هُنَاكَ.

وَتُوفِّيَ الصِّدِّيقُ، وَتَوَلَّى أَمْرَ المُسْلِمِينَ الفَارُوقُ، وَبَقِيَ البَرَاءُ فِي مَيْدَانِهِ، وَسَارَ المُسْلِمُونَ إِلى «تُسْتَرَ»، وَقَائِدُهُمْ أَبُو سَبْرَةَ بنُ أَبِي رُهْمٍ ابنُ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَعَلَى أَهْلِ البَصْرَةِ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ، وَعَلَى أَهْلِ الكُوفَةِ النُّعْمَانُ بنُ المُقَرِّنِ، وَكِلاَهُمَا تَحْتَ لِوَاءِ أَبِي سَبْرَةَ. وَتَمَّ حِصَارُ مَدِينَةِ «تُسْتَرَ». وَطَالَ الحِصَارَ، وَكَانَتِ المَعَارِكُ سِجَالاً. وَقَالَ المُسْلِمُونَ: أَقْسِمْ يَا بَرَاءُ عَلَى رَبِّكَ لِيَهْزِمَنَّهُمْ لَنَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ لَنَا، وَاسْتَشْهِدْنِي. فَهَزَمُوهُمْ حَتَّى أَدْخَلُوهُمْ خَنَادِقَهُمْ، ثُمَّ اقْتَحَمُوهَا عَلَيْهِمْ، وَأَرَزُوا إِلَى مَدِينَتِهِمْ، وَأَحَاطُوا بِهَا، فَبَيْنَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ،

وَقَدْ ضَاقَتْ بِهِمُ المَدِينَةُ، وَطَالَتْ حَرْبُهُمْ، خَرَجَ إِلَى النُّعْمَانِ رَجُلٌ فَاسْتَأْمَنَهُ عَلَى أَنْ يَدُلَّهُ عَلَى مَدْخَلٍ يُؤْتَوْنَ مِنْهُ. وَكَذَلِكَ رَمَى فِي نَاحِيَةِ أَبِي مُوسَى بِسَهْمٍ، فَقَالَ: قَدْ وَثِقْتُ بِكُمْ وَأَمِنْتُكُمْ وَاسْتَأْمَنْتُكُمْ عَلَى أَنْ دَلَلْتُكُمْ عَلَى مَا تَأْتُونَ مِنْهُ المَدِينَةَ، وَيَكُونُ مِنْهُ فَتْحُهَا، فَآمِنُوهُ فِي نُشَّابَةٍ، فَرَمَى إِلَيْهِمْ بِآخَرَ، وَقَالَ: انْهَدُوا مِنْ قِبَلِ مَخْرَجِ المَاءِ، فَإِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَهَا، فَاسْتَشَارَ، وَنَدَبَ إِلَيْهِ. وَكَانَ مِمَّنْ دَخَلَ المَجْرَى مَجْزَأَةُ بنُ ثَوْر فَلَمَّا خَرَجَ، وَكَانَ أَوَّلَ الدَّاخِلِينَ، شَدَخُوهُ بِصَخْرَةٍ فَقُتِلَ. ثُمَّ خَرَجَ النَّاسُ مِنَ السِّرْبِ، فَخَرَجَ البَرَاءُ، فَقَاتَلَهُمْ فِي جَوْفِ المَدِينَةِ، حَتَّى قُتِلَ، وَقَدْ قَتَلَهُ الهُرْمُزَانُ. وَأَرَزَ الهُرْمُزَانُ إِلَى القَلْعَةِ، وَأَطَافَ بِهِ الَّذِينَ دَخَلُوا مِنْ مَخْرَجِ المَاءِ، فَلَمَّا عَايَنُوهُ وَأَقْبَلُوا قِبَلَهُ قَالَ لَهُمْ: مَا شِئْتُمْ! قَدْ تَرَوْنَ ضِيقَ مَا أَنَا فِيهِ وَأَنْتُمْ، وَمَعِي فِي جُعْبَتِي مِائَةَ نُشَّابَةٍ، وَاللَّهِ مَا تَصِلُونَ إِلَيَّ مَا دَامَ مَعِي مِنْهَا نُشَّابَةٌ، وَمَا يَقَعُ لِي سَهْمٌ، وَمَا خَيْرُ إِسَارِي إِذَا أَصَبْتُ مِنْكُمْ مِائَةً بَيْنَ قَتِيلٍ أَوْ جَرِيحٍ! قَالُوا: فَتُرِيدُ مَاذَا؟ قَالَ: أَنْ أَضَعَ يَدِي فِي أَيْدِيكُمْ عَلَى حُكْمِ عُمَرَ يَصْنَعُ بِي مَا شَاءَ، قَالُوا: فَلَكَ ذَلِكَ، فَرَمَى بِقَوْسِهِ، وَأَمْكَنَهُمْ مِنْ نَفْسِهِ، فَشَدُّوهُ وِثَاقاً. وَأَوْفَدَ أَبُو سَبْرَةَ وَفْداً فِيهِمْ أَنَسُ بنُ مَالِكٍ، وَالأَحْنَفُ بنُ قَيْسٍ، وَأَرْسَلَ

الهُرْمُزَانَ مَعَهُمْ، فَقَدِمُوا مَعَ أَبِي مُوسَى البَصْرَةَ، ثُمَّ خَرَجُوا نَحْوَ المَدِينَةِ، حَتَّى إِذَا دَخَلُوا هَيَّئُوا الهُرْمُزَانَ فِي هَيْئَتِهِ، فَأَلْبَسُوهُ كِسْوَتَهُ مِنَ الدِّيبَاجِ الَّذِي فِيْهِ الذَّهَبُ، وَوَضَعُوا عَلَى رَأْسِهِ تَاجاً يُدْعَى الآذِين، مُكَلَّلاً بِاليَاقُوتِ، وَعَلَيْهِ حُلْيَتُهُ، كَيْمَا يَرَاهُ عُمَرُ وَالمُسْلِمُونَ فِي هَيْئَتِهِ، ثُمَّ خَرَجُوا بِهِ عَلَى النَّاسِ يُرِيدُون عُمَرَ فِي مَنْزِلِهِ، فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَسَأَلُوا عَنْهُ، فَقِيلَ لَهُمْ: جَلَسَ فِي المَسْجِدِ لِوَفْدٍ قَدِمُوا عَلَيْهِ مِنَ الكُوفَةِ، فَانْطَلَقُوا يَطْلُبُونَهُ فِي المَسْجِدِ، فَلَمْ يَرَوْهُ، فَلَمَّا انْصَرَفُوا مَرُّوا بِغِلْمَانٍ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ يَلْعَبُونَ، فَقَالُوا لَهُمْ: مَا تَلَدُّدُكُمْ[1]؟ تُرِيدُون أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ؟ فَإِنَّهُ نَائِمٌ فِي مَيْمَنَةِ المَسْجِدِ، مُتَوَسِّدٌ بُرْنُسَهُ ـ وَكَانَ عُمَرُ قَدْ جَلَسَ لِوَفْدِ الكُوفَةِ فِي بُرْنُسٍ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ كَلَامِهِمْ وَارْتَفَعُوا عَنْهُ، وَأَخْلَوْهُ نَزَعَ بُرْنُسَهُ ثُمَّ تَوَسَّدَهُ فَنَامَ ـ فَانْطَلَقُوا وَمَعَهُمُ النَّظَّارَةُ، حَتَّى إِذَا رَأَوْهُ جَلَسُوا دُونَهُ، وَلَيْسَ فِي المَسْجِدِ نَائِمٌ أَوْ يَقْظَانُ غَيرَهُ، وَالدُّرَّةُ فِي يَدِهِ مُعَلَّقَةٌ، فَقَالَ الهُرْمُزَانُ: أَيْنَ عُمَرُ؟ فَقَالُوا: هُوَذَا، وَجَعَلَ الوَفْدُ يُشِيرُونَ إِلَى النَّاسِ أَنِ اسْكُتُوا عَنْهُ، وَأَصْغَى الهُرْمُزَانُ إِلَى الوَفْدِ، فَقَالَ: أَيْنَ حَرَسُهُ وَحُجَّابُهُ عَنْهُ؟ قَالُوا: لَيْسَ لَهُ حَارِسٌ وَلاَ حَاجِبٌ، وَلاَ كَاتِبٌ وَلاَ دِيوَانٌ، قَالَ: فَيَنْبَغِي

(١) التّلدّد: التلفت يميناً وشمالاً.

لَهُ أَنْ يَكُونَ نَبِيّاً، فَقالُوا: بَلْ يَعْمَلُ عَمَلَ الأَنْبِيَاءِ، وَكَثُرَ النَّاسُ، فَاسْتَيْقَظَ عُمَرُ بِالجَلَبَةِ، فَاسْتَوَى جَالِساً، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الهُرْمُزَانِ، فَقَالَ: الهُرْمُزَانُ، قَالُوا: نَعَمْ، فتَأَمَّلَهُ وَتَأَمَّلَ مَا عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، وَأَسْتَعِينُ اللَّهَ! وَقَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذَلَّ بِالإِسْلاَمِ هَذَا وَأَشْيَاعَهُ، يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ تَمَسَّكُوا بِهَذَا الدِّينِ، وَاهْتَدُوا بِهَدِي نَبِيِّكُمْ، وَلاَ تُبْطِرَنَّكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَرَّارَةٌ. فَقَالَ الوَفْدُ: هَذَا مَلِكُ الأَهْوَازِ، فَكَلِّمْهُ، فَقَالَ: لاَ، حَتَّى لاَ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنْ حُلْيَتِهِ شَيْءٌ، فَرَمَى عَنْه بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَيْهِ إِلاَّ شَيْئاً يَسْتُرُهُ، وَأَلْبَسُوهُ ثَوْباً صَفِيقاً، فَقَالَ عُمَرُ: هِيهْ يَا هُرْمُزَانُ! كَيْفَ رَأَيْتَ وَبَالَ الغَدْرِ وَعَاقِبَةَ أَمْرِ اللَّهِ! فَقَالَ: يَا عُمَرُ، إِنَّا وَإِيَّاكُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ كَانَ اللَّهُ قَدْ خَلَّى بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، فَغَلَبْنَاكُمْ إِذْ لَمْ يَكُنْ مَعَنَا وَلاَ مَعَكُمْ، فَلَمَّا كَانَ مَعَكُمْ غَلَبْتُمُونَا. فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّمَا غَلَبْتُمُونَا فِي الجَاهِلِيَّةِ بِاجْتِمَاعِكُمْ وَتَفَرُّقِنَا. ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: مَا عُذْرُكَ وَمَا حُجَّتُكَ فِي انْتِقَاضِكَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ؟ فَقَالَ: أَخَافُ أَنْ تَقْتُلَنِي قَبْلَ أَنْ أُخْبِرَكَ، قَالَ: لاَ تَخَفْ ذَلِكَ. وَاسْتَسْقَى مَاءً، فَأُتِيَ بِهِ فِي قَدَحٍ غَلِيظٍ، فَقَالَ: لَو مِتُّ عَطَشاً لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَشْرَبَ فِي مِثْلِ هَذَا، فَأُتِيَ بِهِ فِي إِنَاءٍ يَرْضَاهُ، فَجَعَلَتْ يَدُهُ تَرْجُفُ، وَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ أَنْ أُقْتَلَ وَأَنَا أَشْرَبُ المَاءَ، فَقَالَ

عُمَرُ: لاَ بَأْسَ عَلَيْكَ حَتَّى تَشْرَبَهُ، فَأَكْفَأَهُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَعِيدُوا عَلَيْهِ، وَلاَ تَجْمَعُوا عَلَيْهِ القَتْلَ وَالعَطَشَ، فَقَالَ: لاَ حَاجَةَ لِي فِي المَاءِ، إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَسْتَأْمِنَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: إِنِّي قَاتِلُكَ، قَالَ: قَدْ آمَنْتَنِي! فَقَالَ: كَذَبْتَ! فَقَالَ أَنَسٌ: صَدَقَ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، قَدْ آمِنْتَهُ، قَالَ: وَيْحَكَ يَا أَنَسُ! أَنَا أُؤَمِّنُ قَاتِلَ مَجْزَأَةَ وَالْبَرَاءَ! وَاللَّهِ لَتَأْتِيَنَّ بِمَخْرَجٍ أَوْ لأُعَاقِبَنَّكَ! قَالَ: قُلْتُ لَهُ: لاَ بَأْسَ عَلَيْكَ حَتَّى تُخْبِرَنِي، وَقُلْتُ: لاَ بَأْسَ عَلَيْكَ حَتَّى تَشْرَبَهُ، وَقَالَ لَهُ مَنْ حَوْلَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَأَقْبَلَ عَلَى الهُرْمُزَانِ، وَقَالَ: خَدَعْتَنِي، وَاللَّهِ لاَ أَنْخَدِعُ إِلاَّ لِمُسْلِمٍ؛ فَأَسْلَمَ، فَفَرَضَ لَهُ عَلَى أَلْفَيْنِ، وَأَنْزَلَهُ المَدِينَةَ[1].

كَانَ فَتْحُ مَدِينَةِ «تُسْتَرَ» فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ عَشْرَةَ مِنَ الهِجْرَةِ، وَبِذَا يَكُونُ عُمْرُ البَرَاءِ بنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَوْمَ اسْتُشْهِدَ لاَ يَزِيدُ كَثِيراً عَلَى الثَّلاَثِينَ. وَقَدِ اشْتُهِرَ أَنَّهُ قَتَلَ فِي حُرُوبِهِ مِائَةَ رَجُلٍ مِنَ الشُّجْعَانِ مُبَارَزَةً.

وَذُكِرَ عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَخِيهِ البَرَاءِ وَهُوَ يَتَغَنَّى فَقَالَ: تَتَغَنَّى؟ قَالَ: أَتَخْشَى عَلَيَّ أَنْ أَمُوتَ عَلَى فِرَاشِي وَقَدْ قَتَلْتُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْساً مِنَ المُشْرِكِينَ مُبَارَزَةً، سِوَى مَا شَارَكْتُ فِيهِ

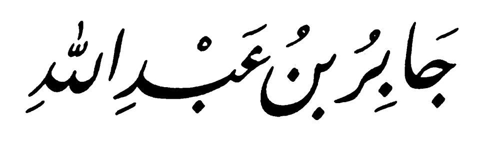
(١) تاريخ الطبري ـ المجلد ٤ أحداث سنة ١٧.

المُسْلِمِينَ؟ .

رَضِيَ اللَّهُ عَنِ البَرَاءِ بنِ مَالِكٍ، وَصَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، جَمِيعاً.

بُناة دَولَةِ الإسلام

٦٣



رَضِيَ اللهُ عَنْهُما

جَابِرُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَمْرِو بنِ حَرَامِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ حَرَامِ بنِ كَعْبِ بنِ غَنَمِ بنِ كَعْبِ بنِ سَلَمَةَ. مِنْ بَنِي النَّجَّارِ مِنَ الخَزْرَجِ. وَبَنُو النَّجَّارِ أَخْوَالِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، إِذْ أَنَّ جَدَّهُ هَاشِمَ بنَ عَبْدِ مَنَافٍ قَدْ تزَوَّجَ مِنْهُمْ سَلْمَى بِنْتَ عَمْرِو بنِ زَيْدٍ، وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ عَلَى المَدِينَةِ، وَأَنْجَبَتْ مِنْهُ عَبْدَ المُطَّلِبِ، وَكَانَ فِي رَأْسِهِ شَيْبَةٌ، فَسُمِّيَ شَيْبَةَ، وَخَرَجَ هَاشِمُ فِي أَصْحَابِهِ إِلَى الشَّامِ، حَتَّى بَلَغَ غَزَّةَ فَاشْتَكَى، فَأَقَامُوا عَلَيْهِ حَتَّى مَاتَ، فَدَفَنُوهُ بِغَزَّةَ، وَرَجَعُوا بِتَرِكَتِهِ إِلَى وَلَدِهِ.

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، يُكْرِمُ بَنِي النَّجَّارِ، وَيَعُدُّهُمْ أَهْلَهُ، فَعِنْدَمَا تُوُفِّيَ أَسْعَدُ بنُ زُرَارَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جَاءَهُ أَعْيَانُ بَنِي النَّجَّارِ فَقَالُوا لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَاتَ نَقِيبُنَا، فَنَقِّبْ عَلَيْنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ: أَنَا نَقِيبُكُمْ.

أَسْلَمَ وَالِدُ جَابِرٍ (عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَمْرٍو) قَبْلَ بَيْعَةِ العَقَبَةِ، وَشَهِدَ بَيْعَةَ العَقَبَةِ الثَّانِيَةِ مَعَ سَبْعِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ، وَهُوَ أَحَدُ النُّقَبَاءِ الاثْنَيْ عَشَرَ، وَشَهِدَ مَعْرَكَتَيْ بَدْرٍ وَأُحُدٍ، وَاسْتُشْهِدَ في الثَّانِيَةِ مِنْهُمَا فِي شَهْرِ شَوَّالٍ عَلَى رَأْسِ اثْنَيْنِ وَثَلاَثِينَ شَهْراً مِنَ الهِجْرَةِ.

يَقُولُ جَابِرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَمَّا قُتِلَ أَبِي يَوْمَ أُحُدٍ، أَتَيْتُهُ وَهُوَ مُسَجًّى، فَجَعَلْتُ أَكْشِفُ عَنْ وَجْهِهِ، وَأُقَبِّلُهُ، وَالنَّبِيُّ

يَرَانِي، فَلَمْ يَنْهَنِي.

وَيَقُولُ جَابِرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَمَّا قُتِلَ أَبِي يَوْمَ أُحُدٍ، جَعَلْتُ أَكْشِفُ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ، وَأَبْكِي، وَجَعَلَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، يَنْهَوْنَنِي، وَالنَّبِيُّ، ﷺ، لاَ يَنْهَانِي. قَالَ: وَجَعَلَتْ عَمَّتِي فَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرٍو تَبْكِي عَلَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ، ﷺ، بَكِّيهِ أَوْ لاَ تُبكِّيهِ، مَا زَالَتِ المَلاَئِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رَفَعْتُمُوهُ.

وَعَنْهُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: أُصِيبَ أَبِي وَخَالِي يَوْمَ أُحُدٍ، فَجَاءَتْ بِهِمَا أُمِّي، قَدْ عَرَضَتْهُمَا عَلَى نَاقَةٍ، أَوْ قَالَ: عَلَى جَمَلٍ، فَأَقْبَلَتْ بِهِمَا إِلَى المَدِينَةِ، فَنَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ: ادْفُنُوا القَتلَى فِي مَصَارِعِهِمْ، قَالَ: فَرُدَّا حَتَّى دُفِنَا فِي مَصَارِعِهِمَا.

وَعَنْ جَابِرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، لَمَّا خَرَجَ لِدَفْنِ شُهَدَاءِ أُحُدٍ قَالَ: زَمِّلُوهُمْ بِجِرَاحِهِمْ فَإِنِّي أَنَا الشَّهِيدُ عَلَيْهِمْ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ يَسِيلُ دَماً، اللَّوْنُ لَوْنُ الزَّعْفَرَانِ، وَالرِّيحُ رِيحُ المِسْكِ. قَالَ جَابِرٌ: وَكُفِّنَ أَبِي فِي نَمِرَةٍ وَاحِدَةٍ، وَكَانَ يَقُولُ، ﷺ: أَيُّ هَؤُلاَءِ كَانَ أَكْثَرَ أَخْذاً لِلْقُرآنِ؟ فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى الرَّجُلِ، قَالَ: قَدِّمُوهُ

فِي اللَّحْدِ قَبْلَ صَاحِبِهِ. قَالُوا: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَمْرِو بنِ حَرَامٍ أَوَّلَ قَتِيلٍ قُتِلَ مِنَ المُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، قَتَلَهُ سُفْيَانُ بنُ عَبْدِ شَمْسٍ أَبُو أَبِي الأَعْوَرِ السُّلَمِيُّ، فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، قَبْلَ الهَزِيمَةِ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ: ادْفِنُوا عَبْدَ اللَّهِ بنَ عَمْرٍو وَعَمْرَو بنَ الجَمُوحِ فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ، لِمَا كَانَ بَيْنَهُمَا مِنَ الصَّفَاءِ، وَقَالَ: ادْفِنُوا هَذَيْنِ المُتَحَابَّيْنِ فِي الدُّنْيَا فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ.

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَمْرٍو رَجُلاً، أَحْمَرَ، أَصْلَعَ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ، وَكَانَ عَمْرُو بنُ الجَمُوحِ رَجُلاً طَوِيلاً، فَعُرِفَا فَدُفِنَا فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ. وَكَانَ قَبْرُهُمَا مِمَّا يَلِي المَسِيلَ، فَدَخَلَهُ السَّيْلُ، فَحَفر عَنْهُمَا، وَعَلَيْهِمَا نَمِرَتَانِ، وَعَبْدُ اللَّهِ قَدْ أَصَابَهُ جُرْحٌ فِي وَجْهِهِ، فَيَدُهُ عَلَى جُرْحِهِ، فَأُمِيطَتْ يَدُهُ عَنْ جُرْحِهِ فَانْبَعَثَ الدَّمُ، فَرُدَّتْ يَدَهُ إِلَى مَكَانِهَا فَسَكَنَ الدَّمُ. قَالَ جَابِرٌ: فَرَأَيْتُ أَبِي فِي حُفْرَتِهِ كَأَنَّهُ نَائِمٌ، وَمَا تَغَيَّرَ مِنْ حَالِهِ قَلِيلٌ وَلاَ كَثِيرٌ، فَقِيلَ لَهُ: فَرَأَيْتَ أَكْفَانَهُ؟ قَالَ: إِنَّمَا كُفِّنَ فِي نَمِرَةٍ خُمِرَ بِهَا وَجْهُهُ وَجُعِلَ عَلَى رِجْلَيْهِ الحَرْمَلُ، فَوَجَدْنَا النَمِرَةَ كَمَا هِيَ، وَالحَرْمَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ عَلَى هَيْئَتِهِ، وَبَيْنَ ذَلِكَ سِتٌّ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً. فَشَاوَرَهُمْ جَابِرٌ فِي أَنْ يُطَيَّبَ بِمِسْكٍ فَأَبَى ذَلِكَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَقَالُوا:

لا تُحْدِثُوا فِيهِمْ شَيْئاً. وَحُوِّلاَ مِنْ ذَلِكَ المَكَانِ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ، وَذَلِكَ أَنَّ القَنَاةَ كَانَتْ تَمُرُّ عَلَيْهِمَا، وَأُخرِجُوا رِطَاباً يَتَثَنَّوْنَ.

وَعَنْ جَابِرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: صَرَخَ بِنَا إِلَى قَتْلاَنَا يَوْمَ أُحُدٍ حِينَ أَجْرَى مُعَاوِيَةُ العَيْنَ، فَأَخرَجْنَاهُمْ بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَيِّنَةً أَجْسَادُهُمْ، تَتَثَنَّى أَطْرَافُهُمْ.

وَعَنْهُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ أَبَاهُ تُوفِّيَ، وَعَلَيْهِ دَيْنٌ، قَالَ: فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، فَقُلْتُ: إِنَّ أَبِي تَرَكَ عَلَيْهِ دَيْناً، وَلَيْسَ عِنْدَنَا إِلاَّ مَا يُخْرِجُ نَخْلُهُ، فَلاَ يَبْلُغُ مَا يُخْرِجُ نَخْلُهُ سَنَتَيْنِ مَا عَلَيْهِ، فَانْطَلِقْ مَعِي لِكَيْلاَ يُفْحِشَ عَلَيَّ الغُرَمَاءُ، قَالَ: فَمَشَى حَوْلَ بَيْدَرٍ مِنْ بَيَادِرِ التَمْرِ، وَدَعَا، ثُمَّ جَلَسَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَيْنَ غُرَمَاؤُهُ؟ فَأَوْفَاهُمْ الَّذِي لَهُمْ، وَبَقِيَ مِثْلَ الَّذِي أَعْطَاهُمْ[١].

وَأُمُّ جَابِرٍ هِيَ أَنِيسَةُ بِنْتُ غَنَمَةَ بنِ عَدِيٍّ، أَسْلَمَتْ وَبَايَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم.

وُلِدَ جَابِرٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَبْلَ الهِجْرَةِ بِستَّ عَشْرَةَ سَنَةً، وَأَسْلَمَ قَبْلَ البَيْعَةِ الثَّانِيَةِ بِسَنَةٍ تَقْرِيباً، أَيْ كَانَ إِسْلاَمُهُ وَهُوَ فِي الرَّابِعَةِ عَشَرَةَ مِنْ عُمْرِهِ، وَشَهِدَ بَيْعَةَ العَقَبَةِ الثَّانِيَةِ مَعَ أَبِيهِ،

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٥٦٤.

وَخَالِهِ، وَكَانَ أَصْغَرُ مَنْ حَضَرَهَا سِنّاً إِذْ كَانَ فِي الخَامِسَةِ عَشَرَةَ مِنْ عُمْرِهِ.

كَانَ جَابِرٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الوَحِيدُ لِأَبَوَيْهِ مِنَ الذُّكُورِ إِلَى جَانِبِ سَبْعِ أَوْ تِسْعِ بَنَاتٍ، فَكَانَ أَبُوهُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يُخْلِفُهُ عَلَيْهِنَّ، وَيَخْرُجُ لِلْجِهَادِ، وَهَذَا مَا مَنَعَهُ مِنْ حُضُورِ مَعْرَكَتَي بَدْرٍ وَأُحُدٍ. فَلَمَّا اسْتُشْهِدَ أَبُوهُ فِي أُحُدٍ أَصْبَحَ يَنْفِرُ إِلَى الجِهَادِ مُبَاشَرَةً.

مَا أَنِ انْتَهَتْ غَزْوَةُ أُحُدٍ، وَسَارَتْ قُرَيْشٌ نَحْوَ مَكَّةَ، حَتَّى خَشِيَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، أَنْ تَمِيلَ قُرَيْشٌ عَلَى المَدِينَةِ، وَتَحْسَبَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، وَمَنْ مَعَهُ قَدْ خُضِدَتْ شَوْكَتُهُمْ، لِذَا بَعَثَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلِيَّ بنَ أَبِي طَالِبٍ فِي أَثَرِ قُرَيْشٍ فَقَالَ لَهُ: اخْرُجْ فِي آثَارِ القَوْمِ، فَانْظُرْ مَاذَا يَصْنَعُونَ، وَمَا يُرِيدُونَ؛ فَإِنْ كَانُوا قَدْ جَنَّبُوا الخَيْلَ، وَامْتَطُوا الإِبِلَ، فَإِنَّهُمْ يُرِيدُونَ مَكَّةَ، وَإِنْ رَكِبُوا الخَيْلَ وَسَاقُوا الإِبِلَ، فَإِنَّهُمْ يُرِيدُونَ المَدِينَةَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ أَرَادُوهَا لَأَسِيرَنَّ إِلَيْهِمْ فِيهَا، ثُمَّ لَأُنَاجِزَنَّهُمْ. قَالَ عَلِيٌّ: فَخَرَجْتُ فِي آثَارِهِمْ أَنْظُرُ مَاذَا يَصْنَعُونَ؛ فَجَنَّبُوا الخَيْلَ، وَامْتَطُوا الإِبِلَ[1].

---

(١) سيرة ابن هشام.

وَمَا أَنِ انْتَهَى المُسْلِمُونَ مِنْ دَفْنِ شُهَدَائِهِمْ، وَسَارُوا إِلَى المَدِينَةِ، وَغَسَلُوا السُّيُوفَ، حَتَّى أَذَّنَ مُؤَذِّنُ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، فِي النَّاسِ بِطَلَبِ العَدُوِّ، وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمُ الأَحَدِ لِسَتَّ عَشْرَةَ لَيْلَةً مَضَتْ مِنْ شَوَّالٍ. وَأَذَّنَ مُؤَذِّنُهُ أَنْ لاَ يَخْرُجَنْ مَعَنَا أَحَدٌ إِلاَّ أَحَدٌ حَضَرَ يَوْمَنَا بِالأَمْسِ. فَكَلَّمَهُ جَابِرُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَمْرِو بنِ حَرَامٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبِي كَانَ خَلَّفَنِي عَلَى أَخَوَاتٍ لِي سَبْعٍ، وَقَالَ: يَا بُنَيَّ، إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لاَ لِي وَلاَ لَكَ أَنْ نَتْرُكَ هَؤُلاَءِ النِّسْوَةِ، لاَ رَجُلَ فِيهِنَّ، وَلَسْتُ بِالَّذِي أُؤْثِرُكَ بِالجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، عَلَى نَفْسِي، فَتَخَلَّفْ عَلَى أَخَوَاتِكَ، فَتَخَلَّفْتُ عَلَيْهِنَّ. فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، فَخَرَجَ مَعَهُ. وَإِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، مُرْهِباً لِلْعَدُوِّ، وَلِيَبْلُغَهُمْ أَنَّهُ خَرَجَ فِي طَلَبِهِمْ، لِيَظُنُّوا بِهِ قُوَّةً، وَأَنَّ الَّذِي أَصَابَهُمْ لَمْ يُوهِنْهُمْ عَنْ عَدُوِّهِمْ.

حَمْرَاءُ الأَسَدِ:

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى حَمْرَاءِ الأَسَدِ، وَهِيَ مِنَ المَدِينَةِ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَمْيَالٍ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى المَدِينَةِ ابنَ أُمِّ مَكْتُومٍ. فَأَقَامَ بِهَا الاثْنَيْنِ، والثُّلاَثَاءِ، وَالأَرْبِعَاءِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى المَدِينَةِ.

خَرَجَ جَابِرٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى حَمْرَاءِ الأَسَدِ بَعْدَ إِذْنِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، لَهُ، دُونَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى وَضْعِهِ فِي البَيْتِ إِذْ كَانَ يَنْظُرُ إِلَى أَعْلَى مِنْ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ، لَمْ يُفَكِّرْ فِي اسْتِشْهَادِ وَالِدِهِ، وَعَدَدٍ مِنْ أَقْرِبَائِهِ، وَأَثَرِ ذَلِكَ عَلَى البَنَاتِ السَّبْعِ فِي البَيْتِ، وَوَضْعِهِنَّ أَنْفُسِهِنَّ، إِذْ كَانَتْ تَسْمُو نَفْسُهُ إِلَى الجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، إِذْ كَانَتْ لاَ تَزَالُ تَرِنُّ فِي مَسَامِعِهِ كَلِمَاتُ أَبِيهِ إِلَيْهِ (وَلَسْتُ بِالَّذِي أُؤْثِرُكَ بِالجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، عَلَى نَفْسِي). فَكَلِمَاتُ الوَالِدِ لَهَا الأَثَرُ الكَبِيرُ فِي نَفْس الفَتَى، وَنِعْمَتْ تَرْبِيَةُ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، لأَبْنَائِهِمْ فَنَشَأُوا النَشْأَةَ الصَّالِحَةَ، وَتَرَبَّوْا التَّرْبِيَةَ الإِسْلاَمِيَّةَ. كَمَا كَانَتْ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، نَفْسُهُ تَتُوقُ لِلشَّهَادَةِ، فَإِنَّهَا مِلءُ قَلْبِهِ، وَمِلءُ جَوَارِحِهِ لاَ يُبَالِي بِمَنْ يُخَلِّفُ وَرَاءَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ وَلِيُّهُمْ. وَهَذَا مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ، وَهَذَا مَا كَانَتْ عَلَيْهِ التَّرْبِيَةُ، وَرُبَّمَا مِنَ المُفِيدِ ذِكْرُ أَحْدَاثٍ فِي هَذِهِ الغَزْوَةِ لِتَكُونَ دَرْساً وَعِبْرَةً. فَإِنَّ رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، مِنْ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ، كَانَ شَهِدَ أُحُداً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، قَالَ: شَهِدْتُ أُحُداً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، أَنَا وَأَخٌ لِي، فَرَجَعْنَا جَرِيحَيْنِ، فَلَمَّا أَذَّنَ مُؤَذِّنُ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، بِالخُرُوجِ فِي طَلَبِ العَدُوِّ، قُلْتُ لأَخِي

أَوْ قَالَ لِي: أَتَفُوتُنَا غَزْوَةٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ؟ وَاللَّهِ مَا لَنَا مِنْ دَابَّةٍ نَرْكَبُهَا، وَمَا مِنَّا إِلاَّ جَرِيحٌ ثَقِيلٌ، فَخَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَكُنْتُ أَيْسَرَ جُرْحاً، فَكَانَ إِذَا غُلِبَ حَمَلْتُهُ عُقْبَةً، وَمَشَى عُقْبَةً، حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى مَا انْتَهَى إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ[1].

وَعِنْدَ الْعَوْدَةِ مِنْ أُحُدٍ مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، بِامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي دِينَارٍ، وَقَدْ أُصِيبَ زَوْجُهَا، وَأَخُوهَا، وَأَبُوهَا، مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، بِأُحُدٍ، فَلَمَّا نُعُوا لَهَا قَالَتْ: فَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ؟ قَالُوا: خَيْراً يَا أُمَّ فُلاَنٍ، هُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ كَمَا تُحِبِّينَ، قَالَتْ: أَرُونِيهِ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: فَأُشِيرَ لَهَا إِلَيْهِ، حَتَّى إِذَا رَأَتْهُ قَالَتْ: كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ! تُرِيدُ صَغِيرَةً[2]. لَيْسَ هُنَاكَ مِنْ زَوْجٍ، وَلاَ أَبٍ، وَلاَ أَخٍ بَلْ وَلاَ النَّفْسُ تُعَادِلُ شَيْئاً أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، هَكَذَا كَانَ الصَّحَابَةُ، وَهَذَا مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَفِي كُلِّ بِيئَةٍ.

مَرَّ مَعْبَدُ بنُ أَبِي مَعْبَدِ الْخُزَاعِيُّ، وَكَانَتْ خُزَاعَةُ، مُسْلِمُهُمْ وَمُشْرِكُهُمْ عَيْبَةَ نُصْحٍ لِرَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، بِتِهَامَةَ، صَفْقَتُهُمْ مَعَهُ، لاَ يُخْفُونَ عَنْهُ شَيْئاً كَانَ بِهَا، وَمَعْبَدُ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ، فَقَالَ:

---

(١) سيرة ابن هشام.
(٢) المصدر نفسه.

يَا مُحَمَّدُ، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ عَزَّ عَلَيْنَا مَا أَصَابَكَ، وَلَوَدِدْنَا أَنَّ اللَّهَ عَافَاكَ فِيهِمْ، ثُمَّ خَرَجَ، وَرَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، بِحَمْرَاءِ الأَسَدِ، حَتَّى لَقِيَ أَبَا سُفْيَانَ بنَ حَرْبٍ، وَمَنْ مَعَهُ بِالرَّوْحَاءِ، وَقَدْ أَجْمَعُوا الرَّجْعَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَأَصْحَابِهِ، وَقَالُوا: أَصَبْنَا حَدَّ أَصْحَابِهِ وَأَشْرَافِهِمْ وَقَادَتِهِمْ، ثُمَّ نَرْجِعُ قَبْلَ أَنْ نَسْتَأْصِلَهُمْ! لَنُكِرَّنَّ عَلَى بَقِيَّتِهِمْ، فَلَنَفْرَغَنَّ مِنْهُمْ. فَلَمَّا رَأَى أَبُو سُفْيَانَ مَعْبَداً قَالَ: مَا وَرَاءَكَ يَا مَعْبَدُ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قَدْ خَرَجَ فِي أَصْحَابِهِ يَطْلُبُكُمْ فِي جَمْعٍ لَمْ أَرَ مِثْلَهُ قَطُّ، يَتَحَرَّقُونَ عَلَيْكُمْ تَحَرُّقاً، قَدْ اجْتَمَعَ مَعَهُ مَنْ كَانَ تَخَلَّفَ عَنْهُ فِي يَوْمِكُمْ، وَنَدِمُوا عَلَى مَا صَنَعُوا، فِيْهِمْ مِنَ الحَنَقِ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ لَمْ أَرَ مِثْلَهُ قَطُّ؛ قَالَ: وَيْحَكَ! مَا تَقُولُ؟ قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَرَى أَنْ تَرْتَحِلَ حَتَّى أَرَى نَوَاصِيَ الخَيْلِ؛ قَالَ: فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَجْمَعْنَا الكَرَّةَ عَلَيْهِمْ، لِنَسْتَأْصِلَ بَقِيَّتَهُمْ، قَالَ: فَإِنِّي أَنْهَاكَ عَنْ ذَلِكَ، قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ حَمَلَنِي مَا رَأَيْتَ عَلَى أَنْ قُلْتُ فِيهِمْ أَبْيَاتاً مِنْ شِعْرٍ؛ قَالَ: وَمَا قُلْتَ؟ قَالَ: قُلْتُ:

كَادَتْ تُهَدَّ مِنَ الأَصْوَاتِ رَاحِلَتِي ... إِذَا سَالَتِ الأَرْضُ بِالجُرْدِ الأَبَابِيلِ
تَرْدِي بِأُسْدٍ كِرَامٍ لاَ تَنَابِلَةٍ ... عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلاَ مِيْلٍ مَعَازِيلِ
فَظَلَّتْ عَدْوَاً أَظُنُّ الأَرْضَ مَائِلَةً ... لِمَا سَمَوْا بِرَئِيسٍ غَيْرِ مَخْزُولِ
فَقُلْتُ وَيْلَ ابنِ حَرْبٍ مِنْ لِقَائِكُمُ ... إِذَا تَغَطْمَطَتِ البَطْحَاءُ بِالجِيلِ

إِنِّي نَذِيرٌ لأَهْلِ البَسْلِ ضَاحِيَةً لِكُلِّ ذِي إِرْبَةٍ مِنْهُمْ وَمَعْقُولِ
مِنْ جَيْشِ أَحْمَدَ لاَ وَخْشٍ تَنَابِلُهُ وَلَيْسَ يُوصَفُ مَا أَنْذَرْتُ بِالقِيلِ

وَمَرَّ رَكْبٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ القَيْسِ بِأَبِي سُفْيَانَ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ المَدِينَةَ، قَالَ: وَلِمَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ المِيرَةَ؛ قَالَ: فَهَلْ أَنْتُمْ مُبْلِغُونَ عَنِّي مُحَمَّداً رِسَالَةً أُرْسِلُكُمْ بِهَا إِلَيْهِ، وَأُحَمِّلُ لَكُمْ هَذِهِ غَداً زَبِيباً بِعُكَاظٍ إِذَا وَافَيْتُمُوهَا؟ قَالُوا: نَعَمْ؛ قَالَ: فَإِذَا وَافَيْتُمُوهُ فَأَخْبِرُوهُ أَنَّا قَدْ أَجْمَعْنَا السَّيْرَ إِلَيْهِ لِنَسْتَأْصِلَ بَقِيَّتَهُمْ، فَمَرَّ الرَّكْبُ بِرَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَهُوَ بِحَمْرَاءِ الأَسَدِ، فَأَخْبَرُوهُ بِالَّذِي قَالَ أَبُو سُفْيَانَ؛ فَقَالَ: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ!

وَرُوِيَ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بنَ حَرْبٍ لَمَّا انْصَرَفَ يَوْمَ أُحُدٍ أَرَادَ الرُّجُوعَ إِلَى المَدِينَةِ. لِيَسْتَأْصِلَ بَقِيَّةَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، فَقَالَ لَهُ صَفْوَانُ بنُ أُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ: لَا تَفْعَلُوا فَإِنَّ القَوْمَ قَدْ سَرِبُوا، وَقَدْ خَشِينَا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ قِتَالٌ غَيْرَ الَّذِي كَانَ، فَارْجِعُوا، فَرَجَعُوا. فَقَالَ النَّبِيُّ، ﷺ، وَهُوَ بِحَمْرَاءِ الأَسَدِ، حِيْنَ بَلَغَهُ أَنَّهُمْ هَمُّوا بِالرَّجْعَةِ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ سُوِّمَتْ لَهُمْ حِجَارَةٌ، لَو صَبَّحُوا بِهَا لَكَانُوا كَأَمْسِ الذَّاهِبِ.

وَبَعْدَ حَمْرَاءِ الأَسَدِ شَهِدَ جَابِرٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، غَزَوَاتِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، كَمَا انْطَلَقَ مَعَ السَّرَايَا جَمِيعِهَا، وَيُحَدِّثُنَا،

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ بَعْضِ أَخْبَارِ هَذِهِ الغَزَوَاتِ وَالسَّرَايَا. كَمَا أَنَّهُ انْطَلَقَ مَعَ جُيُوشِ الفَتْحِ الَّتِي انْطَلَقَتْ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَنَشْرِ الدَّعْوَةِ، وَكَانَتْ بِلَادُ الشَّامِ مَجَالَ جِهَادِهِ.

زَوَاجُ جَابِرٍ:

تَزَوَّجَ جَابِرٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، امْرَأَةً ثَيِّبًاً رَغْبَةً مِنْهُ فِي أَنْ تَرْعَى شُؤُونَ أَخَوَاتِهِ البَنَاتِ، وَقَدْ رَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، قَالَ لَهُ: (يَا جَابِرُ هَلْ تَزَوَّجْتَ بَعْدُ؟) قُلْتُ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ قَالَ: (بِكْرًاً أَمْ ثَيِّبًاً؟)، قَالَ: قُلْتُ: بَلْ ثَيِّبًاً، قَالَ: (أَفَلَا جَارِيَةٌ تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ) قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبِي أُصِيبَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكَ لِي بَنَاتٍ سَبْعًاً، فَنَكَحْتُ امْرَأَةً جَامِعَةً تَجْمَعُ رُؤُوسَهُنَّ، فَتَقُوم عَلَيْهِنّ. قَالَ: (أَصَبْتَ إِن شَاءَ اللَّهُ).

كَرَمُ جَابِرٍ:

قَالَ جَابِرٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَمِلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، فِي الخَنْدَقِ، فَكَانَتْ عِنْدِي شُوَيْهَةٌ، غَيْرَ جِدُّ سِمِينَةٍ. قَالَ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَوْ صَنَعْنَاها لِرَسُولِ اللَّهِ، ﷺ؛ قَالَ: فَأَمَرْتُ امْرَأَتِي، فَطَحَنَتْ لَنَا شَيْئًاً مِنْ شَعِيرٍ، فَصَنَعَتْ لَنَا مِنْهُ خُبْزًاً، وَذَبَحتُ تِلْكَ الشَّاةَ، فَشَوَيْنَاهَا لِرَسُولِ اللَّهِ، ﷺ. قَالَ: فَلَمَّا أَمْسَيْنَا، وَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، الانْصِرَافَ عَنِ الخَنْدَقِ، قَالَ: وَكُنَّا نَعْمَلُ فِيهِ

نَهَارَنَا، فَإِذَا أَمْسَيْنَا رَجَعْنَا إِلَى أَهَالِينَا، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ صَنَعْتُ لَكَ شُوَيْهَةً كَانَتْ عِنْدَنَا، وَصَنَعْنَا مَعَهَا شَيْئاً مِنْ خُبْزِ هَذَا الشَّعِيرِ، فَأُحِبُّ أَنْ تَنْصَرِفَ مَعِي إِلَى مَنْزِلِي، وَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ يَنْصَرِفَ مَعِي رَسُولُ اللَّهِ وَحْدَهُ. قَالَ: فَلَمَّا أَنْ قُلْتُ لَهُ ذَلِكَ؛ قَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ أَمَرَ صَارِخاً فَصَرَخَ: أَنِ انْصَرِفُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، إِلَى بَيْتِ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ؛ قَالَ: قُلْتُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! قَالَ: فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، وَأَقْبَلَ النَّاسُ مَعَهُ؛ قال: فَجَلَسَ وَأَخْرَجْنَاهَا إِلَيْهِ، قَالَ: فَبَرَّكَ وَسَمَّى اللَّهَ، ثُمَّ أَكَلَ، وَتَوَارَدَهَا النَّاسُ، كُلَّمَا فَرَغَ قَوْمٌ قَامُوا، وَجَاءَ نَاسٌ، حَتَّى صَدَرَ أَهْلُ الخَنْدَقِ عَنْهَا.

وَفَاةُ جَابِرٍ:

عَاشَ جَابِرٌ طَوِيلاً، حَتَّى زَادَ عَلَى التِّسْعِينَ، فَقَدْ تُوُفِّيَ عَامَ ثَمَانِيَةٍ وَسَبْعِينَ فِي خِلَافَةِ عَبْدِ المَلِكِ بنِ مَرْوَانَ، وَبِذَا يَكُونُ قَدْ عَاشَ أَرْبَعاً وَتِسْعِينَ سَنَةً، وَقَدْ كُفَّ بَصَرُهُ فِي أَوَاخِرِ حَيَاتِهِ.
وَصَلَّى عَلَيْهِ أَبَانُ بنُ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ، وَهُوَ وَالِي المَدِينَةِ يَوْمَذَاكَ. وَهُوع آخِرُ مَنْ مَاتَ مِنْ رِجَالِ العَقَبَةِ.

عِلْمُ جَابِرٍ:

رَوَى عِلْماً كَثِيراً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ،

وَعُمَرَ، وَعَليٍّ، وَالزُّبَيْرِ، وَأَبِي عُبَيْدَةَ، وَمُعَاذِ بنِ جَبَلٍ.

وَحَدَّثَ عَنْهُ كَثِيرُونَ مِنْهُمْ: سَعِيدُ بنُ المُسَيِّبِ، وَعَطَاءُ بنُ أَبِي رَبَاحٍ، وَالحَسَنُ البَصْرِيُّ، وَالحَسَنُ بنُ مُحَمّدِ بنِ الحَنَفِيَّةِ، وَمُحَمَّدُ البَاقِرُ، وَمُجَاهِدُ، وَالشَّعْبِيُّ، وَرَجَاءُ بنُ حَيَوَةَ.

وَكَانَ يَرْحَلُ فِي طَلَبِ الحَدِيثِ.

رَوَى أَلْفاً وَخَمْسَمَائَةٍ وَأَرْبَعِينَ حَدِيثاً، اتَّفَقَ الشَّيْخَانِ عَلَى ثَمَانِيَةٍ وَخَمْسِينَ مِنْهَا، وَانْفَرَدَ البُخَارِيُّ بِستَّةٍ وَعِشْرِينَ حَدِيثاً، وَمُسْلِمُ بِمَائَةٍ وَسِتَّةٍ وَعِشْرِينَ حَدِيثاً.

بُنَاة دَوْلَةِ الإسْلام

٦٤

الطُّفَيْلُ بنُ عَمْروٍ الدّوسيّ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

الطُّفَيْلُ بنُ عَمْروٍ الدَّوْسِيُّ أَحَدُ سَادَاتِ قَبِيلَتِهِ فِي الجَاهِلِيَّةِ. وَقَبِيلَةُ دَوْسٍ تُنْسَبُ إِلَى دَوْسِ بنِ عُدْثَانَ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ زَهْرَانَ، وَهِيَ الَّتِي تُعْرَفُ اليَومَ بِاسْمِ «زَهْرَان»، وَلاَ تَزَالُ فِي مَوَاطِنِهَا الحَالِيَّةِ، جَنُوبِ الطَّائِفِ، شَمَالَ البَاحَةِ، شَرْقِ اللَّيْثِ، تُقِيمُ فِي جِبَالِ السَّرَوَاتِ، وَسُفُوحِهَا الغَرْبِيَّةِ، وَتُشَكِّلُ تِلْكَ السُّفُوحُ جُزْءاً مِنْ تِهَامَةَ، وَفِيْهَا كَانَتْ مَنَازِلُ قَوْمِ الطُّفَيْلِ بنِ عَمْروٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمِنْ هُنَا تَحَدَّثَتْ كُتُبُ السِّيَرِ عَنْ خُرُوجِهِ مِنْ تِهَامَةَ إِلَى مَكَّةَ. رَغْمَ أَنَّ ذَلِكَ الخُرُوجِ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّهْلِ السَّاحِلِيِّ الَّذِي هُوَ تِهَامَةُ «اصطلاحاً».

وَقَبِيلَةُ «دَوْس» أَوْ «زَهْرَانَ» قَبِيلَةٌ يَمَانِيَّةٌ تَعُودُ إِلَى الأَزْدِ، فَزَهْرَانُ هُوَ: زَهْرَانُ بنُ كَعْبِ بنِ الحَارِثِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَالِكِ بنِ نَصْرِ بنِ الأَزْدِ، وَقَدِيماً كَانَ اسْمُ «اليَمَنِ» يُطْلَقُ عَلَى المَوَاطِنِ الَّتِي تَنْتَشِرُ فِيهَا تِلْكَ القَبَائِلُ الَّتِي تَعُودُ إِلَى أَصْلٍ يَمَنِيٍّ، وَمِنْ هُنَا جَاءَتْ نِسْبَةُ الطُّفَيْلِ وَنِسْبَةُ أَبِي هُرَيْرَةَ إِلَى اليَمَنِ فَكِلاَهُمَا مِنْ دَوْسٍ.

كَانَ الطُّفَيْلُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَرِيماً شَهْماً، يُطْعِمُ الجَائِعَ، وَيَأْوِي إِلَيْهِ الخَائِفُ، وَيَتَّجِهُ نَحْوَهُ مَنْ يَطْلُبُ الاسْتِجَارَةَ، فَيُجِيرُهُ، لِذَا اشْتَهَرَ بَيْنَ العَرَبِ، وَعُرِفَ أَنَّهُ مِنْ أَصْحَابِ المُرُوءَاتِ، وَعُدَّ مِنْ رِجَالاَتِهَا. وَفَوْقَ ذَلِكَ كَانَ شَاعِراً، مُرْهَفَ الحِسِّ، حُلْوَ البَيَانِ، حَسَنَ الاسْتِمَاعِ، تُؤَثِّرُ فِيْهِ الكَلِمَةُ تَأْثِيراً كَبِيراً.

عَرَفَتْ قُرَيْشٌ مَكَانَةَ الطُّفَيْلِ فِي قَوْمِهِ، وَعَرَفَتْ مَنْزِلَتَهُ بَيْنَ العَرَبِ، وَقَدَّرَتْ مَا يَتَحَلَّى بِهِ مِنْ صِفَاتٍ تُؤَهِّلُهُ لِلزِّعَامَةِ وَتُحِلُّهُ مَحَلَّ السِّيَادَةِ، فَكَانَتْ تُكْرِمُهُ إِنْ نَزَلَ فِي دِيَارِهَا، وَيَنْزِلُ عَلَيْهِ ضَيْفاً مَنْ يَمُرُّ مِنْ سَادَاتِهَا عَلَى مَنَازِلِ قَوْمِهِ فِي تِجَارَتِهِمْ إِلَى اليَمَنِ أَوْ فِي رِحْلاَتِهِمْ بَيْنَ القَبَائِلِ، وَغَالِباً مَا يَجْمَعُ مَوْسِمُ الحَجِّ، أَوْ أَسْوَاقُ العَرَبِ بَيْنَ سَادَةِ قُرَيْشٍ، وَالطُّفَيْلِ بنِ عَمْرٍو أَحَدِ سَادَةِ دَوْسٍ.

أَشِعَّةُ النُّورِ:

بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، فِي مَكَّةَ، وَأَخَذَتْ أَشِعَّةُ النُّورِ تَسْرِي إِلَى قُلُوبِ كَثِيرِينَ مِنْ أَصْحَابِ العُقُولِ النَّيِّرَةِ، وَبَدَأَتْ دَعْوَةُ الحَقِّ تَصِلُ إِلَى الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ إِلَى الإِيمَانِ. وَصَعُبَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ سَادَةِ قُرَيْشٍ أَنْ يَتَنَازَلُوا عَنْ بَاطِلِهِمُ الَّذِي اعْتَادُوا عَلَيْهِ

فِي الجَاهِلِيَّةِ الَّتِي مَنَحَتْهُمْ التَّحَكُّمَ بالضُّعَفَاءِ مِنَ المَوَالِي وَالأَرِقَّاءِ، وَالجَوَارِي وَالإِمَاءِ، وَالمَسَاكِينِ وَالفُقَرَاءِ، وَالأَرَامِلِ مِنَ النِّسَاءِ. كَمَا هَالَهُمْ تَرْكُ مَا تَعَوَّدُوهُ مِنْ لَهْوٍ، وَخَمْرٍ، وَقِمَارٍ، وَأَكْلِ الأَمْوَالِ بِالبَاطِلِ، وَتَعَاطِي الرِّبَا، وَإِرْثِ نِسَاءِ الأَبِ، وَالغَطْرَسَةِ، وَالتَّفَاخُرِ بِالأَنْسَابِ لِذَا وَقَفُوا فِي وَجْهِ دَعْوَةِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَقَاوَمُوهَا أَشَدَّ المُقَاوَمَةِ بِحُجَّةِ مُخَالَفَتِهَا لِمَا اعْتَادُوا عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ، وَالتَّمَايُزِ حَسْبَ الأَمْوَالِ، وَالأَوْلَادِ، وَالعَبِيدِ، وَالأَحْسَابِ، وَجَعَلُوا هَذَا شِعَاراً لَهُمْ لِمُقَاوَمَةِ دَعْوَةِ الحَقِّ، وَسَتَرُوا تَحْتَهُ كُلَّ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ مِنْ سُوءٍ، وَمَا يَرْتَكِبُونَهُ مِنْ مُحَرَّمَاتٍ، وَمَا يُقْدِمُونَ عَلَيْهِ مِنْ فُحْشٍ وَظُلْمٍ، وَهَذَا مَا احْتَجَّتْ بِهِ أَقْوَامُ الأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ، فَقَوْمُ هُودٍ قَالُوا: ﴿قَالُوا۟ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾[1]. وَقَالَ قَوْمُ صَالِحٍ: ﴿قَالُوا۟ يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾﴾[2]. وَقَالَ قَوْمُ شُعَيْبٍ: ﴿قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾[3]. مَعَ أَنَّ هَذَا الشِّعَارَ،

---

(١) سورة هود ٥٣.

(٢) سورة هود ٦٢.

(٣) سورة هود ٨٧.

وَهُوَ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ، إِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى عَقْلٍ قَاصِرٍ، وَتَفْكِيرٍ مُتَدَنٍّ لَمْ تَهْبِطْ إِلَيْهِ أَدْنَى المُسْتَوَيَاتِ البَشَرِيَّةِ فِي تَارِيخِهَا كُلِّهِ، فَأَيُّ تَفْكِيرٍ يَقْبَلُ أَنْ يَنْحَتَ المَرْءُ حَجَراً بِيَدِهِ، وَيَجْعَلَهُ إِلَهاً يَعْبُدُهُ، يَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ، وَيَدْعُوهُ أَنْ يُحَقِّقَ لَهُ مَا يُرِيدُ، وَهُوَ أَصَمٌّ أَبْكَمُ، لاَ يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضُرّاً وَلاَ نَفْعاً.

وَقَفَ طُغَاةُ قُرَيْشٍ فِي وَجْهِ دَعْوَةِ الحَقِّ، وَكَانَ الصِّرَاعُ، فَالطُّغَاةُ يُدَافِعُونَ عَنْ أَصْنَامِهِمْ، وَيُنَافِحُونَ عَنِ العَادَاتِ الجَاهِلِيَّةِ الَّتِي وَرِثُوهَا، وَالَّتِي تُبْقِي لَهُمُ السِّيَادَةَ، وَتُحَقِّقُ لَهُمُ الشَّهْوَةَ، وَتُؤَمِّنُ لَهُمُ الغَطْرَسَةَ وَالكِبْرِيَاءَ فِي الأَرْضِ. أَمَّا رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، فَكَانَ يَرْسُمُ لَهُمُ الطَّرِيقَ السَّوِيَّ، وَيُبَيِّنُ لَهُمُ الحَقَّ، وَيُنِيرُ لَهُمُ السَّبِيلَ، وَيُوَضِّحُ لَهُمُ العَدَالَةَ، فَتَفَتَّحَتْ قُلُوبٌ لِلْخَيْرِ، فَاسْتَجَابَتْ لِدَعْوَةِ اللَّهِ، وَقَبِلَتِ الحَقَّ، وَآمَنَتْ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ، وَسَرَى ذَلِكَ الإِيمَانُ فِيهَا، وَأَخَذَتْ ذَلِكَ بِقُوَّةٍ، وَتَحَمَّلَتْ كُلَّ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ، وَضَحَّتْ بِأَمْوَالِهَا وَأَنْفُسِهَا. ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ، يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ. وَمَنْ يَهْدِي اللَّهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ. وَفِي الوَقْتِ نَفْسِهِ اسْتَغْلَقَتْ قُلُوبٌ أَمَامَ نُورِ الحَقِّ، وَحَجَبَتْ نَفْسَهَا عَنْهُ بِأَغْلِفَةٍ كَثِيفَةٍ مِنَ الظَّلاَمِ حَتَّى لاَ يَصِلَ إِلَيْهَا أَيُّ بَصِيصٍ مِنْ أَشِعَّةِ نُورِ

الإِيمَانِ رَغْمَ أَنَّهَا مُبْهِرَةٌ، وَذَلِكَ كَيْ تَبْقَى فِي جَاهِلِيَّتِهَا تَتَمَرَّغُ فِي أَوْحَالِهَا، هَكَذَا أَرَادَتْ لِنَفْسِهَا الضَّلاَلَ فَبَقِيَتْ فِي ظَلاَمٍ قَاتِمٍ، وَأَضَلَّهَا اللَّهُ حَيْثُ اسْتَحَبَّتْ الكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ، وَرَغِبَتْ فِي الظُّلُمَاتِ، وَكَرِهَتِ النُّورَ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ.

أَرَادَ الطُّغَاةُ حَجْبَ النُّورِ عَنِ الآخَرِينَ، كَمَا اخْتَارُوا لأَنْفُسِهِمْ حَسْبَ مَصَالِحِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ وَرَغْبَتِهِمْ بِالتَّحَكُّمِ فِي الآخَرِينَ، وَخَشُوا أَنْ يَصِلَ النُّورُ إِلَى خَارِجِ مَكَّةَ، فَعَمِلُوا عَلَى الصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِيَادَةً فِي الكُفْرِ وَإِمْعَاناً فِي الضَّلاَلِ، فَحَالُوا دُونَ أَنْ يَلْتَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، مَعَ أَحَدٍ خَارِجَ قُرَيْشٍ، مِنَ القَبَائِلِ الَّتِي تَرِدُ إِلَى مَكَّةَ وَخَاصَّةً فِي المَوْسِمِ، فَعَمِلُوا عَلَى الاتِّصَالِ بِكُلِّ فَرْدٍ يَأْتِي إِلَى مَكَّةَ مِنْ خَارِجِهَا أَوْ كُلِّ جَمَاعَةٍ تَفِدُ إِلَيْهَا، وَيُحَذِّرُونَهُمْ مِنَ الالتِقَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، أَوِ الاسْتِمَاعِ إِلَيْهِ، حَيْثُ يَتَّهِمُونَهُ بِالسِّحْرِ، وَأَنَّهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ المَرْءِ وَزَوْجِهِ، وَالأَخِ وَأَخِيهِ، وَالأَبِ وَبَنِيهِ، وَأَنَّهُ شَاعِرٌ يُجِيدُ الكَلاَمَ، وَيُؤَثِّرُ عَلَى مُسْتَمِعِيهِ، بَلْ كَانَ عَمُّهُ عَبْدُ العُزَّى (أَبُو لَهَب) هُوَ مِنْ بَيْنِ الَّذِينَ يَقُومُونَ بِهَذِهِ الفِرْيَةِ فَيَظُنُّ القَادِمُونَ إِلَى مَكَّةَ أَنَّ هَذَا رُبَّمَا كَانَ صَحِيحاً، فَعَمُّهُ أَقْرَبُ النَّاس إِلَيْهِ، وَأَخْبَرُهُمْ بِأَمْرِ ابنِ أَخِيه، فَيَمْتَثِلُ لأَمْرِ طُغَاةِ قُرَيْشٍ، فَيَرْفُضُ الاجْتِمَاعَ بِسَيِّدِ الأَنَامِ، وَيَأْبَى الاسْتِمَاعَ، وَمَنْ

يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُهَيِّءْ لَهُ أَسْبَابِ الالتِقَاءِ، وَيَشْرَحْ صَدْرَهُ للاسْتِمَاعِ، وَغَالِباً مَا يَسْرِي النُّورُ فِي قَلْبِهِ، وَتَتَوَقَّدُ شُعْلَةُ الإِيمَانِ فِيْهِ، وَيُصْبِحُ ضِمْنَ رَكْبِ مَوْكِبِ الحَقِّ.

إِسْلاَمُ الطُّفَيْلِ:

قَدِمَ الطُّفَيْلُ مَكَّةَ، وَهُوَ لاَ يَدْرِي مَاذَا يَجْرِي عَلَى سَاحَتِهَا مِنْ صِرَاعٍ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَمَعَهُ الفِئَةُ المُؤْمِنَةُ الأُولَى، وَسِلاَحُهُمُ الإِيمَانُ، وَمَعْنَوِيَاتُهُمُ النَّصْرُ الَّذِي وَعَدَهُمُ اللَّهُ بِهِ، وَبَيْنَ طُغَاةِ قُرَيْشٍ وَسِلاَحُهُمُ السِّيَادَةُ، وَالقُوَّةُ، وَالغَطْرَسَةُ، وَالمَالُ، وَالسِّلاَحُ، وَالأَتْبَاعُ الَّذِينَ يَسِيرُونَ وَرَاءَ القُوَّةِ، وَمَعَ المَالِ، وَخَلْفَ الشَّهْوَةِ فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنَ الأَوْقَاتِ. وَاللَّهُ يَسْمَعُ وَيَرَى مَا يَجْرِي، وَمَا يُعَانِيهِ عِبَادُهُ المُؤْمِنُونَ مِنْ ظُلْمِ الطُّغَاةِ.

وَمَا أَنْ وَصَلَ الطُّفَيْلُ إِلَى مَشَارِفِ مَكَّةَ حَتَّى تَلَقَّاهُ بَعْضُ طُغَاتِهَا فَقَالُوا لَهُ: يَا طُفَيْلُ إِنَّكَ قَدِمْتَ بِلاَدَنَا وَهَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ أَظْهُرِنَا قَدْ أَعْضَلَ بِنَا، وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَشَتَّتَ أَمْرَنَا، وَإِنَّمَا قَوْلُهُ كَالسِّحْرِ يُفَرِّقُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ أَبِيهِ، وَبَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ أَخِيهِ، وَبَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ زَوْجَتِهِ، إِنَّمَا نَخْشَى عَلَيْكَ وَعَلَى قَوْمِكَ مِثْلَ مَا دَخَلَ عَلَيْنَا مِنْهُ، فَلاَ تُكَلِّمْهُ، وَلاَ تَسْمَعْ مِنْهُ. قَالَ الطُّفَيْلُ: فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا بِي حَتَّى أَجْمَعْتُ أَلاَّ أَسْمَعَ مِنْهُ وَلاَ

أُكَلِّمَهُ، فَغَدَوْتُ إِلَى المَسْجِدِ وَقَدْ حَشَوْتُ أُذُنَيَّ كُرْسُفاً، يَعْنِي قُطْناً، فَرَقاً مِنْ أَنْ يَبْلُغَنِي شَيْءٌ مِنْ قَوْلِهِ، حَتَّى كَانَ يُقَالُ لِي ذُو القُطْنَتَيْنِ، قَالَ: فَغَدَوْتُ يَوْماً إِلَى المَسْجِدِ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، قَائِمٌ يُصَلِّي عِنْدَ الكَعْبَةِ، فَقُمْتُ قَرِيباً مِنْهُ، فَأَبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُسْمِعَنِي بَعْضَ قَوْلِهِ، فَسَمِعْتُ كَلاَماً حَسَناً، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: وَاثُكْلَ أُمِّي، وَاللَّهِ إِنِّي لَرَجُلٌ لَبِيبٌ شَاعِرٌ، مَا يَخْفَى عَلَيَّ الحَسَنُ مِنَ القَبِيحِ فَمَا يَمْنَعُنِي مِنْ أَنْ أَسْمَعَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ مَا يَقُولُ؟ فَإِنْ كَانَ الَّذِي يَأْتِي بِهِ حَسَناً قَبِلْتُهُ، وَإِنْ كَانَ قَبِيحاً تَرَكْتُهُ. فَمَكَثْتُ حَتَّى انْصَرَفَ إِلَى بَيْتِهِ، ثُمَّ اتَّبَعْتُهُ، حَتَّى إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ دَخَلْتُ مَعَهُ فَقُلْتُ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ قَوْمَكَ قَالُوا لِي كَذَا وَكَذَا لِلَّذِي قَالُوا لِي، فَوَاللَّهِ مَا تَرَكُونِي يُخَوِّفُونِي أَمْرَكَ حَتَّى سَدَدْتُ أُذُنَيَّ بِكُرْسُفٍ لِئَلا أَسْمَعَ قَوْلَكَ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ أَبَى إِلاَّ أَنْ يُسْمِعَنِيهِ فَسَمِعْتُ قَوْلاً حَسَناً، فَاعْرِضْ عَلَيَّ أَمْرَكَ. فَعَرَضَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، الإِسْلاَمَ، وَتَلاَ عَلَيْهِ القُرْآنَ، فَقَالَ: لاَ وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ قَوْلاً قَطُّ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا، وَلاَ أَمْراً أَعْدَلَ مِنْهُ. فَأَسْلَمْتُ، وَشَهِدْتُ شَهَادَةَ الحَقِّ. فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي امْرُؤٌ مُطَاعٌ فِي قَوْمِي، وَأَنَا رَاجِعٌ عَلَيْهِمْ فَدَاعِيهِمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ لِي عَوْناً عَلَيْهِمْ فِيمَا أَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ

اجْعَلْ لَهُ آيَةً. قَالَ: فَخَرَجْتُ إِلَى قَوْمِي حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِثَنِيَّةٍ تُطْلِعُنِي عَلَى الحَاضِرِ وَقَعَ نُورٌ بَيْنَ عَيْنَيَّ مِثْلَ المِصْبَاحِ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ فِي غَيْرِ وَجْهِي فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَظُنُّوا أَنَّهَا مُثْلَةٌ وَقَعَتْ فِي وَجْهِي لِفِرَاقِ دِينِهِمْ. فَتَحَوَّلَ النُّورُ فَوَقَعَ فِي رَأْسِ سَوْطِي، فَجَعَلَ الحَاضِرُ يَتَرَاءَوْنَ ذَلِكَ النُّورَ فِي سَوْطِي كَالقِنْدِيلِ المُعَلَّقِ.

وَبِهَذَا يَكُونُ الطُّفَيْلُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَدْ أَعْطَى مِثَالاً لِلْمُسْلِمِ فِي أَنْ لاَ يُصَدِّقَ كُلَّ مَا يُقَالُ، وَمَا يُبَثُّ مِنْ شَائِعَاتٍ، وَمَا يُحَاكُ مِنْ أَبَاطِيلَ وَلَوْ كَانَ مِنَ السَّادَةِ وَالمَسْؤُولِينَ حَيْثُ لَهُمْ مَصَالِحُ، وَلَهُمْ تَوَجُّهَاتُ، وَإِنَّمَا عَلَيْهِ أَنْ يَعْمَلَ فِكْرَهُ، وَيَتَّبِعَ الحقَّ، وَلَوْ حَارَبَهُ السَّادَةُ. فَالطُّفَيْلُ تَرَكَ مَا قَالَهُ سَادَةُ قُرَيْشٍ، وَأَوْصَلَهُ تَفْكِيرُهُ إِلَى الهُدَى الَّذِي أَخْرَجَهُ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ فِي ظُلُمَاتٍ هُوَ وَطُغَاةُ قُرَيْشٍ.

الطُّفَيْلُ الدَّاعِيَةُ:

يَقُولُ الطُّفَيْلُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مُتَابِعاً حَدِيثَهُ: وَلَمَّا دَخَلْتُ بَيْتِيَ أَتَانِي أَبِي فَقُلْتُ لَهُ: إِلَيْكَ عَنِّي يَا أَبَتَاهُ فَلَسْتَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْكَ، قَالَ: وَلِمَ يَا بُنَيَّ؟ قُلْتُ: إِنِّي أَسْلَمْتُ، وَاتَّبَعْتُ دِينَ مُحَمَّدٍ، قَالَ: يَا بُنَيَّ دِينِي دِينُكَ. قَالَ: فَقُلْتُ: فَاذْهَبْ وَاغْتَسِلْ، وَطَهِّرْ ثِيَابَكَ، ثُمَّ جَاءَ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ الإِسْلاَمَ فَأَسْلَمَ.

ثُمَّ أَتَتْنِي صَاحِبَتِي، فَقُلْتُ لَهَا: إِلَيْكِ عَنِّي، فَلَسْتُ مِنْكِ وَلَسْتِ مِنِّي، قَالَتْ: وَلِمَ بِأَبِي أَنْتَ؟ قُلْتُ: فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكِ الإِسْلَامُ، إِنِّي أَسْلَمْتُ، وَتَابَعْتُ دِينَ مُحَمَّدٍ، قَالَتْ: فَدِينِي دِينُكَ، قُلْتُ: فَاذْهَبِي إِلَى حِسِيْ ذِي الشَّرَى فَتَطَهَّرِي مِنْهُ. وَكَانَ ذُو الشَّرَى صَنَمُ دَوْسٍ، والحِسْيُ حِمَىً لَهُ يَحْمُونَهُ، وَبِهِ وَشَلٌ مِنْ مَاءٍ يَهْبِطُ مِنَ الجَبَلِ. فَقَالَتْ: بِأَبِي أَنْتَ أَتَخَافُ عَلَى الصَّبِيَّةِ مِنْ ذِي الشَّرَى شَيْئَاً؟ قُلْتُ: لَا، أَنَا ضَامِنٌ لِمَا أَصَابَكِ. قَالَ: فَذَهَبَتْ فَاغْتَسَلَتْ، ثُمَّ جَاءَتْ فَعَرَضْتُ عَلَيْهَا الإِسْلَامَ فَأَسْلَمَتْ. ثُمَّ دَعَوْتُ دَوْسَاً إِلَى الإِسْلَامِ فَأَبْطَأُوا عَلَيَّ. ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، بِمَكَّةَ، وَمَعِي أَبُو هُرَيْرَةَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ غَلَبَتْنِي دَوْسٌ فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: اللَّهُم اهْدِ دَوْسَاً، وَأْتِ بِهَا. وَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ: اخْرُجْ إِلَى قَوْمِكَ فَادْعُهُمْ وَارْفِقْ بِهِمْ. فَخَرَجْتُ إِلَيْهِمْ فَلَمْ أَزَلْ بِأَرْضِ دَوْسٍ أَدْعُوهَا حَتَّى هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، إِلَى المَدِينَةِ، وَمَضَى بَدْرٌ، وَأُحُدٌ، وَالخَنْدَقُ.

الطُّفَيْلُ المُهَاجِرُ:

وَفِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ يَرْتَحِلُ الطُّفَيْلُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَسْلَمَ مَعَهُ مُهَاجِرَاً إِلَى اللَّهِ، وَرَسُولِهِ، وَكَانَ مَعَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ،

رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ، فَيَقُـولُ الطُّفَيْـلُ: ثُـمَّ قَـدِمْـتُ عَلَـى رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، بِمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِي، وَرَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، بِخَيْبَرَ حَتَّى نَزَلْتُ المَدِينَةَ بِسَبْعِينَ أَوْ ثَمَانِينَ بَيْتاً مِنْ دَوْس، ثُمَّ لَحِقْنَا رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، بِخَيْبَرَ، فَأَسْهَمَ لَنَا مَعَ المُسْلِمِينَ، وَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْنَا مَيْمَنَتَكَ، وَاجْعَلْ شِعَارَنَا مَبْرُوراً، فَفَعَلَ، فَشِعَارُ الأَزْدِ كُلِّهَا إِلَى اليَوْمِ مَبْرُورُ. قَالَ الطُّفَيْلُ: ثُمَّ لَمْ أَزَلْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَكَّةَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْعَثْنِي إِلَى ذِي الكَفَّيْنِ صَنَم عَمْرِو بنِ حُمَمَةَ حَتَّى أَحْرِقَهُ. فَبَعَثَهُ إِلَيْهِ، فَأَحْرَقَهُ. وَجَعَلَ الطُّفَيْلُ يَقُولُ، وَهُوَ يُوقِدُ النَّارَ عَلَيْهِ، وَكَانَ مِنَ الخَشَبِ:

يَا ذَا الكَفَّيْنِ لَسْتُ مِنْ عِبَادِكَ ... مِيلَادُنَا أَقْدَمُ مِنْ مِيلَادِكَ

أَنَـا حَشَشْتُ النَّارَ فِي فُـؤَادِكَ

قَالَ الطُّفَيْلُ: فَلَمَّا أَحْرَقْتُ ذَا الكَفَّيْنِ بَانَ لِمَنْ بَقِيَ مُتَمَسِّكاً بِهِ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى شَيْءٍ فَأَسْلَمُوا جَمِيعاً. وَرَجَعَ الطُّفَيْلُ بنُ عَمْرٍو إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، فَكَانَ مَعَهُ بِالمَدِينَةِ حَتَّى قُبِضَ.

الطُّفَيْلُ المُجَاهِدُ:

مُنْذُ أَنْ وَصَلَ الطُّفَيْلُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى المَدِينَةِ مُهَاجِراً

مَعَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ، وَوَجَدَ المُسْلِمِينَ قَدْ خَرَجُوا مَعَ رَسُولِهِمُ الكَرِيمِ مُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَوِجْهَتُهُمْ خَيْبَرُ، فَسَارَ بِمَنْ مَعَهُ وَرَاءَهُمْ، وَمَا أَنْ وَصَلَ إِلَى خَيْبَرَ حَتَّى كَانَ فَتْحُهَا قَدِ انْتَهَى بِإِذْنِ اللَّهِ، وَقَدْ قَسَمَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، مِنَ الغَنَائِمِ حَيْثُ عَدَّوُهُمْ ضِمْنَ المُجَاهِدِينَ، فَإِنَّهُمْ مَا خَرَجُوا إِلَّا بِقَصْدِ الجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وَأَقَامَ الطُّفَيْلُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِالمَدِينَةِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، مَا يَسِيرُ إِلَى غَزْوَةٍ إِلَّا سَارَ مَعَهُ، وَمَا تَنْطَلِقُ سَرِيَةٌ إِلَّا وَهُوَ فِي عِدَادِ أَفْرَادِهَا. وَاسْتَمَرَّ فِي ذَلِكَ حَتَّى تُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَبَايَعَ المُسْلِمُونَ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ خَلِيفَةً لَهُمْ، وَبَايَعَ الطُّفَيْلُ. وَارْتَدَّتْ بَعْضُ العَرَبِ عَنِ الإِسْلَامِ، وَجَنَّدَ الصِّدِّيقُ الجُيُوشَ لِقِتَالِ المُرْتَدِّينَ، فَوَضَعَ الطُّفَيْلُ نَفْسَهُ ضِمْنَ مُقَاتِلِي المُرْتَدِّينَ، وَكَانَ تَحْتَ لِوَاءِ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَاتَلُوا بَنِي أَسَدٍ فِي «البُزَاخَةِ»، ثُمَّ اتَّجَهُوا بِأَمْرِ الخَلِيفَةِ إِلَى بَنِي يُرْبُوعَ مِنْ تَمِيمٍ فِي «البِطَاحِ»، وَكَانَ عَلَيْهِمْ مَالِكُ بنُ نُوَيْرَةَ، وَالخِلَافُ فِي بَنِي تَمِيمٍ عَلَى أَشُدِّهِ، وَقَدْ جَاءَتْهُمْ سَجَاحُ مِنَ الجَزِيرَةِ بِبَنِي تَغْلبٍ، وَهِيَ يُربُوعِيَّةٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَدَخَلَتْ بِلَادَهُمْ، فَوَادَعَهَا

مَنْ وَادَعَهَا، وَفَرَّ مِنْ وَجْهِهَا مَنْ فَرَّ. وَسَارَتْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى اليَمَامَةِ فَخَافَهَا مُسَيْلَمَةُ فَاسْتَأْمَنَهَا فَأَمَّنَتْهُ، وَتَزَوَّجَهَا، وَبَقِيَتْ عِنْدَهُ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى أَرْضِ قَوْمِهَا. وَكَانَتْ قَدْ تَنَبَّأَتْ مِثْلَ مُسَيْلَمَةَ، وَسَارَ مَعَهَا عَدَدٌ مِنْ وُجَهَاءِ بَنِي تَمِيمٍ، وَكَانَتْ قَدْ صَالَحَتْ مُسَيْلَمَةَ عَلَى نِصْفِ غَلاَّتِ اليَمَامَةِ... وَعِنْدَمَا عَادَتْ إِلَى الجَزِيرَةِ وَجَاءَ المُسْلِمُونَ فَاتِحِينَ أَسْلَمَتْ، وَحَسُنَ إِسْلاَمُهَا.

وَعِنْدَمَا عَادَتْ سَجَاحُ إِلَى الجَزِيرَةِ تَحَيَّرَ بَنُو تَمِيمٍ الَّذِينَ وَادَعُوهَا، وَنَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ، وَلَمْ يَلْبَثُوا حَتَّى وَصَلَتْ إِلَيْهِمْ جُيُوشُ خَالدِ بنِ الوَلِيدِ، وَبَيْنَهُمْ الطُّفَيْلُ، فَنَالَ المُخَالِفُونَ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ عِقَابَهُمْ، وَسَارَ خَالِدُ وَمَنْ مَعَهُ بَعْدَئِذٍ إِلَى اليَمَامَةِ. وَفِي الطَّرِيقِ رَأَى الطُّفَيْلُ رُؤْيَا، يَقُولُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ثُمَّ خَرَجْتُ بِبَعْثِ مَسَيْلَمَةَ، وَمَعِي ابْنِي عَمْرُو، حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ رَأَيْتُ رُؤْيَا، رَأَيْتُ كَأَنَّ رَأْسِي حُلِقَ، وَخَرَجَ مِنْ فَمِي طَائِرٌ، وَكَأَنَّ امْرَأَةً أَدْخَلَتْنِي فِي فَرْجِهَا، وَكَأَنَّ ابْنِي يَطْلُبُنِي طَلَباً حَثِيثاً، فَحِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، فَحَدَّثْتُ بِهَا قَوْمِي، فَقَالُوا: خَيْراً. أَمَّا أَنَا فَقَدْ أَوَّلْتُهَا: أَمَّا حَلْقُ رَأْسِي فَقَطْعُهُ، وَأَمَّا الطَّائِرُ فَرُوحِي، وَالمَرْأَةُ الأَرْضُ أُدْفَنُ فِيهَا، فَقَدْ رُوِّعْتُ أَنْ أُقْتَلَ شَهِيداً، وَأَمَّا طَلَبُ ابْنِي إِيَّايَ، فَمَا أَرَاهُ إِلاَّ سَيُعْذَرُ فِي طَلَبِ الشَّهَادَةِ، وَلاَ

أَرَاهُ يَلْحَقُ فِي سَفَرِهِ هَذَا.

وَالْتَقَى الْمُسْلِمُونَ بِمُسَيْلَمَةَ وَأَتْبَاعِهِ فِي عَقْرَبَاءَ (الجُبَيْلَة) قُرْبَ حَدِيقَةِ المَوْتِ، وَوَقَعَ قِتَالٌ عَنِيفٌ، أَبْلَى فِيهِ الطُّفَيْلُ بَلاَءً حَسَناً، ثُمَّ سَقَطَ شَهِيداً، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَمَّا ابْنُهُ عَمْرُو فَقَاتَلَ أَيْضاً بِشَجَاعَةٍ فَائِقَةٍ، وَأُصِيبَ بِعِدَّةِ جِرَاحَاتٍ، وَقُطِعَتْ كَفُّهُ اليُمْنَى، وَلَكِنْ لَمْ يَحْظَ بِالشَّهَادَةِ فِي هَذِهِ المَعْرَكَةِ، وَعَادَ إِلَى المَدِينَةِ، وَاسْتَبَلَّتْ يَدُهُ وَصَحَّتْ.

وَكَانَ عَمْرُو بنُ الطُّفَيْلِ عِنْدَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ أَيَّامَ خِلاَفَةِ الصِّدِّيقِ، إِذْ أُتِيَ بِطَعَامٍ فَتَنَحَّى عَنْهُ عَمْرُو، فَقَالَ عُمَرُ: مَا لَكَ لَعَلَّكَ تَنَحَّيْتَ لِمَكَانِ يَدِكَ؟ قَالَ: أَجَلْ، قَالَ: وَاللَّهِ لاَ أَذُوقُهُ حَتَّى تَسُوطَهُ بِيَدِكَ، فَوَاللَّهِ مَا فِي القَوْمِ أَحَدٌ بَعْضُهُ فِي الجَنَّةِ غَيْرُكَ.

وَمَا أَنِ انْتَهَتْ حُرُوبُ الرِّدَةِ حَتَّى دَعَا الصِّدِّيقُ المُسْلِمِينَ لِلتَّعْبِئَةِ فِي الجُيُوشِ الَّتِي سَتَسِيرُ لِقِتَالِ الفُرْسِ وَالرُّومِ الَّذِينَ كَانُوا يُؤَيِّدُونَ حَرَكَةَ الرِّدَةِ، وَيَدْعَمُونَهَا، وَانْضَمَّ عَمْروُ بنُ الطُّفَيْلِ إِلَى المُجَاهِدِينَ الَّذِينَ يَتَّجِهُونَ إِلَى الشَّامِ، وَاشْتَرَكَ فِي مَعْرَكَةِ اليَرْمُوكَ، وَأَبْلَى فِيهَا البَلاَءَ الحَسَنَ، وَنَالَ الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَرْضَاهُ. وَيُعَدُّ عَمْرُو بنُ الطُّفَيْلِ، رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُمَا، صَحَابِيّاً، كَمَا يُمْكِنُ أَنْ يُعَدَّ جَدُّهُ عَمْرُو وَالِدُ الطُّفَيْلِ صَحَابِيّاً، وَلَكِنْ لَمْ يُعْرَفْ أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

بُنَاة دَوْلَةِ الإسْلام

٦٥

أَبُو هُرَيْرَةَ

عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ صَخْرٍ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على رسول الله، محمد بن عبد الله، خاتم الأنبياء والمرسلين، وإمام المتقين، وقائد الغرّ المحجّلين، وعلى إخوانه أنبياء الله ورسله، وعلى آله، وصحبه، ومن سار على دربه إلى يوم الدين، **أما بعد**:

فإن لكل نهجٍ قويمٍ حاقدين من أصحاب المناهج المنحرفة، ولكل تفكيرٍ سليمٍ حاسدين من أصحاب الأفكار الضالة والمعوجّة، ولكل رجلٍ علمٍ منافسين من أهل الحقد والحسد الذين لم ترتفع بهم الهمة ليكونوا على مستوى الرجال الكبار من أصحاب المكانة والمنزلة والعلم.

لقد سار أبو هريرة، رضي الله عنه، على نهج الإسلام منذ أن اعتنقه، وكان صاحب تفكير سليمٍ، ورأيٍ سديدٍ، وسمع من رسول الله، ﷺ، ما يقرب من أربع سنواتٍ، وعمل بجوارحه كلها للاستيعاب والوعي، وأعمل فكره للحفظ، وبذل جهده للمحافظة على الصحبة، فحيثما سار رسول الله، ﷺ، كان بجانبه إلا في المواضع والأماكن التي لا يدخل إليها رسول الله

مع غيره. هذه الرفقة، وهذا الحرص على الحفظ جعلا منه راويةً عالماً، ومع الاستقامة على المنهج، وسلامة التفكير أصبح أبو هريرة علماً فأثار ذلك غيظ الحاقدين فأخذوا ينفثون سمومهم ضده.

لا يفكر أحد بالنيل من الصغار إذ لا طائلة منه، كما لا يفكر ذلك من يريد الرفعة أو الشهرة حيث لا يستفيد من ذلك، وإنما يقع الهجوم على الأعلام، ويحرص الحاقدون على النيل من أصحاب المكانة، وعظماء الرجال، ولذا كان أبو هريرة، رضي الله عنه، هدفاً لسهام الحاقدين على الإسلام، وعلى صحابة رسول الله، ﷺ، لأنه علم من العلماء. فأخذوا يُشككون بمروياته من أحاديث رسول الله، ﷺ، بحجة أنها كثيرة.

فنرجو من الله أن نوفّق في إعطاء صورةٍ صادقةٍ عن هذا الصحابي الجليل، والعلم الفذّ، والله ولي التوفيق.

وُلِدَ أَبُو هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ وَالعِشْرِينَ قَبْلَ الهِجْرَةِ، فَهُوَ مِنْ أَتْرَابِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ، وَسَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وَأُمُّهُ هِيَ مَيْمُونَةُ بِنْتُ صُبَيْحٍ إِحْدَى نِسَاءِ دَوْسٍ قَبِيلَةِ أَبِيهِ. وَقِيلَ: اسْمُهَا أُمَيْمَةُ.

كَانَ اسْمُهُ «عَبْدُ شَمْسٍ» فَسَمَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، «عَبْدَ الرَّحْمَنِ» وَتُوُفِّيَ أَبُوهُ، وَهُوَ صَغِيرٌ، فَنَشَأَ يَتِيماً لَكِنَّهُ كَانَ أَبِيّاً، عَزِيزَ النَّفْسِ. وَقَدْ رَعَى الغَنَمَ لِأَهْلِهِ، وَقَاسَى الفَقْرَ، وَكَانَ عِنْدَهُ عَطْفٌ وَرَحْمَةٌ عَلَى تِلْكَ الحَيَوَانَاتِ الَّتِي يَرْعَاهَا وَعَلَى أُولَئِكَ الفُقَرَاءِ مِنْ أَمْثَالِهِ.

وَلَمَّا أَسْلَمَ الطُّفَيْلُ بنُ عَمْرٍو، وَأَخَذَ يَدْعُو قَوْمَهُ، أَسْلَمَ مَعَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ، أَمَّا أَكْثَرِيَّةُ قَوْمِهِ فَقَدْ أَبْطَأُوا عَلَيْهِ، فَذَهَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَسَافَرَ مَعَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، لاَ يَزَالُ فِي مَكَّةَ لَمْ يُهَاجِرْ إِلَى المَدِينَةِ بَعْدُ. وَشَكَا الطُّفَيْلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ قَوْمَهُ وَمَا لَقِيَ مِنْهُمْ مِنْ صُدُودٍ عَنِ

الدَّعْوَةِ، وَقُلُوبٍ غُلْفٍ عَنِ الحَقِّ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَدْعُوَ عَلَيْهِمْ. فَتَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، وَصَلَّى رُكْعَتَيْنِ، وَيَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: إِنَّهُ قَدْ خَافَ أَنْ يَدْعُوَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى قَبِيلَتِهِ دَوْسٍ فَتَهْلَكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْساً وائتِ بِهَا». وَقَالَ لِلطُّفَيْلِ: «اخْرُجْ إِلَى قَوْمِكَ وَارْفِقْ بِهِمْ». فَرَجَعَ الطُّفَيْلُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ إِلَى دَوْسٍ، وَأَخَذَ يَدْعُو قَوْمَهُ فَانْفَتَحَتْ لَهُ قُلُوبٌ كَانَتْ فِي أَكِنَّةٍ مِنْ قَبْلُ، وَاسْتَمَعَتْ لَهُ آذَانٌ كَانَ فِيهَا وَقْرٌ سَابِقاً، فَاسْتَجَابَ لَهُ أَعْدَادٌ مِنْ دَوْسٍ، وَلَمْ يَزَلْ بِأَرْضِ دَوْسٍ حَتَّى مَطْلَعِ السَّنَةِ السَّابِعَةِ حَيْثُ خَرَجَ مُهَاجِراً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، بِالمَدِينَةِ، وَكَانَ مَعَهُ عَدَدٌ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا وَيَصِلُ عَدَدُهُمْ إِلَى سَبْعِينَ أَوْ ثَمَانِينَ بَيْتاً، وَبَيْنَهُمْ أَبُو هُرَيْرَةَ.

وَعِنْدَمَا وَصَلَ مُهَاجِرُو دَوْسٍ إِلَى المَدِينَةِ، وَكَانَ بَيْنَهُمْ أَبُو هُرَيْرَةَ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، وَالمُسْلِمُونَ مَعَهُ عَلَى أَبْوَابِ خَيْبَرَ يُقَاتِلُونَ يَهُودَ الَّذِينَ لَمْ تَنْقَطِعْ فِتَنُهُمْ بَعْدُ، وَلَمْ تَنْتَهِ مَفَاسِدُهُمْ، وَقَدْ صَلَّى مُهَاجِرُو دَوْس الفَجْرَ بِالمَدِينَةِ خَلْفَ سِبَاعِ بنِ عُرْفُطَةَ، فَقَرَأَ فِي الرُّكْعَةِ الأُولَى سُورَةَ مَرْيَمَ، وَفِي الآخِرَةِ سُورَةَ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: (وَيْلٌ لِأَبِي! قَلَّ رَجُلٌ كَانَ بِأَرْضِ الأَزْدِ إِلاَّ وَكَانَ لَهُ مِكْيَالاَنِ، مِكْيَالٌ لِنَفْسِهِ،

وَآخَرَ يَبْخَسُ بِهِ النَّاسَ)[1]. وَبَعْدَهَا لَحِقْتَ مُهَاجِرَةُ دَوْس بِرَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَالمُجَاهِدِينَ مَعَهُ بِخَيْبَرَ، وَقَسَمَ لَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، مِنَ الغَنَائِمِ.

وَكَانَ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ غُلَامٌ لَهُ وَقَدْ ضَلَّ عَنْهُ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي اجْتَمَعَ فِي صَبِيحَتِهَا بِرَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَأَنَّهُ جَعَلَ يُنْشِدُ:

يَا لَيْلَةً مِنْ طُولِهَا وَعَنَائِهَا عَلَى أَنَّهَا مِنْ دَارَةِ الكُفْرِ نَجَتِ

فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، طَلَعَ غُلَامُهُ، فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «هَذَا غُلَامُكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ»، فَقَالَ: هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللَّهِ.

وَقَدْ لَازَمَ النَّبِيَّ، ﷺ، إِلَى آخِرِ حَيَاتِهِ، وَهِيَ مُدَّةٌ تَقْرُبُ مِنْ أَرْبَعَةِ أَعْوَامٍ، قَصَرَ نَفْسَهُ فِيهَا عَلَى خِدْمَتِهِ، وَتَلَقَّى العِلْمَ مِنْهُ، فَكَانَ يَدُورُ مَعَهُ، يَدْخُلُ بَيْتَهُ، وَيَحِجُّ وَيَغْزُو مَعَهُ، يُرَافِقُهُ فِي حِلِّهِ وَسَفَرِهِ، حَتَّى أَخَذَ عَنْهُ العِلْمَ الغَزِيرَ.

إِسْلَامُ أُمِّ أَبِي هُرَيْرَةَ:

أَسْلَمَ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَهُوَ فِي دِيَارِ دَوْس، عَلَى يَدِ الطُّفَيْلِ بنِ عَمْرٍو، وَهَاجَرَ مَعَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، إِلَّا أَنَّ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٥٨٩.

قَدْ بقِيَتْ علَى الشِّرْكِ، وكَانَ يَدْعُوهَا إِلَى الإِسْلاَمِ فَلاَ تَسْتَجِيبُ، فَيُصِيبُهُ الكَثِيرَ مِنَ الهَمِّ وَالحُزْنِ خَوْفاً عَلَيْهَا مِنَ النَّارِ، وَرَحْمَةً بِهَا. وَقَدْ دَعَاهَا ذَاتَ يَوْمٍ فَغَضِبَتْ، وَأَسْمَعَتْهُ فِي رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، مَا يَكْرَهُ. يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَأَنَا أَبْكِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ إِلَى الإِسْلاَمِ فَتَأْبَى عَلَيَّ، وَإِنِّي دَعَوْتُهَا اليَوْمَ، فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعْدِي[1] أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ إِلَى الإِسْلاَمِ. فَفَعَلَ. فَجِئْتُ البَيْتَ، فَإِذَا البَابُ مُجَافٍ، وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ المَاءِ، وَسَمِعَتْ حِسِّي، فَقَالَتْ: كَمَا أَنْتَ، فَلَبِسَتْ دِرْعَهَا، وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا، ثُمَّ قَالَتْ: ادْخُلْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، فَدَخَلْتُ، فَقَالَتْ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَجِئْتُ أَسْعَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، أَبْكِي مِنَ الفَرَحِ، كَمَا كُنْتُ أَبْكِي مِنَ الحُزْنِ، فَقُلْتُ: أَبْشِرْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَدْ أَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ، قَد هَدَى اللَّهُ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ إِلَى الإِسْلاَمِ، ثُمَّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُحَبِّبَنِي وَأُمِّي إِلَى المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ، وَإِلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا وَأُمَّهُ إِلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، فَلَيْسَ

(١) يعدي: يشرح صدر.

يَسْمَعُ بِي مُؤْمِنٌ وَلاَ مُؤَمِنَةٌ إِلاَّ أَحَبَّنِي.

وَقَدْ فَرِحَ أَبُو هُرَيْرَةَ بِإِسْلاَمِ أُمِّهِ فَرَحاً شَدِيداً، وَكَانَ بَارّاً بِهَا، يَخْدُمُهَا كُلَّ حَيَاتِهَا، وَلَمْ يَرْغَبْ بِمُفَارَقَتِهَا، وَلَمْ يَحُجَّ حَتَّى مَاتَتْ رَغْبَةً فِي خِدْمَتِهَا حَيْثُ عَجزَتْ وَلَمْ تَسْتَطِعْ الحَجَّ مَعَهُ.

كِنْيَةُ أَبِي هُرَيْرَةَ:

عُرِفَ أَبُو هُرَيْرَةَ بِكِنْيَتِهِ حَتَّى غَلَبَتْ عَلَى اسْمِهِ فَكَادَ يُنْسَى، وَرُبَّمَا كَانَ هَذَا سَبَبُ الاخْتِلاَفِ فِي اسْمِهِ. وَسُئِلَ هُوَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لِمَ كِنِّيتَ بِذَلِكَ؟ قَالَ: كُنِّيتُ أَبَا هُرَيْرَةَ لِأَنِّي وَجَدْتُ هِرَّةً فَحَمَلْتُهَا فِي كُمِّي، فَقِيلَ لِي: أَبُو هُرَيْرَةَ. كَمَا يُرْوَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: وَجَدْتُ هِرَّةً وَحْشِيَّةً، فَأَخَذْتُ أَوْلاَدَهَا، فَقَالَ لِي أَبِي: مَا هَذِهِ الَّتِي فِي حِجْرِكَ؟ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: أَنْتَ أَبُو هُرَيْرَةَ.

مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

التَقَى أَبُو هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، أَوَّلَ مَرَّةٍ عِنْدَمَا جَاءَ مَعَ الطُّفَيْلِ بنِ عَمْرٍو، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِنْ أَرْضِ دَوْسٍ إِلَى مَكَّةَ حَيْثُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، لاَ يَزَالُ فِيْهَا، لَمْ يُهَاجِرْ مِنْهَا إِلَى المَدِينَةِ، وَقَدْ شَكَا الطُّفَيْلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ قَوْمَهُ، وَمَا لَقِيَ مِنْهُمْ مِنْ صُدُودٍ عَنِ الدَّعْوَةِ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَدْعُوَ عَلَيْهِمْ. فَخَافَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَنْ يَدْعُوَ الرَّسُولُ عَلَى دَوْسٍ فَتَهْلَكَ، غَيْرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، قَدْ دَعَا لَهُمْ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْساً» كَمَا طَلَبَ مِنَ الطُّفَيْلِ أَنْ يَرْفِقَ بِقَبِيلَتِهِ، فَقَالَ لَهُ: «اخْرُجْ إِلَى قَوْمِكَ وَارْفِقْ بِهِمْ». فَأَحَسَّ أَبُو هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِحِرْصِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، عَلَى أُمَّتِهِ وَرَحْمَتِهِ بِالمُؤْمِنِينَ، وَالطُّفَيْلُ وَأَبُو هُرَيْرَةَ مُؤْمِنَانِ فَلَوْ أَصَابَ قَوْمَهُمَا شَيْءٌ لَتَأَثَّرَا عَلَى أَصْحَابِ المُصِيبَةِ قَرَابَةً وَشَفَقَةً. كَمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، يُرِيدُ الهِدَايَةِ

لِلنَّاسِ جَمِيعَاً، وَيَرْغَبُ بِالخَيْرِ لِلخَلْقِ كُلِّهِمْ، وَمَعَ كُلِّ مَا لَقِيَ مِنْ عَنَتِ قُرَيْشٍ، وَظُلْمِهَا لِلْمُؤْمِنِينَ، كَانَ لاَ يَدْعُو عَلَيْهَا بَلْ يَدْعُو لَهَا بِالهِدَايَةِ فَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ». بَلْ لَمْ يَكُنْ لِيَدْعُوَ عَلَى الطُّغَاةِ وَإِنَّمَا يَدْعُو لَهُمْ، وَيَقُولُ ﷺ: «لَعَلَّهُ يَخْرُجُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَقُولُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ» لِهَذَا كُلِّهِ دَعَا لِقَبِيلَةِ دَوْسٍ، وَلَمْ يَدْعُ عَلَيْهَا.

وَشَعَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِمَا فِي قَلْبِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، ذَلِكَ القَلْبِ العَظِيمِ مِنْ حِرْصٍ لِأُمَّتِهِ، وَرَحْمَةٍ بِالمُؤْمِنِينَ، وَحُبٍّ لِهِدَايَةِ النَّاسِ، وَرَغْبَةٍ فِي حُبِّ الخَيْرِ لِلْخَلْقِ جَمِيعَاً، فَتَرَسَّخَ إِيمَانُ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي قَلْبِهِ، وَأَصْبَحَ حُبُّ اللَّهِ وَحُبُّ رَسُولِهِ هُوَ كُلُّ مَا فِيهِ، مَا يُنَازِعُهُ شَيءٌ سِوَاهُمَا. وَلَكِنْ لَمْ يَلْبَثْ الطُّفَيْلُ وَأَبُو هُرَيْرَةَ أَنْ غَادَرَا مَكَّةَ وَارْتَحَلاَ عَنْهَا رَاجِعَيْنِ إِلَى دِيَارِ قَبِيلَتِهِمَا دَوْسٍ.

وَلَكِنْ إِنْ رَجَعَ أَبُو هُرَيْرَةَ إِلَى أَهْلِهِ وَمَنَازِلِ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنَّ قَلْبَهُ بَقِيَ مُرْتَبِطَاً بِمَنْ أَحَبَّ، بِرَسُولِهِ الكَرِيمِ، عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ. بَقِيَ يُفَكِّرُ دَائِمَاً بِمَا لاَحَظَهُ مِنْهُ مِنْ حُبٍّ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَمِنْ رَحْمَةٍ بِهِمْ، وَيُفَكِّرُ بِالوَحْيِ، وَيَنْظُرُ إِلَى الخَيْرِ العَمِيمِ الَّذِي سَتَنَالُهُ البَشَرِيَّةُ إِذَا أَخَذَتْ بِهَدْيِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، الَّذِي يَأْخُذُهُ عَنْ

طَرِيقِ الوَحْيِ، بَقِيَ مُدَّةَ إِقَامَتِهِ فِي دِيَارِ دَوْسٍ يُشْغِلُهُ هَذَا التَّفْكِيرُ، حَتَّى إِذَا كَانَتِ الهِجْرَةُ الدَّائِمَةُ مَعَ الطُّفَيْلِ بنِ عَمْرٍو وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ، وَوَصَلُوا إِلَى المَدِينَةِ، ثُمَّ لَحِقُوا بِرَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَالمُسْلِمِينَ إِلَى خَيْبَرَ. فَلَمَّا عَادُوا مِنْ خَيْبَرَ إِلَى المَدِينَةِ وَقَرَّرُوا الاسْتِقْرَارَ فِي دَارِ الهِجْرَةِ عَزَمَ أَبُو هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَلَى الأَخْذِ قَدْرَ طَاقَتِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَهَذَا لاَ يَكُونُ إِلاَّ بِالتَّفَرُّغِ، وَالقُرْبِ مِنْ رَسُولِهِ الكَرِيمِ، لِذَا قَرَّرَ البَقَاءَ فِي المَسْجِدِ لِيَكُونَ قَرِيباً مِنْ حُجُرَاتِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، يَخْدُمُهُ، وَيُرَافِقُهُ حَيْثُ يُمْكِنُ مُرَافَقَتُهُ فِي سَبِيلِ أَنْ يَنْهَلَ مِنْ عِلْمِهِ، وَيَتَأَدَّبَ مِنْ أَدَبِهِ، إِضَافَةً إِلَى حُبِّهِ، وَطَاعَتِهِ، وَفِي ذَلِكَ أَيْضاً إِرْضَاءً لِلَّهِ، وَرَسُولِهِ.

وَمَعَ قَرَارِهِ هَذَا وَطَّنَ نَفْسَهُ أَنْ يَتَحَمَّلَ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ الجُوعَ، وَالصَّبْرَ، وَالضَّغْطَ عَلَى النَّفْسِ الَّتِي قَدْ تَرْغَبُ مِنْ صَاحِبِهَا أَنْ يَمِيلَ بِهَا نَحْوَ مَتَاعِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَبَاهِجِهَا. وَعَلَى هَذَا كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ الَّذِينَ يَعِيشُونَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، مِنْ فُقَرَاءِ المُهَاجِرِينَ، وَالَّذِينَ لاَ مَنَازِلَ لَهُمْ. وَكَانَ لِهَؤُلاَءِ دَوْرٌ مُهِمٌّ حَيْثُ كَانُوا يَأْخُذُونَ القُرْآنَ الكَرِيمَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ يَتَلَقَّاهُ عَنِ الوَحْيِّ، وَيَحْفَظُونَهُ، كَمَا

يَسْتَمِعُونَ إِلَى أَحَادِيثِ رَسُولِ اللَّهِ، وَتَسْتَوْعِبُهَا عُقُولُهُمْ. كَمَا يُنَفِّذُونَ أَوَامِرَ رَسُولِ اللَّهِ، وَحَاجَاتِهِ، وَيَدْعُونَ لَهُ مَنْ يُرِيدُهُ مِنْ صَحَابَتِهِ.

عَاشَ أَبُو هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَرْبَعَ سَنَوَاتٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، عَلَى هَذِهِ الحَالِ، وَهَذَا مَا سَاعَدَهُ عَلَى أَنْ يَأْخُذَ عَنْهُ شَيْئاً كَثِيراً، فَقَدْ رَوَى عَنْهُ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسَةِ آلافٍ وَثَلاثَمِائَةِ حَدِيثٍ، وَرَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَكْثَرُ مِنْ ثَمَانِمِائَةِ رَاوٍ لِلْحَدِيثِ.

لَمْ يُفَارِقْ أَبُو هُرَيْرَةَ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، فِي هَذِهِ المُدَّةِ كُلِّهَا إِلاَّ حِينَ بَعَثَهُ مَعَ العَلاَءِ الحَضْرَمِيِّ إِلَى البَحْرَيْنِ، وَوَصَّاهُ بِهِ، فَجَعَلَهُ العَلاَءُ مُؤَذِّناً بَيْنَ يَدَيْهِ. وَعِنْدَمَا أَرْسَلَهُ مَرَّةً ثَانِيَةً مَعَ قُدَامَةَ لأَخْذِ جِزْيَةِ البَحْرَيْنِ، حَيْثُ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، كِتَاباً إِلَى المُنْذِرِ بنِ سَاوِي أَمِيرِ البَحْرَيْنِ فَقَالَ: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي بَعَثْتُ إِلَيْكَ قُدَامَةَ وَأَبَا هُرَيْرَةَ، فَادْفَعْ إِلَيْهِمَا مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ جِزْيَةِ أَرْضِكَ وَالسَّلاَمُ». وَهَذَا مَا جَعَلَهُ يَجْمَعُ الكَثِيرَ مِنَ الحَدِيثِ النَّبَوِيِّ، إِضَافَةً إِلَى أَنَّ حِفْظَهُ كَانَ مُعْجِزَةً مِنْ مُعْجِزَاتِ النُّبُوَّةِ، فَيُرْوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: تَقُولُونَ: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَتَقُولُونَ: مَا لِلْمُهَاجِرِينَ

وَالأَنْصَارِ لاَ يُحَدِّثُونَ مِثْلَهُ! وَإِنَّ إِخْوَانِي المُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ، وَكَانَ إِخْوَانِي مِنَ الأَنْصَارِ يَشْغَلُهُمْ عَمَلُ أَمْوَالِهِمْ، وَكُنْتُ امْرَأً مِسْكِينَاً مِنْ مَسَاكِينِ الصُّفَّةِ أَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، عَلَى مِلْءِ بَطْنِي فَأَحْضَرُ حِينَ يَغِيبُونَ، وَأَعِي حِينَ يَنْسَوْنَ. وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، فِي حَدِيثٍ يُحَدِّثُهُ يَوْمَاً: «إِنَّهُ لَنْ يَبْسُطَ أَحَدٌ ثَوْبَهُ حَتَّى أَقْضِيَ جَمِيعَ مَقَالَتِي، ثُمَّ يَجْمَعُ إِلَيْهِ ثَوْبَهُ، إِلاَّ وَعِيَ مَا أَقُولُ». فَبَسَطْتُ نَمِرَةً عَلَيَّ، حَتَّى قَضَى مَقَالَتَهُ، جَمَعْتُهَا إِلَى صَدْرِي. فَمَا نَسِيتُ مِنْ مَقَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، تِلْكَ مِنْ شَيْءٍ[1].

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ؟ قَالَ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا يَسْأَلُ عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ: إِنَّ أَسْعَدَ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ خَالِصَاً مِنْ نَفْسِهِ»[2].

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ مَرَّ بِأَبِي هُرَيْرَةَ ـ وَهُوَ

(١) البخاري ٤/٢٤٧ في البيوع. ومسلم ٢٤٩٢ في باب فضائل الصحابة.

(٢) البخاري ١/١٧٣ في العلم. و ١١/٣٨٥ في الرقاق. كما رواه أحمد ٢/٣٧٣، وابن سعد، وابن عساكر.

يُحَدِّثُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، قَالَ: «مَنْ تَبِـعَ جَنَازَةً فَلَهُ قِيرَاطٌ» فَقَالَ: انْظُرْ مَا تُحدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ! فَقَامَ أَبُو هُرَيْرَةَ، فَأَخَذَهُ بِيَـدِهِ إِلَـى عَـائِشَـةَ، فَقَـالَ لَهَـا: أُنْشِـدُكِ بِـاللَّـهِ، هَـلْ سَمِعْـتِ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «مَنْ تَبِعَ جَنَازَةً فَلَهُ قِيرَاطٌ» فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: لَمْ يَكُنْ يُشْغِلُنِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، غَرْسُ الوَدِيِّ وَلاَ صَفْقٌ فِي الأَسْوَاقِ، وَإِنَّمَا كُنْتُ أَطْلُبُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ كَلِمَةً يُعَلِّمْنِيهَا؛ أَوْ أَكْلَةً يُطْعِمْنِيهَا.

فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: كُنْتَ أَلْزَمَنَا لِرَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَأَعْلَمَنَا بِحَدِيثِهِ[1].

وَفِي سُنَنِ النَّسَائِيِّ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، دَعَا لِنَفْسِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْماً لاَ يُنْسَى. فَقَالَ النَّبِيُّ، ﷺ: «آمِينْ»[2].

عَاشَ أَبُو هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي الصُّفَّةِ يَتَحَمَّلُ الجُوعَ، وَيَصْبِرُ عَلَى الفَقْرِ. قَالَ ابْنُ سِيرِينَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: لَقَدْ رَأَيْتَنِي أُصْرَعُ بَيْنَ القَبْرِ وَالْمِنبَرِ مِنَ الجُوعِ، حَتَّى يَقُولُوا: مَجْنُونٌ[3].

(١) سير أعلام النبلاء ٢/٦١٦، ٦١٧.
(٢) سير أعلام النبلاء ٢/٦٢٨.
(٣) حلية الأولياء ١/٣٧٨.

هِشَامُ، عَنْ مُحَمَّدٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَتَمَخَّطَ فَمَسَحَ بِرِدَائِهِ، وَقَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَمَخَّطَ أَبُو هُرَيْرَةَ فِي الكِتَّانِ! لَقَدْ رَأَيْتَنِي، وَإِنِّي لَأَخِرُّ فِيمَا بَيْنَ مَنْزِلِ عَائِشَةَ وَالْمِنْبَرِ مَغْشِيًّا عَلَيَّ مِنَ الجُوعِ، فَيَمُرُّ الرَّجُلُ، فَيَجْلِسُ عَلَى صَدْرِي، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: لَيْسَ الَّذِي تَرَى، إِنَّمَا هُوَ الجُوعُ[١].

عُمَرُ بنُ ذَرٍّ: حَدَّثَنَا مُجَاهِدٌ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لَأَشُدُّ الحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الجُوعِ؛ وَلَقَدْ قَعَدْتُ عَلَى طَرِيقِهِمْ، فَمَرَّ بِي أَبُو بَكْرٍ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ـ مَا أَسْأَلُهُ إِلَّا لِيَسْتَتْبِعَنِي ـ فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، فَمَرَّ عُمَرُ فَكَذَلِكَ، حَتَّى مَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، فَعَرَفَ مَا فِي وَجْهِي مِنَ الجُوعِ، فَقَالَ: «أَبُو هُرَيْرَةَ»؟ قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَدَخَلْتُ مَعَهُ البَيْتَ، فَوَجَدَ لَبَناً فِي قَدَحٍ، فَقَالَ: «مِنْ أَيْنَ لَكُمْ هَذَا»؟ قِيلَ: أَرْسَلَ بِهِ إِلَيْكَ فُلَانٌ. فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، انْطَلِقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ، فَادْعُهُمْ» ـ وَكَانَ أَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافَ الإِسْلَامِ، لَا أَهْلَ لَهُمْ وَلَا مَالَ، إِذَا أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، صَدَقَةٌ، أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ

---

(١) البخاري ١٣/٢٥٨ في الاعتصام، الترمذي ٢٣٦٧ في الزهد، طبقات ابن سعد ٤/٣٢٧.

يُصِبْ مِنْهَا شَيْئاً، وَإِذَا جَاءَتْهُ هَدِيَّةٌ، أَصَابَ مِنْهَا، وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا ـ فَسَاءَنِي إِرْسَالُهُ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شُرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا، وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ!

وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ بُدٌّ، فَأَتَيْتُهُمْ، فَأَقْبَلُوا مُجِيبِينَ، فَلَمَّا جَلَسُوا، قَالَ: «خُذْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، فَأَعْطِهِمْ». فَجَعَلْتُ أُعْطِي الرَّجُلَ، فَيَشْرَبُ حَتَّى يُرْوَى، حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى جَمِيعِهِمْ، وَنَاوَلْتُهُ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ مُبْتَسِماً وَقَالَ: «بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ». قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَاشْرَبْ». فَشَرِبْتُ. فَقَالَ: «اشْرَبْ» فَشَرِبْتُ. فَمَا زَالَ يَقُولُ: اشْرَبْ، فَأَشْرَبُ؛ حَتَّى قُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، مَا أَجِدُ لَهُ مَسَاغاً. فَأَخَذَ فَشَرِبَ مِنَ الفَضْلَةِ[1].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَرَجْتُ يَوْماً مِنْ بَيْتِي إِلَى المَسْجِدِ، فَوَجَدْتُ نَفَراً، فَقَالُوا: مَا أَخْرَجَكَ؟ قُلْتُ: الجُوعُ. فَقَالُوا: وَنَحْنُ وَاللَّهِ مَا أَخْرَجَنَا إِلاَّ الجُوعُ.

فَقُمْنَا فَدَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَ: «مَا جَاءَ بِكُمْ هَذِهِ السَّاعَةَ»؟ فَأَخْبَرْنَاهُ، فَدَعَا بِطَبَقٍ فِيهِ تَمْرٌ، فَأَعْطَى كُلَّ رَجُلٍ مِنَّا

(١) البخاري ١١/٢٤١، ٢٤٦ في الرقاق. ومسند أحمد ٢/٥١٥، والترمذي ٢٤٧٧، وتاريخ ابن عساكر ١٩/١١١.

تَمْرَتَيْنِ. فَقَالَ: «كُلُوا هَاتَيْنِ التَّمْرَتَيْنِ، وَاشْرَبُوا عَلَيْهِمَا مِنَ الْمَاءِ، فَإِنَّهُمَا سَتُجْزِيَانِكُمْ يَوْمَكُمْ هَذَا».

فَأَكَلْتُ تَمْرَةً، وَخَبَّأْتُ الأُخْرَى، فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، لِمَ رَفَعْتَهَا»؟ قُلْتُ: لِأُمِّي. قَالَ: «كُلْهَا، فَسَنُعْطِيكَ لَهَا تَمْرَتَيْنِ»[1].

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنْتُ فِي الصُّفَّةِ، فَبَعَثَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ بِتَمْرِ عَجْوَةٍ، فَكُنَّا نَقْرِنُ التَّمْرَتَيْنِ مِنَ الجُوعِ، وَكَانَ أَحَدُنَا إِذَا قَرَنَ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ: قَدْ قَرَنْتُ فَأَقْرِنُوا.

وَهَكَذَا كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، يُرَافِقُهُ أَيْنَمَا سَارَ يَحُجُّ مَعَهُ، وَيَغْزُو مَعَهُ، وَيَسِيرُ مَعَهُ. فَإِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، مَعَ أَهْلِهِ كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ فِي الصُّفَّةِ إِلاَّ فِي أَوْقَاتٍ قَلِيلَةٍ كَانَ يَعْمَلُ أَجِيراً لِبُسْرَةَ بِنْتِ غَزْوَانَ، إِذْ يَقُولُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنْتَ أَجِيراً لِبُسْرَةَ بِنْتِ غَزْوَانَ بِعُقْبَةِ رِجْلِي وَطَعَامِ بَطْنِي، وَكَانُوا إِذَا رَكِبُوا سُقْتُ بِهِمْ، وَإِذَا نَزَلُوا خَدَمْتُهُمْ. فَزَوَّجَنِيهَا اللَّهُ فَهِيَ امْرَأَتِي[2].

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ٣٢٨، ٣٢٩. وتاريخ ابن عساكر.
(٢) أبو نعيم ١/ ٣٨٠، وتاريخ ابن عساكر.

أبو هريرة رضي الله عنه
مع الصدّيق رضي الله عنه

لَمَّا انْتَقَلَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، مِنْ هَذِهِ الدَّارِ، وَانْقَطَعَ الوَحْيُ عَنِ الأَرْضِ، لَمْ يَعُدْ أَبُو هُرَيْرَةَ يَجِدْ ضَرُورَةً لِبَقَائِهِ مُلاَزِماً لِلصُّفَّةِ لِيَسْتَمِعَ مَا يَأْتِي بِهِ الوَحْيُ، وَلِيَخْدُمَ رَسُولَ اللَّهِ، وَلِيَتَعَلَّمَ مِنْهُ إِذِ انْتَهَى هَذَا بَلْ وَجَدَ ضَرُورَةَ الخُرُوجِ وَمُخَالَطَةِ النَّاسِ، وَالمُشَارَكَةِ فِي المُهِمَّاتِ الأَسَاسِيَّةِ، وَنَقْلِ العِلْمِ الَّذِي أَخَذَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، وَالحَدِيثِ بِمَا حَفِظَ مِنْ كَلاَمِهِ.

لَقَدْ شَارَكَ أَبُو هُرَيْرَةَ فِي حُرُوبِ الرِّدَّةِ، وَاشْتَرَكَ فِي جُيُوشِ الفَتْحِ وَهَذَا مَا اقْتَضَى خُرُوجَهُ مِنَ المَدِينَةِ، لِذَا نَجِدُ أَثَرَهُ قَلِيلاً فِي المَدِينَةِ أَيَّامَ الخَلِيفَتَيْنِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

يَرْوِي أَبُو هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَا دَارَ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي شَأْنِ الأَعْرَابِ الَّذِينَ امْتَنَعُوا عَنْ دَفْعِ الزَّكَاةِ، وَقَدْ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ لاَ أُفَرِّقُ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ، وَلأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقَاتَلْنَا مَعَهُ فَرَأَيْنَا ذَلِكَ

رُشْداً.

وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَعْتَزُّ بِمَوْقِفِ أَبِي بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي قِتَالِ المُرْتَدِّينَ، فَيَقُولُ: وَالَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَوْلاَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ اسْتُخْلِفَ مَا عُبِدَ اللَّهُ تَعَالَى. ثُمَّ قَالَ الثَّانِيَةَ. ثُمَّ قَالَ الثَّالِثَةَ، فَقِيلَ لَهُ: مَهِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، وَجَّهَ أُسَامَةَ بنَ زَيْدٍ فِي سَبْعِمَائَةٍ إِلَى الشَّامِ، فَلَمَّا نَزَلَ بِذِي خَشَبٍ قُبِضَ النَّبِيُّ، ﷺ، وَارْتَدَّتِ العَرَبُ حَوْلَ المَدِينَةِ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، فَقَالُوا: رُدَّ هَؤُلاَءِ، تُوَجِّهُ هَؤُلاَءِ إِلَى الرُّومِ وَقَدِ ارْتَدَّتِ العَرَبُ حَوْلَ المَدِينَةِ؟ فَقَالَ: وَالَّذِيْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَوْ جَرَّتِ الكِلاَبُ بِأَرْجُلِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ، ﷺ، مَا رَدَدْتُ جَيْشاً وَجَّهَهُ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، وَلاَ حَلَلْتُ لِوَاءً عَقَدَهُ، فَوَجَّهَ أُسَامَةُ، فَجَعَلَ لاَ يَمُرُّ بِقَبِيلٍ يُرِيدُونَ الارْتِدَادَ إِلاَّ قَالُوا: لَوْلاَ أَنَّ لِهَؤُلاَءِ قُوَّةً مَا خَرَجَ مِثْلُ هَؤُلاَءِ مِنْ عِنْدِهِمْ، وَلَكِنْ نَدَعُهُمْ حَتَّى يَلْقَوْا الرُّومَ، فَلَقُوهُمْ فَهَزَمُوهُمْ وَقَتَلُوهُمْ، وَرَجَعُوا سَالِمِينَ فَثَبَتُوا عَلَى الإِسْلاَمِ.

وَبَعْدَ حُرُوبِ الرِّدَّةِ انْطَلَقَ أَبُو هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَعَ الجُيُوشِ الإِسْلاَمِيَّةِ الَّتِي اتَّجَهَتْ لِفَتْحِ الشَّامِ، وَشَارَكَ فِي مَعْرَكَةِ اليَرْمُوكِ.

أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ الفَارُوقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

بَعْدَ فتْحِ الشَّامِ أَيَّامَ الفَارُوقِ مَكَثَ أَبُو هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَلِيلاً فِيْهَا، يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى المَدِينَةِ، وَأَقَامَ فِيْهَا قَلِيلاً اشْتَغَلَ أَثْنَاءَهَا فِي طَلَبِ العِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ. وَحَجَّ مَعَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ عَزَمَ عَلَى الجِهَادِ وَالانْتِقَالِ إِلَى سَاحَاتِهِ، وَكَيْفَ يَتْرُكُهُ وَقَدْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، يَقُولُ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوَدَدْتُ أَنْ أَغْزُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزُوَ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزُوَ فَأُقْتَلَ»[1]. كَمَا سَمِعَهُ يَقُولُ: «لاَ يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي مِنْخَرَيْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ، وَلاَ يَجْتَمِعُ شُحٌّ وَإِيمَانٌ فِي قَلْبِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ»[2].

---

(١) مسند الإمام أحمد ١٢/ ١٤٠.

(٢) مسند الإمام أحمد ١٣/ ٢٢٠.

سَارَ أَبُو هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى الجَبْهَةِ الشَّرْقِيَّةِ، وَشَارَكَ فِي فَتْحِ جُرْجَانَ عَامَ ١٨ هـ، وَاتَّجَهَ بَعْدَهَا إِلَى بِلَادِ دَاغِسْتَانَ، وَبَعْدَ فَتْحِ مَدِينَةِ «البَابِ»[١]، سَارَ مَعَ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى عِدَّةِ كُوَرٍ مِنْ بِلَادِ قَزْوِينَ. وَقَالَ مَنْصُورُ بنُ عَبْدِ الحَمِيدِ بنِ رَاشِدٍ: رَأَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، بِقَزْوِينَ، عَلَيْهِ عَمَامَةٌ بَيْضَاءُ، قَدْ خَضَّبَ بِالصُّفْرَةِ.

وَرَجَعَ إِلَى المَدِينَةِ، وَفِي عَامِ ٢١ هـ وَلَّاهُ الفَارُوقُ عَلَى البَحْرَيْنِ بَعْدَ وَفَاةِ العَلَاءِ الحَضْرَمِيِّ فَسَارَ إِلَيْهَا، وَبَقِيَ فِيهَا مَا يَقْرُبُ مِنْ سَنَتَيْنِ حَيْثُ عَزَلَهُ، وَوَلَّى مَكَانَهُ عُثْمَانَ بنَ أَبِي العَاصِ الثَّقَفِيَّ، وَانْطَلَقَ أَبُو هُرَيْرَةَ إِلَى المَدِينَةِ، وَذَهَبَ إِلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ، فَقَالَ لَهُ: كَيْفَ وَجَدْتَ الإِمَارَةَ؟

قَالَ: بَعَثْتَنِي وَأَنَا كَارِهٌ، وَنَزَعْتَنِي وَقَدْ أَحْبَبْتُهَا. وَأَتَاهُ بِأَرْبَعِمِائَةِ أَلْفٍ مِنَ البَحْرَيْنِ.

قَالَ: أَظَلَمْتَ أَحَدًا؟.

قَالَ: لَا.

---

(١) الباب: هي مدينة باب الأبواب، في بلاد داغستان، على ساحل بحر قزوين، وتسمى الآن «دربنت».

قَالَ: فَمَا جِئْتَ بِهِ لِنَفْسِكَ؟.

قَالَ: عِشْرِينَ أَلْفاً.

قَالَ: مِنْ أَيْنَ أَصَبْتَهَا؟.

قَالَ: كُنْتُ أَتَّجِرُ.

قَالَ: انْظُرْ رَأْسَ مَالِكَ وَرِزْقَكَ، فَخُذْهُ، وَاجْعَلِ الآخَرَ فِي بَيْتِ المَالِ[1].

فَقَدْ قَاسَمَهُ عُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَعَ جُمْلَةٍ مِنَ العُمَّالِ، وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ.

وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ المُقَاسَمَةُ اتِّهَاماً مِنْ قِبَلِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ، إِذْ دَعَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ لِيُوَلِّيَهُ فَأَبَى، فَقَالَ: تَكْرَهُ العَمَلَ، وَقَدْ طَلَبَ العَمَلَ مَنْ كَانَ خَيْراً مِنْكَ، يُوسُفُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ!؟. فَقَالَ: يُوسُفُ نَبِيٌّ ابْنُ نَبِيٍّ، وَأَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ ابنُ أُمَيْمَةَ، وَأَخْشَى مِنْ عَمَلِكُمْ ثَلَاثاً وَاثْنَتَيْنِ. قَالَ: فَهَلَّا قُلْتَ خَمْساً؟ قَالَ: لَا، أَخَافُ أَنْ أَقُولَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَأَقْضِيَ بِغَيْرِ حِلْمٍ، وَأَنْ يُضْرَبَ ظَهْرِي، وَيُنْزَعَ مَالِي، وَيُشْتَمَ عِرْضِي.

غَيْرَ أَنَّ السِّيَاسَةَ الَّتِي سَارَ عَلَيْهَا أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ، عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِذْ وَجَدَ أَوَّلاً أَنَّ البَحْرَيْنِ كَانَتْ

---

(١) متفق عليه.

تَحْتَاجُ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ إِلَى وَالٍ أَقْوَى مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، إِذْ زَالَتْ دَوْلَةُ فَارِسِ المَجُوسِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ ذَاتَ أَرْكَانٍ، وَتُسَيْطِرُ عَلَى مَنْطِقَةِ البَحْرَيْنِ، وَرُبَّمَا لاَ يَزَالُ لَهَا بَعْضُ الأَعْوَانِ يَعْمَلُونَ فِي الخَفَاءِ عَصَبِيَّةً لِدَوْلَتِهِمُ الَّتِي دَالَتْ، وَمَجُوسِيَّتِهِمْ الَّتِي زَالَتْ. كَمَا كَانَتْ سُفُنُ الهِنْدِ تَرِدُ مِيَاهَ ذَلِكَ الخَلِيجِ، وَتُتَاجِرُ مَعَ أَهْلِهِ، وَلَهَا مَصَالِحُ مَعَهُمْ، حَتَّى أَنَّ مَدِينَةَ (الأُبُلَّةِ) الَّتِي كَانَتْ قَائِمَةً مَكَانَ البَصْرَةِ اليَوْمَ تَقْرِيباً تُعْرَفُ بِاسْمِ مِينَاءِ الهِنْدِ. فَرُبَّمَا تَحَرَّكَتْ تِلْكَ السُّفُنُ، وَلَمْ يَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ مَا يُقَابِلُهَا فَكَانَ ذَلِكَ يَقْتَضِي وُجُودَ وَالٍ أَشَدَّ حِنْكَةً وَدَهَاءً، وَأَكْثَرَ عَزِيمَةً وَمَضَاءً، لِذَا عَزَلَ أَبَا هُرَيْرَةَ وَوَلَّى مَكَانَهُ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنْهُ، وَأَكْثَرَ خِبْرَةً فِي مُوَاجَهَةِ الصِّعَابِ.

وَمِنْ نَاحِيَةٍ ثَانِيَةٍ فَقَدْ كَانَ مِنْ سِيَاسَةِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ، عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، اخْتِبَارَ عُمَّالِهِ وَقَادَتِهِ، وَمُحَاسَبَتَهُمْ، وَمُقَاسَمَتَهُمْ أَمْوَالِهِمْ الَّتِي حَصَلُوا عَلَيْهَا أَثْنَاءَ عَمَلِهِمْ وَجِهَادِهِمْ لِيَعْرِفَ مَدَى ارْتِبَاطِهِمْ بِالمَنْصِبِ، وَتَمَسُّكِهِمْ بِالمَالِ، وَقَدْ سَمِعَ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ: «أَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا الفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنَّنِي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ

كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ»[١].

لَمْ يَكُنْ أَبُو هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الوَالِي الوَحِيدَ الَّذِيْ عَزَلَهُ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ، عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَقَدْ عَزَلَ أَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ، وَشَاطَرَهُ مَالَه، وَعَزَلَ الحَارِثَ بنَ كَعْبِ بنِ وَهَبٍ، وَشَاطَرَهُ مَالَهُ، وَعَزَلَ عُمَرَ بنَ سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَشَاطَرَهُ مَالَهُ، هَذِهِ سِيَاسَةُ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي اخْتِبَارِهِ الوُلاَةَ، بَلْ عَزَلَ خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ قِيَادَةِ الجُيُوشِ المُجْتَمِعَةِ فِي اليَرْمُوكِ فِي سَاعَةٍ حَرِجَةٍ، هِيَ قَبْلَ اللِّقَاءِ مَعَ العَدُوِّ بِمُدَةٍ وَجِيزَةٍ. كَمَا انْتَقَدَهُ عِنْدَمَا أَعْطَى الأَشْعَثَ بنَ قَيْسٍ مَالاً لِبَلاَئِهِ فِي قِتَالِ الرُّومِ، فَاسْتَدْعَاهُ مِنْ قِنِّسْرِينَ، وَأَمَرَ أَبَا عُبَيْدَةَ أَنْ يُرْسِلَهُ إِلَيْهِ مَعَ بِلاَلٍ. فَامْتَثَلَ خَالِدٌ وَأَطَاعَ، وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ سِوَى ذَلِكَ، فَهُوَ الجُنْدِيُّ النِّظَامِيُّ المُطِيعُ، وَعُمَرُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ، القَائِدُ الوَاجِب طَاعَتُهُ، وَكَانَتْ تِلْكَ تَرْبِيَةً سَلِيمَةً، وَكَانَ عُمَرُ نِعْمَ القَائِدُ المُؤْمِنُ المُرَبِّيُّ، وَكَانَ خَالِدٌ نِعْمَ الجُنْدِيُّ المُؤْمِنُ العَارِفُ لِحُدُودِهِ.

لَمْ تُوَجَّهِ انْتِقَادَاتٌ لِأُولَئِكَ الوُلاَةُ الَّذِينَ عَزَلَهُمْ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ، عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِاسْتِثْنَاءِ

(١) متفق عليه.

أَبي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَلْ وُجِّهَتْ لِأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ نَفْسِهِ بِالنِّسْبَةِ لِعَزْلِ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ السِّهَامَ قَدْ وُجِّهَتْ لِأَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لِكَثْرَةِ رِوَايَتِهِ الحَدِيثَ. وَالوَاقِعُ أَنَّ الحِقْدَ قَائِمٌ عَلَيْهِ لأَنَّهُ لَمْ يُشَارِكْ فِي الأَحْدَاثِ وَالفِتَنِ، وَيَقِفْ بِحَزْمٍ مَعَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ، عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَمِنْ هُنَا يُعْرَفُ مَصْدَرُ تِلْكَ السِّهَامِ، وَتُعْلَمُ أَسْبَابُهَا. وَإِنْ كَانَتْ تَرَدُّ كُلُّ تِلْكَ السِّهَامِ بِطَلَبِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ، عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لإِعَادَةِ تَوْلِيَتِهِ، فَلَوْ كَانَ مُتَّهَماً لَمَا فَكَّرَ الخَلِيفَةُ بِإِعَادَتِهِ أَبَداً.

وَالسُّمُّ فِي تِلْكَ السِّهَامِ أَنْ تَجْعَلَ الاتِّهَامَ مِنْ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ نَفْسِهِ، رَغْمَ مَوْقِفِ أَصْحَابِ تِلْكَ السِّهَامِ مِنْهُ، وَهَذَا مَا يُغَطِّي الأَمْرَ عَلَى العَادِيِينَ.

أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
مَعَ ذِي النُّورَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

اسْتَقَرَّ أَبُو هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي المَدِينَةِ، وَاتَّخَذَ لَهُ دَاراً فِي (ذُو الحَلِيفَةِ)، وَيَقْضِي وَقْتَهُ فِي رِوَايَةِ أَحَادِيثِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَكَانَتْ تَتُوقُ نَفْسُهُ إِلَى سَاحَاتِ الجِهَادِ، وَخَاصَّةً الجَبْهَةَ الشَّرْقِيَّةَ الَّتِي كَانَتْ لَهُ فِيهَا جَوْلَاتٌ، وَقَدْ بَلَغَهُ أَنَّ أَهْلَ خُرَاسَانَ قَدْ نَقَضُوا الصُّلْحَ، وَيَسْتَعِدُّ المُسْلِمُونَ لإِعَادَةِ دُخُولِهَا. غَيْرَ أَنَّ إِمْكَانَاتِهِ كَانَتْ ضَعِيفَةً، كَمَا يَرَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ فِرْقَةٍ تَعْمَلُ لِتَرْسِيخِ هَدْيِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَيَرَى أَنَّ هَذَا مِنْ مُهِمَّتِهِ مَا دَامَ قَدْ لَازَمَ الرَّسُولَ الكَرِيمَ مَا يَزِيدُ عَلَى أَرْبَعِ سَنَوَاتٍ، لِذَا كَانَ هَمُّهُ رِوَايَةَ تَعَالِيمِ رَسُولِ اللَّهِ.

وَفِي أَوَاخِرِ أَيَّام أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ، عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَصَفَتِ الفِتْنَةُ الَّتِي أَثَارَهَا ابنُ السَّوْدَاءِ، عَبْدُ اللَّهِ بنُ سَبَأٍ، اليَهُودِيُّ الَّذِيْ تَظَاهَرَ بِالإِسْلَامِ مِنْ أَجْلِ الفِتْنَةِ، وَالهَدْمِ مِنَ الدَّاخِلِ، وَكَانَ آخِرُ هَذِهِ الفِتْنَةِ مُحَاصَرَةَ الثَّائِرِينَ لأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ

فِي دَارِهِ. فَأَخَذَ أَهْلُ الرَّأْيِ يُدَافِعُونَ عَنْهُ، وَدَخَلُوا إِلَى دَارِهِ يَذُودُونَ عَنْهُ، وَكَانَ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ دَخَلُوا الدَّارَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عُمَرَ، وَالحَسَنُ وَالحُسَيْنُ ابنَا عَلِيٍّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ الزُّبَيْرِ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ، وَغَيْرُهُمْ، وَيُرْوَى أَنَّ عَدَدَ المُدَافِعِينَ عَنِ الخَلِيفَةِ قَدْ وَصَلَ إِلَى سَبْعِمِائَةِ مُدَافِعٍ دَاخِلَ الدَّارِ وَخَارِجَهَا، وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَحُثُّ النَّاسَ عَلَى الدِّفَاعِ عَنْ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ.

غَيْرَ أَنَّ الخَلِيفَةَ عُثْمَانَ بنَ عَفَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَدْ مَنَعَ المُدَافِعِينَ عَنْهُ مِنَ القِتَالِ، وَطَلَبَ مِنْهُمْ تَرْكَهُ وَشَأْنَهُ مَعَ الثَّائِرِينَ الغَوْغَائِيينَ، يَحُلُّ مُشْكِلَاتِهِمْ بِنَفْسِهِ، وَقَدْ رَغِبَ فِي هَذَا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَيْ لَا يَكُونَ صِرَاعٌ عَلَى مَنْصِبِ الخِلَافَةِ مِنْ قِبَلِ الطَّامِعِينَ فِي كُلِّ وَقْتٍ، إِذْ يَجِبُ أَنْ تَبْقَى لَهُ الهَيْبَةُ وَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا عَنْ طَرِيقِ أَهْلِ الحَلِّ وَالعَقْدِ. كَمَا لَمْ يَقْبَلْ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تَرْكَ المَنْصِبِ بِنَاءً عَلَى رَغْبَةِ الثَّائِرِينَ، وَلَو أَدَّى الأَمْرُ إِلَى قَتْلِهِ، حَيْثُ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَقْبَلَ أَنْ تَكُونَ الخِلَافَةُ أُلْعُوبَةً بِيَدِ أَصْحَابِ الأَهْوَاءِ وَالَّذِينَ تُسَوِّلُ لَهُمْ نُفُوسُهُمْ الاسْتِهْتَارَ بِالأُمَّةِ.

وَضَحَّى الخَلِيفَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِنَفْسِهِ فِي سَبِيلِ المُحَافَظَةِ عَلَى قِيَمِ الأُمَّةِ، وَالمَفَاهِيمِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَقُتِلَ فِي دَارِهِ بِيَدِ أُولَئِكَ الطَّائِشِينَ.

أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

لَقَدْ كَانَ لِمَقْتَلِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي نَفْسِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَقَدْ زَادَهُ حَسْرَةً وَتَوَجُّعاً مَا وَقَعَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ خِلَافٍ فِي صُفُوفِ المُسْلِمِينَ، فَعَزَمَ عَلَى عَدَمِ الخَوْضِ فِي ذَلِكَ الصِّرَاعِ مَعَ مَا فِي نَفْسِهِ مِنْ مَحَبَّةٍ لِأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ، وَسَعَى مَعَ مَنْ سَعَى لِإِنْهَاءِ ذَلِكَ الخِلَافِ أَمْثَالِ أَبِي الدَّرْدَاءِ، وَالنُّعْمَانِ بنِ بَشِيرٍ، وَلَكِنْ لَمْ يُكْتَبِ النَّجَاحُ لِذَلِكَ السَّعْيِ، مِمَّا زَادَهُ إِصْرَاراً عَلَى اعْتِزَالِ الفِتْنَةِ كَعَدَدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، أَمْثَالِ سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَأُسَامَةَ بنِ زَيْدٍ. وَاتَّجَهَ نَحْوَ المَسْجِدِ يَرْوِي أَحَادِيثَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ. وَيُكَرِّرُ الأَحَادِيثَ الَّتِي تَذْكُرُ فَضَائِلَ عَلِيٍّ بنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، خَاصَّةً وآلِ البَيْتِ عَامَّةً اعْتِرَافاً بِبَيْعَةِ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَصَوَابِهِ فِي اجْتِهَادِهِ.

كَانَ أَبُو أَيُوبَ الأَنْصَارِيُّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَامِلاً عَلَى

المَدِينَةِ لِأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ بنِ أَبِي طَالِبٍ، فَأَرْسَلَ وَالِي الشَّامِ، مُعَاوِيَةُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، إِلَى المَدِينَةِ بُسْرَ بنَ أَرْطَأَةَ فِي ثَلاثَةِ آلَافِ رَجُلٍ، فَدَخَلَهَا، وَخَرَجَ مِنْهَا عَامِلُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ. وَأَقَرَّ بَعْضُ الصَّحَابَةِ إِمْرَةَ بُسْرٍ خَوْفاً مِنَ الفِتْنَةِ وَالقِتَالِ فِي دَارِ الهِجْرَةِ، وَمِنْهُمْ: جَابِرُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَعُمَرُ بنُ أَبِي سَلَمَةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ زَمْعَةَ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ، وَكَانَ ذَلِكَ بِرَأْيِ بَعْضِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ، وَخَاصَّةً أُمَّ سَلَمَةَ هِنْدَ بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

سَارَ بُسْرُ بنُ أَرْطَأَةَ إِلَى مَكَّةَ فَدَخَلَهَا، وَكَانَ عَامِلُهَا أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ مِنْ قِبَلِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ فَدَخَلَهَا بُسْرُ بنُ أَرْطَأَةَ، وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لِعَامِلِهَا. ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى اليَمَنِ، وَكَانَ وَالِيهَا عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عَبَّاسٍ، وَقَدْ وَجَدَ مِنْ أَهْلِهَا جَلَافَةً، وَلَمْ يَسْتَطِعْ إِصْلَاحَهُمْ فَهَدَّدَهُمْ، فَخَافُوهُ، فَكَتَبُوا إِلَى وَالِي الشَّامِ يَسْتَنْصِرُونَهُ، فَأَمَرَ بُسْراً أَنْ يَسِيرَ إِلَيْهِمْ، فَفَعَلَ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى اليَمَنِ كَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ بنِ عَبَّاسٍ قَدْ غَادَرَهَا، وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا مَكَانَهُ عَبْدَ اللَّهِ بنَ عَبْدِ اللَّهِ المَدَّانِ. وَقَدْ اسْتَطَاعَ بُسْرُ أَنْ يَدْخُلَ اليَمَنَ.

أَرْسَلَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى جَزِيرَةِ العَرَبِ جَارِيَةَ بنَ قُدَامَةَ، وَمَعَهُ أَلْفَانِ مِنَ الرِّجَالِ،

وَوَهْبَ بنَ مَسْعُودٍ وَمَعَهُ أَلْفَانِ أَيْضاً. وَسَارَ جَارِيَةٌ حَتَّى أَتَى نَجْرَانَ، فَفَرَّ بُسْرُ بنُ أَرْطَأَةَ إِلَى مَكَّةَ، فَتَبِعَهُ جَارِيَةُ فَدَخَلَ مَكَّةَ، وَطَلَبَ مِنْ أَهْلِهَا البَيْعَةَ، فَقَالُوا لَهُ: اسْتُشْهِدَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ، فَقَالَ؛ بَايِعُونَا لِمَنْ بَايَعَ لَهُ أَصْحَابُ عَلِيٍّ، فَبَايَعُوهُ. ثُمَّ سَارَ جَارِيَةُ إِلَى المَدِينَةِ فَدَخَلَهَا، وَكَانَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ أَبُو هُرَيْرَةَ، فَاعْتَزَلَ أَبُو هُرَيْرَةَ مَا دَامَ قَدْ جَاءَ أَمِيرٌ مِنْ قِبَلِ الخَلِيفَةِ، وَبَايَعَ أَهْلُ المَدِينَةِ الحَسَنَ بنَ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

غَيْرَ أَنَّ خُصُومَ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَمْ يُعْجِبْهُمْ مَوْقِفُهُ، وَكَانُوا يُرِيدُونَ مِنْهُ إِثَارَةَ الفِتْنَةِ وَالقِتَالَ فِي دَارِ الهِجْرَةِ، وَالوُقُوفَ فِي الجَانِبِ الَّذِي يَرْضَوْنَهُ مَا دَامَ ذَلِكَ يُحَقِّقُ أَغْرَاضَهُمْ، وَيُؤَكِّدُ وِجْهَةَ نَظَرِهِمْ. لِذَا فَقَدْ وَجَّهُوا إِلَيْهِ التُّهَمَ، وَهَاجَمُوهُ لِأَنَّهُ حَثَّ عَلَى اعْتِزَالِ الفِتْنَةِ، وَإِبْعَادِهَا عَنِ المَدِينَةِ.

أبو هريرة رضي الله عنه
مع معاوية رضي الله عنه

اسْتُشْهِدَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ، عَليُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَبَايَعَ أَصْحَابُهُ وَلَدَهُ الحَسَنَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الَّذِيْ وَجَدَ أَنَّهُ لاَ خَيْرَ فِي افْتِرَاقِ الأُمَّةِ عَلَى الحَالِ الَّتِي هِيَ عَلَيْهَا، وَلاَ بُدَّ مِنِ اجْتِمَاعِهَا، وَيَقْضِي ذَلِكَ تَنَازُلَ أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ، فَقَرَّرَ أَنْ يَكُونَ هُوَ الَّذِيْ يَبْدَأُ بِالخَيْرِ، وَلَوْ أَنَّهُ صَاحِبُ الحَقِّ، فَرَاسَلَ أَمِيرَ الشَّامِ مُعَاوِيَةَ بنَ أَبِي سُفْيَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَتَنَازَلَ لَهُ عَنِ الخِلاَفَةِ، وَبِذَا عَادَتْ كَلِمَةُ الأُمَّةِ لِلاجْتِمَاعِ بَعْدَ افْتِرَاقٍ فَطَابَتْ نُفُوسُ المُؤْمِنِينَ، وَهَدَأَتْ أَفْئِدَةُ المُسْلِمِينَ، وَارْتَاحَ أَبُو هُرَيْرَةَ.

أَرْسَلَ الخَلِيفَةُ الجَدِيدُ مُعَاوِيَةُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَرْوَان بنَ الحَكَمِ وَالِياً لَهُ عَلَى المَدِينَةِ فَبَقِيَ فِيْهَا حَتَّى عَامِ ٤٩ هـ حَيْثُ عَزَلَهُ، وَوَلَّى مَكَانَهُ سَعِيدُ بنُ سَعِيدِ بنِ العَاصِ حَتَّى عَامِ ٥٤ هـ، إِذْ أَعَادَ مَرْوَانَ بنَ الحَكَمِ ثَانِيَةً. وَقَدْ حَجَّ مَرْوَانُ فِي مُوْسِمَيْ ٥٤ و ٥٥، وَأَنَابَ عَنْهُ عَلَى المَدِينَةِ أَبَا هُرَيْرَةَ أَثْنَاءَ غِيَابِهِ

فِي المُوسِمِ، فَكَانَ لِهَذِهِ الإِنَابَةِ أَثَرٌ سَيْءٌ فِي نُفُوس خُصُومِ أَبِي هُرَيْرَةَ مِمَّا زَادَهُمْ حِقْدَاً عَلَيْهِ، وَاتَّهَمُوهُ بِمُمَالأَةِ السُّلْطَانِ، وَوَجَّهُوا إِلَيْهِ أَبْشَعَ العِبَارَاتِ.

صَلَّى أَبُو هُرَيْرَةَ عَلَى أُمِّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فِي رَمَضَانَ عَامَ ٥٨، كَمَا صَلَّى عَلَى أُمِّ المُؤْمِنِينَ أُمِّ سَلَمَةَ هِنْدِ بِنْتِ أَبِي أُمَيَّةَ فِي شَهْرِ شَوَّالِ عَامَ ٥٩ هـ.

وَتُوفِّيَ فِي أَوَاخِرِ عَامَ ٥٩ هـ، وَصَلَّى عَلَيْهِ الأَمِيرُ الوَلِيدُ بنُ عُقْبَةَ، وَشَيَّعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عُمَرَ، وَأَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ، وَدُفِنَ بِالبَقِيعِ. وَلَهُ مِنَ العُمْرِ اثْنَانِ وَثَمَانُونَ عَامَاً.

رَوَى خَمْسَةَ آلاَفٍ وَثَلاَثمِائَةٍ وَأَرْبَعَةً وَسَبْعِينَ حَدِيثَاً، اتَّفَقَ الشَّيْخَانِ عَلَى ثَلاَثِمِائَةٍ وَسِتَّةٍ وَعِشْرِينَ حَدِيثَاً، وَانْفَرَدَ البُخَارِيُّ بِثَلاَثَةٍ وَتِسْعِينَ، وَمُسْلِمٌ بِثَمَانِيَةٍ وَتِسْعِينَ.

زَوَّجَ أَبُو هُرَيْرَةَ ابْنَتَهُ إِلَى سَعِيدِ بنِ المُسَيِّبِ. وَكَانَ قَدْ تَصَدَّقَ بِدَارِهِ فِي ذِي الحَلِيفَةِ إِلَى مَوَالِيهِ فَبَاعُوهَا مِنْ عُمَرَ بنِ مُرْبِعٍ.

بُنَاة دَوْلَةِ الإسْلام

٦٦

أَبُو أُمَامَة

أَسْعَد بن زُرَارَة

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

هُوَ أَسْعَدُ بنُ زَرَارَةَ بنِ عُدَس بنِ عُبَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ غَنَم بنِ مَالِكِ بنِ النَّجَّارِ. وَبَنُو النَّجَّارِ أَحَدُ بُطُونِ الخَزْرَجِ، وَبَنُو مَالِكٍ فِرْعٌ مِنْهُمْ.

وَيُكَنَّى أَسْعَدُ بِأَبِي أُمَامَةَ، وَهُوَ سَيِّدُ بَنِي مَالِكٍ، وَأَحَدُ أَعْيَانِ بَنِي النَّجَّارِ، وَوَاحِدٌ مِنْ سَادَاتِ الخَزْرَجِ، وَأَهْلِ الرَّأْيِ فِيْهِمْ، وَالنَّاسُ تَبَعٌ لِأَصْحَابِ الفِكْرِ وَرِجَالِ الرَّأْيِ. لِذَا كَثِيراً مَا كَانَ بَنُو النَّجَّارِ يَصْدُرُونَ عَنْ رَأْيِهِ، وَتَسْتَشِيرُهُ الخَزْرَجُ فِي المُهِمَّاتِ.

وَأُمُّهُ سُعَادُ، وَفِي رِوَايَةٍ «الفُرَيْعَةُ» بِنْتُ رَافِعِ بنِ مُعَاوِيَةَ بنِ عُبَيْدِ بنِ خَدْرَةَ «الأَبْجَر» بنِ عَوْفِ بنِ الحَارِثِ بنِ الخَزْرَجِ، فَهِيَ خَزْرَجِيَّةٌ أَيْضاً. وَهُوَ ابْنُ خَالَةِ سَعْدِ بنِ مُعَاذٍ سَيِّدِ الأَنْصَارِ.

إِسْلَامُ أَسْعَدَ:

خَرَجَ أَسْعَدُ بنُ زُرَارَةَ وَذَكْوَانُ بنُ عَبْدِ قَيْسٍ إِلَى مَكَّةَ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ لِلْبِعْثَةِ لِأَمْرٍ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ عُتْبَةَ بنَ رَبِيعَةَ، فَسَمِعَا بِرَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، فَأَتَيَاهُ فَعَرَضَ عَلَيْهِمَا الإِسْلَامَ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمَا

القُرْآنَ، فَأَسْلَمَا، وَرَجِعَا إِلَى المَدِينَةِ مُسْلِمَيْنِ، وَلَمْ يَجْتَمِعَا بِعُتْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ. فَكَانَا أَوَّلَ مَنْ قَدِمَ بِالإِسْلاَمِ إِلَى المَدِينَةِ.

وَفِي السَّنَةِ العَاشِرَةِ لِلْبِعْثَةِ خَرَجَ مِنَ المَدِينَةِ سِتَّةُ نَفَرٍ بَيْنَهُمْ أَسْعَدُ بنُ زُرَارَةَ، وَاتَّجَهُوا إِلَى مَكَّةَ، وَالْتَقَوْا بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِظْهَارَ دِينِهِ، وَإِعْزَازَ نَبِيِّهِ، ﷺ، وَإِنْجَازَ مَوْعِدِهِ لَهُ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، فِي المَوْسِمِ الَّذِيْ لَقِيَهُ فِيْهِ النَّفَرُ مِنَ الأَنْصَارِ، فَعَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى قَبَائِلِ العَرَبِ، كَمَا كَانَ يَصْنَعُ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ. فَبَيْنَمَا هُوَ عِنْدَ العَقَبَةِ لَقِيَ رَهْطاً مِنَ الخَزْرَجِ أَرَادَ اللَّهُ بِهِمْ خَيْراً.

فَقَالَ لَهُمْ: مَنْ أَنْتُمْ؟.

قَالُوا: نَفَرٌ مِنَ الخَزْرَجِ.

قَالَ: أَمِنْ مَوَالِي يَهُودَ؟.

قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: أَفَلاَ تَجْلِسُونَ أُكَلِّمُكُمْ؟.

قَالُوا: بَلَى.

فَجَلَسُوا مَعَهُ. فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ

الإِسْلَامَ، وَتَلَا عَلَيْهِمُ القُرْآنَ. وَكَانَ مِمَّا صَنَعَ اللَّهُ لَهُمْ بِهِ فِي الإِسْلَامِ، أَنَّ يَهُودَ كَانُوا مَعَهُمْ فِي بِلَادِهِمْ، وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ وَعِلْمٍ، وَكَانُوا هُمْ أَهْلَ شِرْكٍ وَأَصْحَابَ أَوْثَانٍ، وَكَانُوا قَدْ غَزَوْهُمْ بِبِلَادِهِمْ، فَكَانُوا إِذَا كَانَ بَيْنَهُمْ شَيْءٌ قَالُوا لَهُمْ: إِنَّ نَبِيًّا مَبْعُوثٌ الآنَ، قَدْ أَظَلَّ زَمَانُهُ، نَتَّبِعُهُ فَنَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمَ. فَلَمَّا كَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، أُولَئِكَ النَّفَرَ، وَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ. قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: يَا قَوْمُ تَعْلَمُوا وَاللَّهِ إِنَّهُ لَلْنَّبِيِّ الَّذِي تَوَعَّدُكُمْ بِهِ يَهُودُ، فَلَا تَسْبِقَنَّكُمْ إِلَيْهِ. فَأَجَابُوهُ لِمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ بِأَنْ صَدَّقُوهُ، وَقَبِلُوا مِنْهُ مَا عَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنَ الإِسْلَامِ، وَقَالُوا: إِنَّا قَدْ تَرَكْنَا قَوْمَنَا، وَلَا قَوْمٌ بَيْنَهُمْ مِنَ العَدَاوَةِ وَالشَّرِّ مَا بَيْنَهُمْ، فَعَسَى أَنْ يَجْمَعَهُمُ اللَّهُ بِكَ، فَسَنَقْدُمُ عَلَيْهِمْ، فَنَدْعُوهُمْ إِلَى أَمْرِكَ، وَنَعْرِضُ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَجَبْنَاكَ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الدِّينِ، فَإِنْ يَجْمَعَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَلَا رَجُلَ أَعَزُّ مِنْكَ.

ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ، وَقَدْ آمَنُوا وَصَدَّقُوا. وَهَؤُلَاءِ النَّفَرُ هُمْ:

١ ـ أَسْعَدُ بنُ زُرَارَةَ: مِنْ بَنِي مَالِكِ بنِ النَّجَّارِ. مِنَ الخَزْرَجِ.

٢ ـ عَوْفُ بنُ الحَارِثِ بنِ رُفَاعَةَ: مِنْ بَنِي مَالِكِ بنِ النَّجَّارِ، مِنَ الخَزْرَجِ. وَهُوَ ابنُ عَفْرَاء.

٣ ـ رَافِعُ بنُ مَالِكِ بنِ العَجْلاَنِ: مِنْ بَنِي زُرِيقٍ. مِنَ الخَزْرَجِ.

٤ ـ قُطْبَةُ بنُ عَامِرِ بنِ حُدَيْدَةَ: مِنْ بَنِي سَلَمَةَ. مِنَ الخَزْرَجِ.

٥ ـ عُقْبَةُ بنُ عَامِرِ بنِ نَابِي: مِنْ بَنِي حَرَامٍ. مِنَ الخَزْرَجِ.

٦ ـ جَابِرُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ رِئَابٍ: مِنْ بَنِي عُبَيْدٍ. مِنَ الخَزْرَجِ.

أَيْ أَنَّهُمْ جَمِيعاً مِنَ الخَزْرَجِ وَلَيْسَ فِيهِمْ أَحَدٌ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الأَوْسِ.

فَلَمَّا قَدِمُوا المَدِينَةَ إِلَى قَوْمِهِمْ ذَكَرُوا لَهُمْ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، وَدَعَوْهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ حَتَّى فَشَا فِيهِمْ، فَلَمْ تَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الأَنْصَارِ إِلاَّ وَفِيهَا ذِكْرٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ[١].

العَقَبَةُ الأُولَى:

حَتَّى إِذَا كَانَ العَامُ المُقْبِلُ أَيْ فِي السَّنَةِ الحَادِيَةِ عَشْرَةَ لِلْبِعْثَةِ وَافَى المُوْسِمَ مِنَ الأَنْصَارِ اثْنَا عَشَرَ رَجُلاً، فَلَقَوْهُ بِالعَقَبَةِ، فَبَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ، أَيْ أَنَّهُمْ لَمْ يُبَايِعُوهُ عَلَى القِتَالِ، وَذٰلِكَ قَبْلَ أَنْ تُفْتَرَضَ عَلَيْهِمُ الحَرْبُ، وَهُمْ عَشْرَةٌ مِنَ الخَزْرَجِ، وَاثْنَانِ مِنَ الأَوْسِ، فَكَانَ مِنَ الخَزْرَجِ:

١ ـ أَسْعَدُ بنُ زُرَارَةَ، مِنْ بَنِي مَالِكِ بنِ النَّجَّارِ.

---

(١) سيرة ابن هشام.

٢ ـ عَوْفُ بنُ الحَارِثِ بنِ رُفَاعَةَ: ابنُ عَفرَاءَ.

٣ ـ مُعَاذُ بنُ الحَارِثِ بنُ رُفَاعَةَ: ابنُ عَفْرَاءَ.

٤ ـ رَافِعُ بنُ مَالِكِ بنِ العَجْلَانِ: مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ.

٥ ـ ذَكْوَانُ بنُ عَبْدِ قَيْسٍ: مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ.

٦ ـ عُبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ: مِنْ بَنِي عَوْفٍ.

٧ ـ يَزِيدُ بنُ ثَعْلَبَةَ بنِ خَزْمَةَ: حَلِيفٌ لِبَنِي عَوْفٍ، وَهُوَ مِنْ قَبِيلَةِ بَلِيٍّ.

٨ ـ العَبَّاسُ بنُ عُبَادَةَ: مِنْ بَنِي سَالِمٍ.

٩ ـ عُقْبَةُ بنُ عَامِرِ بنِ نَابِي: مِنْ بَنِي حَرَامٍ.

١٠ ـ قُطْبَةُ بنُ عَامِرِ بنِ حُدَيْدَةَ: مِنْ بَنِي سَلَمَةَ.

وَشَهِدَهَا مِنَ الأَوْسِ:

١ ـ أَبُو الهَيْثَمِ مَالِكُ بنُ التَّيِّهَانِ: مِن بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ.

٢ ـ عُوَيْمُ بنُ سَاعِدَةَ: مِنْ بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ.

يَقُولُ عُبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنْتُ فِيمَنْ حَضَرَ العَقَبَةَ الأُولَى، وَكُنَّا اثْنَي عَشَرَ رَجُلاً فَبَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُفْتَرَضَ الحَرْبُ، عَلَى أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئاً، وَلاَ نَسْرِقَ، وَلاَ نَزْنِيَ، وَلاَ نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا، وَلاَ نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا، وَلاَ نَعْصِيَه فِي

مَعْرُوفٍ. فَإِنْ وَفَّيْتُمْ فَلَكُمُ الجَنَّةُ، وَإِنْ غَشِيتُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً فَأَمْرُكُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ.

فَلَمَّا انْصَرَفَ عَنْهُ القَوْمُ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، مَعَهُمْ مُصْعَبَ بنَ عُمَيْرِ بنِ هَاشِمٍ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُقْرِئَهُمُ القُرْآنَ، وَيُعَلِّمَهُمُ الإِسْلَامَ، وَيُفَقِّهَهُمْ فِي الدِّينِ، فَكَانَ يُسَمَّى المُقْرِىءَ بِالمَدِينَةِ: مُصْعَبُ، وَكَانَ مَنْزِلَهُ عَلَى أَسْعَدِ بنِ زُرَارَةَ. وَكَانَ يُصَلِّي بِهِمْ.

وَكَانَ أَبُو أُمَامَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَوَّلَ مَنْ جَمَّعَ بِالمَدِينَةِ، أَيّ جَمَعَ النَّاسَ لِصَلَاةِ الجُمُعَةِ بِالمَدِينَةِ. وَيَقُولُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ كَعْبِ بنِ مَالِكٍ: كُنْتُ قَائِدَ أَبِي، كَعْبِ بنِ مَالِكٍ، حِينَ ذَهَبَ بَصَرُهُ، فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ بِهِ إِلَى الجُمُعَةِ فَسَمِعَ الأَذَانَ بِهَا صَلَّى عَلَى أَبِي أُمَامَةَ أَسْعَدِ بنِ زُرَارَةَ. قَالَ: فَمَكَثَ حِيناً عَلَى ذَلِكَ لَا يَسْمَعُ الأَذَانَ لِلْجُمُعَةِ إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ وَاسْتَغْفَرَ لَهُ. قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا بِي لَعَجْزٌ، أَلَا أَسْأَلُهُ مَا لَهُ إِذَا سَمِعَ الأَذَانَ لِلْجُمُعَةِ صَلَّى عَلَى أَبِي أُمَامَةَ أَسْعَدِ بنِ زُرَارَةَ؟ قَالَ: فَخَرَجْتُ بِهِ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ كَمَا كُنْتُ أَخْرُجُ، فَلَمَّا سَمِعَ الأَذَانَ لِلْجُمُعَةِ صَلَّى عَلَيْهِ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُ. قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَتِ، مَا لَكَ إِذَا سَمِعْتَ الأَذَانَ لِلْجُمُعَةِ صَلَّيْتَ عَلَى أَبِي أُمَامَةَ؟ قَالَ: فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ، كَانَ أَوَّلَ مَنْ جَمَّعَ بِنَا بِالمَدِينَةِ فِي هَزْمِ النَّبِيتِ،

مِنْ حَرَّةِ بَنِي بَيَاضَةَ، يُقَالُ لَهُ: نَقِيعُ الخَضِمَاتِ، قَالَ: قُلْتُ: وَكَمْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ رَجُلاً.

الدَّعْوَةُ بِالمَدِينَةِ:

نَزَلَ مُصْعَبُ عِنْدَ أَسْعَدِ بنِ زُرَارَةَ، فَخَرَجَ يَوْماً أَسْعَدُ بِمُصْعَبٍ يُرِيدُ دَارَ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ، وَدَارَ بَنِي ظَفَرٍ، وَهُمَا بَطْنَانِ مِنَ الأَوْسِ، وَكَانَ سَعْدُ بنُ مُعَاذِ بنِ النُّعْمَانِ بنِ امْرُىءِ القَيْسِ بنِ زَيْدِ بنِ عَبْدِ الأَشْهَلِ ابْنَ خَالَةِ أَسْعَدِ بنِ زُرَارَةَ.

دَخَلَ أَسْعَدُ وَمُصْعَبُ حَائِطاً مِنْ حَوَائِطِ بَنِي ظَفَرٍ عَلَى بِئْرِ مَرْقٍ، فَجَلَسَا فِي الحَائِطِ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِمَا رِجَالٌ مِمَّنْ أَسْلَمَ. وَسَعْدُ بنُ مُعَاذٍ، وَأُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ يَوْمَئِذٍ سَيِّدَا قَوْمِهِمَا مِنْ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ، وَكِلاَهُمَا مُشْرِكٌ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، فَلَمَّا سَمِعَا بِهِ قَالَ سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ لِأُسَيْدِ بنِ حُضَيْرٍ: لاَ أَبَا لَكَ، انْطَلِقْ إِلَى هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ أَتَيَا دَارَيْنَا لِيُسَفِّهَا ضُعَفَاءَنَا، فَازْجُرْهُمَا وَانْهَهُمَا عَنْ أَنْ يَأْتِيَا دَارَيْنَا، فَإِنَّهُ لَوْلاَ أَنَّ أَسْعَدَ بنَ زُرَارَةَ مِنِّي حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ كَفَيْتُكَ ذَلِكَ، هُوَ ابنُ خَالَتِي وَلاَ أَجِدُ عَلَيْهِ مَقْدَماً. قَالَ: فَأَخَذَ أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ حَرْبَتَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْهِمَا، فَلَمَّا رَآهُ أَسْعَدُ بنُ زُرَارَةَ قَالَ لِمُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ هَذَا سَيِّدُ قَوْمِهِ قَدْ جَاءَكَ فَاصْدُقِ اللَّهِ فِيهِ، قَالَ مُصْعَبٌ: إِنْ يَجْلِسْ أُكَلِّمْهُ قَالَ:

فَوَقفَ عَلَيْهِمَا مُتَشَتِّمَاً، فقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمَا إِلَيْنَا تُسَفِّهَانِ ضُعَفَاءَنَا؟ اعْتَزِلَانَا إِنْ كَانَتْ لَكُمَا بِأَنْفُسِكُمَا حَاجَةٌ، فقَالَ لَهُ مُصْعَبٌ: أَوَ تَجْلِسُ فَتَسْمَعُ، فَإِنْ رَضِيتَ أَمْراً قَبِلْتَهُ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ كُفَّ عَنْكَ مَا تَكْرَهُ؟ قَالَ: أَنْصَفْتَ، ثمّ رَكَزَ حَرْبَتَهُ، وَجَلَسَ إِلَيْهِمَا، فَكَلَّمَهُ مُصْعَبٌ بِالإِسْلَامِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ القُرْآنَ؛ فَقَالَا، فِيْمَا يُذْكَرُ عَنْهُمَا: وَاللَّهِ لَعَرَفْنَا فِي وَجْهِهِ الإِسْلَامَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ، فِي إِشْرَاقِهِ وَتَسَهُّلِهِ، ثُمَّ قَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا الكَلَامَ وَأَجْمَلَهُ! كَيْفَ تَصْنَعُونَ فِيْمَا إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا فِي هَذَا الدِّينِ؟ قَالَا لَهُ: تَغْتَسِلُ فَتَتَطَهَّرُ وَتُطَهِّرُ ثَوْبَيْكَ، ثُمَّ تَشْهَدُ شَهَادَةَ الحَقِّ، ثُمَّ تُصَلِّي. فقَامَ فَاغْتَسَلَ، وَطَهَّرَ ثَوْبَيْهِ، وَتَشَهَّدَ شَهَادَةَ الحَقِّ، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رُكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: إِنَّ وَرَائِي رَجُلاً إِنِ اتَّبَعَكُمَا لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ، وَسَأُرْسِلُهُ إِلَيْكُمَا الآنَ، سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ، ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ وَانْصَرَفَ إِلَى سَعْدٍ، وَقَوْمِهِ، وَهُمْ جُلُوسٌ فِي نَادِيهِمْ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ مُقْبِلاً قَالَ: أَحْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أُسَيْدٌ بِغَيْرِ الوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى النَّادِي قَالَ لَهُ سَعْدٌ: مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ: كَلَّمْتُ الرَّجُلَيْنِ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ بِهِمَا بَأْسَاً، وَقَدْ نَهَيْتُهُمَا فَقَالَا: نَفْعَلُ مَا أَحْبَبْتَ، وَقَدْ حُدِّثْتُ أَنَّ بَنِي حَارِثَةَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى أَسْعَدِ بنِ

زُرَارَةَ لِيَقْتُلُوهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ عَرَفُوا أَنَّهُ ابنُ خَالَتِكَ، لِيُخْفِرُوكَ. قَالَ: فَقَامَ سَعْدٌ مُغْضَباً مُبَادِراً، تَخَوُّفاً لِلَّذِي ذُكِرَ لَهُ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ، فَأَخَذَ الحَرْبَةَ مِنْ يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَرَاكَ أَغْنَيْتَ شَيْئاً، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمَا؛ فَلَمَّا رَآهُمَا سَعْدٌ مُطْمَئِنَّيْنَ، عَرَفَ سَعْدٌ أَنَّ أُسَيْداً إِنَّمَا أَرَادَ مِنْهُ أَنْ يَسْمَعَ مِنْهُمَا، فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا مُتَشَتِّماً، ثُمَّ قَالَ لِأَسْعَدَ بنِ زُرَارَةَ: يَا أَبَا أُمَامَةَ، أَمَا وَاللَّهِ، لَوْلَا مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنَ القَرَابَةِ مَا رُمْتَ هَذَا مِنِّي أَتَغْشَانَا فِي دَارَيْنَا بِمَا نَكْرَهُ ـ وَقَدْ قَالَ أَسْعَدُ بنُ زُرَارَةَ لِمُصْعبِ بنِ عُمَيْرٍ: أَيْ مُصْعَبُ، جَاءَكَ وَاللَّهِ سَيِّدُ مَنْ وَرَاءَهُ مِنْ قَوْمِهِ، إِنْ يَتْبَعْكَ لَا يَتَخَلَّفُ عَنْكَ مِنْهُمُ اثْنَانِ ـ فَقَالَ لَهُ مُصْعَبُ: أَوَ تَقْعُدُ فَتَسْمَعُ، فَإِنْ رَضِيتَ أَمْراً وَرَغِبْتَ فِيهِ قَبِلْتَهُ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ عَزَلْنَا عَنْكَ مَا تَكْرَهُ؟ قَالَ سَعْدٌ: أَنْصَفْتَ. ثُمَّ رَكَزَ الحَرْبَةَ وَجَلَسَ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ الإِسْلَامَ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ القُرْآنَ. قَالَا: فَعَرَفْنَا وَاللَّهِ فِي وَجْهِهِ الإِسْلَامَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ، لِإِشْرَاقِهِ وَتَسَهُّلِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: كَيْفَ تَصْنَعُونَ إِذَا أَنْتُمْ أَسْلَمْتُمْ وَدَخَلْتُمْ فِي هَذَا الدِّينِ؟ قَالَا: تَغْتَسِلُ فَتَتَطَهَّرُ وَتُطَهِّرُ ثَوْبَيْكَ، ثُمَّ تَشْهَدُ شَهَادَةَ الحَقِّ، ثُمَّ تُصَلِّي رُكْعَتَيْنِ، فَقَامَ فَاغْتَسَلَ، وَطَهَّرَ ثَوْبَيْهِ، وَتَشَهَّدَ شَهَادَةَ الحَقِّ، ثُمَّ رَكَعَ رُكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ فَأَقْبَلَ عَامِداً إِلَى نَادِي قَوْمِهِ وَمَعَهُ أُسَيْدُ بنُ

حُضَيْرٍ.

فَلَمَّا رَآهُ قَوْمُهُ مُقْبِلاً قَالُوا: نَحْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ رَجَعَ إِلَيْكُم سَعْدُ بِغَيْرِ الوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ، كَيْفَ تَعْلَمُونَ أَمْرِي فِيكُمْ؟ قَالُوا: سَيِّدُنَا، وَأَوْصَلُنَا، وَأَفْضَلُنَا رَأْياً، وَأَيْمَنُنَا نَقِيبَةً؛ قَالَ: فَإِن كَلاَمَ رِجَالِكُمْ وَنِسَائِكُمْ عَلَيَّ حَرَامٌ حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ.

قَالاَ: فَوَاللَّهِ مَا أَمْسَى فِي دَارِ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ رَجُلٌ وَلاَ امْرَأَةٌ إِلاَّ مُسْلِماً وَمُسْلِمَةً، وَرَجَعَ أَسْعَدُ وَمُصْعَبُ إِلَى مَنْزِلِ أَسْعَدِ بنِ زُرَارَةَ، فَأَقَامَ مُصْعَبُ عِنْدَهُ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الإِسْلاَمِ حَتَّى لَمْ تَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الأَنْصَارِ إِلاَّ فِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ مُسْلِمُونَ إِلاَّ القَلِيلَ.

بَيْعَةُ العَقَبَةِ الثَّانِيَةِ:

ثُمَّ إِنَّ مُصْعَبَ بنَ عُمَيْرٍ رَجَعَ إِلَى مَكَّةَ، وَحَانَ المَوْسِمُ، وَخَرَجَ مَنْ خَرَجَ مِمَّنْ أَسْلَمَ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ إِلَى المَوْسِمِ مَعَ حُجَّاجِ قَوْمِهِمْ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ، حَتَّى قَدِمُوا مَكَّةَ، فَوَاعَدُوا رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، العَقَبَةَ، مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، حِينَ أَرَادَ اللَّهُ بِهِمْ مَا أَرَادَ مِنْ كَرَامَتِهِ، وَالنَّصْرِ لِنَبِيِّهِ، وَإِعْزَازِ الإِسْلاَمِ وَأَهْلِهِ،

وَإِذْلَالِ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ.

يَقُولُ كَعْبُ بنُ مَالِكٍ، وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ العَقَبَةَ: ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى الحَجِّ، وَوَاعَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ العَقَبَةَ مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ. فَلَمَّا فَرَغْنَا مِنَ الحَجِّ، وَكَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي وَاعَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، لَهَا، وَمَعَنَا عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَمْرِو بنِ حَرَامٍ، أَبُو جَابِرٍ، سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِنَا، وَشَرِيفٌ مِنْ أَشْرَافِنَا، أَخَذْنَاهُ مَعَنَا، وَكُنَّا نَكْتُمُ مَنْ مَعَنَا مِنْ قَوْمِنَا مِنَ المُشْرِكِينَ أَمْرَنَا، فَكَلَّمْنَاهُ، وَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا جَابِرٍ، إِنَّكَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِنَا، وَشَرِيفٌ مِنْ أَشْرَافِنَا، وَإِنَّا نَرْغَبُ بِكَ عَمَّا أَنْتَ فِيْهِ أَنْ تَكُونَ حَطَباً لِلنَّارِ غَداً؛ ثُمَّ دَعَوْنَاهُ لِلإِسْلَامِ، وَأَخْبَرْنَاهُ بِمِيعَادِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، إِيَّانَا العَقَبَةَ. قَالَ: فَأَسْلَمَ، وَشَهِدَ مَعَنَا العَقَبَةَ، وَكَانَ نَقِيباً.

قَالَ: فَنِمْنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَعَ قَوْمِنَا فِي رِحَالِنَا، حَتَّى إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمِيعَادِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، نَتَسَلَّلُ تَسَلُّلَ القَطَا مُسْتَخْفِينَ، حَتَّى اجْتَمَعْنَا فِي الشِّعْبِ عِنْدَ العَقَبَةِ، وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلاً، وَمَعَنَا امْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِنَا: نُسَيْبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ، أُمُّ عُمَارَةَ، إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي مَازِنِ بنِ النَّجَّارِ؛ وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرِو بنِ عَدِيِّ بنِ نَابِي، إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي سَلَمَةَ، وَهِيَ أُمُّ مَنِيعٍ.

قَالَ: فَاجْتَمَعْنَا فِي الشِّعْبِ نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، حَتَّى جَاءَنَا وَمَعَهُ عَمُّهُ العَبَّاسُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ[1]، إِلاَّ أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَحْضَرَ أَمْرَ ابنَ أَخِيهِ وَيَتَوَثَّقُ لَهُ. فَلَمَّا جَلَسَ كَانَ أَوَّلَ مُتَكَلِّمِ العَبَّاسُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الخَزْرَجِ[2]: إِنَّ مُحَمَّداً مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ، وَقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ قَوْمِنَا، مِمّنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِنَا فِيْهِ، فَهُوَ فِي عِزٍّ مِنْ قَوْمِهِ، وَمَنَعَةٍ فِي بَلَدِهِ، وَإِنَّهُ قَدْ أَبَى إِلاَّ الانْحِيَازَ إِلَيْكُمْ، وَاللُّحُوقَ بِكُمْ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ وَافُونَ لَهُ بِمَا دَعَوْتُمُوهُ إِلَيْهِ، وَمَانِعُوهُ مِمَّنْ خَالَفَهُ، فَأَنْتُمْ وَمَا تَحَمَّلْتُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ مُسَلِّمُوهُ وَخَاذِلُوهُ بَعْدَ الخُرُوجِ بِهِ إِلَيْكُمْ، فَمِنَ الآنَ فَدَعُوهُ، فَإِنَّهُ فِي عِزٍّ وَمَنَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَبَلَدِهِ. قَالَ: فَقُلْنَا لَهُ: قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ، فتكَلَّم يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ.

قَالَ: فتكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، فتَلاَ القُرْآنَ، وَدَعَا إِلَى اللَّهِ،

---

(١) كان العباس، رضي الله عنه، مسلماً يخفي إسلامه، وكان عيناً لرسول الله، ﷺ، على أهل مكة، ولم يكن أحد يعلم ذلك سوى ما كان يعرفه الصديق، رضي الله عنه، ولم يكن حضوره العقبة مع ابن أخيه رسول الله، ﷺ، من باب العصبية كما يظن بعضهم، ويعلل ذلك بعضهم الآخر.

(٢) كانت العرب تسمي هذا الحي من الأنصار الخزرج، خزرجها وأوسها.

وَرَغَّبَ فِي الإِسْلَامِ، ثُمَّ قَالَ: أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ. قَالَ: فَأَخَذَ البَرَاءُ بنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ نَبِيًّا لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أُزُرَنَا[1]، فَبَايِعْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَنَحْنُ وَاللَّهِ أَبْنَاءُ الحُرُوبِ، وَأَهْلُ الحَلْقَةِ[2]، وَرِثْنَاهَا كَابِراً عَنْ كَابِرٍ. قَالَ: فَاعْتَرَضَ القَوْلَ، وَالبَرَاءُ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، أَبُو الهَيْثَمِ بنُ التَّيِّهَانِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرِّجَالِ حِبَالاً، وَإِنَّا قَاطِعُوهَا -يَعْنِي اليَهُودَ- فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ، ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللَّهُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى قَوْمِكَ وَتَدَعَنَا؟ قَالَ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، ثُمَّ قَالَ: بَلِ الدَّمَ الدَّمَ، وَالهَدْمَ الهَدْمَ[3]، أَنَا مِنْكُمْ، وَأَنْتُمْ مِنِّي، أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ، وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، قَدْ قَالَ: أَخْرِجُوا إِلَيَّ مِنْكُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً، لِيَكُونُوا عَلَى قَوْمِهِمْ بِمَا فِيهِمْ، فَأَخْرَجُوا اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً، تِسْعَةٌ مِنَ الخَزْرَجِ، وَثَلَاثَةٌ مِنَ الأَوْسِ. وَهُمْ:

---

(١) أزرنا: نساؤنا.
(٢) الحلقة: السلاح.
(٣) أي ذمتي ذمتكم، وحرمتي حرمتكم.

مِنَ الخَزْرَجِ:

١ ـ أَسْعَدُ بنُ زُرَارَةَ.

٢ ـ سَعْدُ بنُ الرَّبِيعِ.

٣ ـ عَبْدُ اللَّهِ بنُ رَوَاحَةَ.

٤ ـ رَافِعُ بنُ مَالِكٍ.

٥ ـ البَرَاءُ بنُ مَعْرُورٍ.

٦ ـ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَمْرِو بنِ حَرَامٍ.

٧ ـ عُبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ.

٨ ـ سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ.

٩ ـ المُنْذِرُ بنُ عَمْرٍو.

مِنَ الأَوْسِ:

١ ـ أُسَيْدُ بنُ الحُضَيْرِ.

٢ ـ سَعْدُ بنُ خَيْثَمَةَ.

٣ ـ أَبُو الهَيْثَمِ بنُ التَّيِّهَانِ. وَقِيلَ: بَلْ رُفَاعَةُ بنُ عَبْدِ المُنْذِرِ.

وَيقُولُ بَنُو النَّجَّارِ: إِنَّ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، كَانَ أَبُو أُمَامَةَ أَسْعَدُ بنُ زُرَارَةَ، عَلَى حِيْنِ يَقُولُ الأَوْسُ: بَلْ أَبُو الهَيْثَمِ بنُ التَّيِّهَانِ، وَيَقُولُ كَعْبُ بنُ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ

البَرَاءَ بنَ مَعْرُورٍ كَانَ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ. وَيُرْوَى أَنَّ أَبَا أُمَامَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَانَ نَقِيبَ النُّقَبَاءِ لِمَكَانَتِهِ فِي الدَّعْوَةِ.

وَطَلَبَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، أَنْ يَقُومُوا إِلَى رِحَالِهِمْ. وَنَفَّرَ شَيْطَانُ العَقَبَةِ أَهْلَهَا، وَسَأَلَتْ قُرَيْشٌ بَعْض رُؤَسَاءِ الخَزْرَجِ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ، ﷺ، فَأَنْكَرُوا ذَلِكَ، وَلَمْ يَكُونُوا عَلَى عِلْمٍ بِمَا تَمَّ، وَقَبَضَ بَعْضُ رِجَالِ قُرَيْشٍ عَلَى سَعْدِ بنِ عُبَادَةَ، وَسَارُوا بِهِ إِلَى مَكَّةَ حَتَّى أَجَارَهُ بَعْضُ سَادَتِهَا، وَأُفْلِتَ مِنْهُمْ المُنْذِرُ بنُ عَمْرٍو.

وَانْتَهَى المَوْسِمُ، وَرَجَعَ الأَنْصَارُ إِلَى المَدِينَةِ، بَعْدَ بَيْعَةِ العَقَبَةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي هِيَ بَيْعَةُ الحَرْبِ، بَيْنَمَا كَانَتِ الأُولَى بَيْعَةُ النِّسَاءِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَكُنْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ، ﷺ، فِي الحَرْبِ، فَلَمَّا أَذِنَ اللَّهُ لَهُ فِيهَا، وَبَايَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، عَلَى حَرْبِ الأَحْمَرِ وَالأَسْوَدِ، أَخَذَ لِنَفْسِهِ، وَاشْتَرَطَ عَلَى القَوْمِ لِرَبِّهِ، وَجَعَلَ لَهُمْ عَلَى الوَفَاءِ بِذَلِكَ الجَنَّةَ.

وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، أَصْحَابَهُ مِنَ المُهَاجِرِينَ مِنْ قَوْمِهِ، وَمَنْ مَعَهُ بِمَكَّةَ مِنَ المُسْلِمِينَ بِالخُرُوجِ إِلَى المَدِينَةِ وَالهِجْرَةِ إِلَيْهَا، وَاللُّحُوقِ بِإِخْوَانِهِمْ مِنَ الأَنْصَارِ. وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ إِخْوَاناً وَدَاراً تَأْمَنُونَ بِهَا. فَخَرَجُوا

أَرْسَالاً[1]، وَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، بِمَكَّةَ يَنْتَظِرُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ رَبُّهُ فِي الخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ، وَالهِجْرَةِ إِلَى المَدِينَةِ.

وَجَاءَ الإِذْنُ، وَهَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَنَزِلاَ بِقُبَاءٍ، فَأَقَامَا فِيهَا مُدَّةَ خَمْسَةَ أَيَّامٍ، وَأَسَّسَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، فِيهَا المَسْجِدَ، فَكَانَ أَوَّلَ مَسْجِدٍ بُنِيَ فِي الإِسْلاَمِ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى المَدِينَةِ، وَأَدْرَكَتْهُ صَلاَةُ الجُمُعَةِ فِيهَا، فَصَلَّى فِي وَادِي رَانُونَاءَ.

أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، أَنْ يُبْنَى المَسْجِدُ فِي المَكَانِ الَّذِي بَرَكَتْ فِيهِ نَاقَتُهُ، وَشَارَكَ فِي عَمَلِيَةِ البِنَاءِ لِيُرَغِّبَ المُسْلِمِينَ فِي العَمَلِ فِيهِ. وَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، فِي بَيْتِ أَبِي أَيُّوبَ حَتَّى بُنِيَ لَهُ مَسْجِدُهُ وَمَسَاكِنُهُ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى مَسَاكِنِهِ مِنْ بَيْتِ أَبِي أَيُّوبَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَوَادَعَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، يَهُودَ، وَآخَى بَيْنَ المُسْلِمِينَ، بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ.

---

(١) أرسالاً: جماعة في إثر جماعة.

وَفَاةُ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

فِي السَّنَةِ الأُولَى مِنَ الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ، وَالمَسْجِدُ لاَ يَزَالُ يُبْنَى أَخَذَتِ الذَّبْحَةُ أَبَا أُمَامَةَ فَتُوفِّيَ بِهَا. وَقَدْ كَوَاهُ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، مَرَّتَيْنِ فِي حَلْقِهِ مِنَ الذَّبْحَةِ، فَحَجَّرَ بِهِ حَلْقَهُ يَعْنِي بِالكَيِّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ: (مِيتَةُ سوءٍ لِلْيَهُودِ. يَقُولُونَ: هَلاَّ دَفَعَ عَنْ صَاحِبِهِ، وَلاَ أَمْلِكُ لَهُ وَلاَ لِنَفْسِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً)[1]. وَقَدْ تُوفِّيَ فِي شَهْرِ شَوَّالَ عَلَى رَأْسِ ثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ مِنَ الهِجْرَةِ. وَحَضَرَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، غَسْلَهُ، وَكَفَّنَهُ فِي ثَلاَثَةِ أَثْوَابٍ، مِنْهَا بُرْدٌ، وَصَلَّى عَلَيْهِ، وَرُئِيَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، يَمْشِي أَمَامَ الجِنَازَةِ. وَدَفَنَهُ بِالبَقِيعِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ دُفِنَ مِنَ الأَنْصَارِ فِيهِ، وَكَانَ عُثْمَانُ بنُ مَظْعُونٍ أَوَّلَ مَنْ دُفِنَ مِنَ المُهَاجِرِينَ.

كَانَ لِأَسْعَدَ بنِ زُرَارَةَ مِنَ الوَلَدِ حَبِيبَةُ، وَكَبْشَةُ، وَالفُرَيْعَةُ،

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٣٤٩٢ في الطب، وأحمد ٤/ ٦٥ و ٥/ ٣٧٨، وابن سعد ٣/ ٢/ ١٤٠، وابن عبد البر ٥/ ٤٦٩.

وَكُلُّهُنَّ كُنَّ قَدْ بَايَعْنَ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، وَأُمُّهُنَّ عُمَيْرَةُ بِنْتُ سَهْلِ بنِ ثَعْلَبَةَ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ. وَلَمْ يَكُنْ لِأَسْعَدَ بنِ زُرَارَةَ ذَكَرٌ، وَلَيْسَ لَهُ عَقِبٌ إِلَّا وِلَادَاتُ بَنَاتِهِ هَؤُلَاءِ، وَالعَقِبُ لِأَخِيهِ سَعْدِ بنِ زُرَارَةَ.

وَقَدْ أَوْصَى أَبُو أُمَامَةَ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، بِبَنَاتِهِ فَكُنَّ فِي عِيَالِهِ، يَدُرْنَ مَعَهُ فِي بُيُوتِ نِسَائِهِ.

لَمَّا مَاتَ أَبُو أُمَامَةَ اجْتَمَعَتْ بَنُو النَّجَّارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَكَانَ أَبُو أُمَامَةَ نَقِيبَهُمْ، فَقَالُوا لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا كَانَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ، فَاجْعَلْ مِنَّا رَجُلاً مَكَانَهُ يُقِيمُ مِنْ أَمْرِنَا مَا كَانَ يُقِيمُ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ: أَنْتُمْ أَخْوَالِي، وَأَنَا بِمَا فِيكُمْ، وَأَنَا نَقِيبُكُمْ؛ وَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، أَنْ يَخُصَّ بِهَا بَعْضَهُمْ دُونَ بَعْضٍ. فَكَانَ مِنْ فَضْلِ بَنِي النَّجَّارِ الَّذِي يَعُدُّونَهُ عَلَى قَوْمِهِمْ، أَنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، نَقِيبَهُمْ[١].

(١) سيرة ابن هشام.

بُنَاة دَوْلَةِ الإسْلام

٦٧

عُتْبَةُ بنُ غَزْوَانَ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

عُتْبَةُ بنُ غَزْوَانَ بنِ جَابِرِ بنِ وَهَبِ بنِ نُسَيْبِ بنِ زَيْدِ بنِ مَالِكِ بنِ الحَارِثِ بنِ عَوْفِ بنِ مَازِنِ بنِ مَنْصُورِ بنِ عِكْرِمَةَ بنِ خَصَفَةَ بنِ قَيْسِ عَيْلَانَ بنِ مُضَرٍ.

يُكَنَّى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، كَمَا قِيلَ: أَبَا غَزْوَانَ، وَقَدْ أَقَامَ بِمَكَّةَ حَلِيفاً لِبَنِي عَبْدِ شَمْسٍ. كَانَ طَوِيلاً جَمِيلاً، مَاهِراً فِي الرِّمَايَةِ، وَيُعَدُّ مِنَ الرُّمَاةِ البَارِزِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وُلِدَ حَوَالَي سَنَةِ ٤٠ قَبْلَ الهِجْرَةِ، فَهُوَ أَصْغَرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، بِخَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً. حَيْثُ كَانَتْ هِجْرَةُ عُتْبَةَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ.

كَانَ عُتْبَةُ بنُ غَزْوَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِنْ أَوَائِلِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، دَارَ الأَرْقَمِ بنِ أَبِي الأَرْقَمِ المَخْزُومِيِّ، وَهَاجَرَ إِلَى الحَبَشَةِ مَعَ الجَمَاعَةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي انْطَلَقَتْ مَعَ جَعْفَرِ بنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَبَعْدَهُ، وَلَكِنْ

لَمْ يَلْبَثْ أَنْ عَادَ مَعَ مَنْ رَجَعَ مِنَ المُهَاجِرِينَ، وَكَانَتْ تِلْكَ العَوْدَةُ فِي شَهْرِ شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الخَامِسَةِ مِنَ البِعْثَةِ النَّبَوِيَّةِ مَعَ العِلْمِ أَنَّ المُهَاجِرِينَ إِلَى الحَبَشَةِ قَدْ بَدَؤُوا بِالْهِجْرَةِ فِي شَهْرِ رَجَب مِنَ السَّنَةِ نَفْسِهَا.

بَقِيَ عُتْبَةُ بنُ غَزْوَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي مَكَّةَ مَعَ بَقِيةِ إِخْوَانِهِ وَرَسُولِهِمُ الكَرِيمِ، عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، حَتَّى كَانَتِ الهِجْرَةُ إِلَى المَدِينَةِ، وَهِيَ مُدَّةٌ تَقْرُبُ مِنْ ثَمَانِ سَنَوَاتٍ.

بَدَأَ المُسْلِمُونَ بِالهِجْرَةِ إِلَى المَدِينَةِ، ثُمَّ هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَلَحِقَهُمَا بَعْدَ أَيَّامٍ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، ثُمَّ بَقِيَّةُ المُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَبْقَ فِي مَكَّةَ مِنْهُمْ إِلَّا بَعْضُ المُسْتَضْعَفِينَ، وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ إِيمَانَهُمْ، وَبَعْضُ حُلَفَاءِ سَادَاتِ قُرَيْشٍ احْتِرَاماً لِلْمَوَاثِيقِ الَّتِي بَيْنَهُمْ، وَخَوْفاً مِنْ أُولَئِكَ السَّادَاتِ، وَكَانَ مِنْ هَؤُلاَءِ الحُلَفَاءِ المِقْدَادُ بنُ عَمْرٍو حَلِيفُ بَنِي زُهْرَةَ، وَعُتْبَةُ بنُ غَزْوَانَ حَلِيفُ بَنِي نَوْفَلِ بنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَنَوْفَلُ وَعَبْدُ شَمْسٍ أَخَوَانِ وفي حِلْفٍ، كَمَا بَقِيَ العَبَّاسُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَكَانَ مِمَّنْ يَكْتُمُ إِسْلاَمَهُ حَيْثُ كَانَ عَيْناً لِرَسُولِ اللَّه، ﷺ، عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ، وَسَنَداً لِمَنْ بَقِيَ مِنَ المُسْلِمِينَ المُسْتَضْعَفِينَ فِي مَكَّةَ، يَرْعَى شُؤُونَهُمْ، يُسَاعِدُهُمْ سِرّاً، وَيَقِفُ بِجَانِبِهِمْ، وَيُظْهِرُ أَنَّهُ عَلَى دِينِ

آبَائِهِ وَقَوْمِهِ.

وَفِي المَدِينَةِ آخَى رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ بَيْنَ المُسْلِمِينَ، فَأَصْبَحُوا كُتْلَةً وَاحِدَةً تَحْتَ رَايَةٍ وَاحِدَةٍ بَعِيدِينَ عَنْ عَصَبِيّاتِ الجَاهِلِيَّةِ مِنْ قَوْمِيَّةٍ وَقَبِيلِيَّةٍ، كَمَا وَادَعَ يَهُودَ فَخَفَّفُوا مِنْ فِتَنِهِمْ مَرْحَلِيًّا رَيْثَمَا يَنْجَلِي لَهُمُ المَوْقِفُ ـ حَسْبَ تَصَوُّرِهِمْ ـ وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى المُسْلِمِينَ حَتَّى يَشْتَدَّ سَاعِدُهُمْ، وَيَقْضُوا عَلَى العَدَوَاتِ الأُخْرَى، كَيْ لاَ يَنْضَمَّ اليَهُودُ فِي هَذِهِ المَرْحَلَةِ إِلَى أَعْدَاءِ المُسْلِمِينَ خَارِجَ المَدِينَةِ.

أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، يَقُومُ بِغَزَوَاتٍ، وَيُرْسِلُ السَّرَايَا إِلَى الجِهَاتِ القَرِيبَةِ مِنَ المَدِينَةِ حَيْثُ كَانَتْ طُرُقُ قَوَافِلِ قُرَيْشٍ إِلَى الشَّامِ. وَلَمْ تَكُنْ تِلْكَ الغَزَوَاتِ وَالسَّرَايَا لِتَضُمَّ إِلاَّ المُهَاجِرِينَ لِأَنَّ الهَدَفَ مِنْهَا اسْتِطْلاَعُ الأَرْضِ، وَهَذَا أَمْرٌ يَعْرِفُهُ الأَنْصَارُ، كَمَا كَانَتِ الرُّغْبَةُ فِي التَّعَرُفِ عَلَى القَبَائِلِ الضَّارِبَةِ فِي تِلْكَ النَّوَاحِي وَالْعَمَلِ عَلَى إِقَامَةِ عَلاَقَاتٍ مَعَهَا وَعُهُودٍ، وَهُوَ أَمْرٌ أَيْضاً قَائِمٌ مَعَ الأَنْصَارِ، وَحَتَّى لاَ يُظَنَّ أَنَّ العَلاَقَاتِ إِذَا تَمَّتْ إِنَّمَا هِيَ مَعَ الأَنْصَارِ فِيمَا إِذَا كَانُوا ضِمْنَ تِلْكَ الغَزَوَاتِ وَالسَّرَايَا إِنْ أَرَادَتْ القَبَائِلُ الانْسِحَابَ مِمَّا عَاهَدَتْ عَلَيْهِ.

غَزَا رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، يُرِيدُ قُرَيْشاً وَبَنِي ضَمْرَةَ، فَوَصَلَ إِلَى

بَلْدَةِ (وَدَّانَ)، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ صَفَر مِنَ السَّنَةِ الأُولَى لِلْهِجْرَةِ، فَوَادَعَهُ بَنُو ضَمْرَةَ. وَلَمْ يَلْقَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، كَيْداً فِي تِلْكَ الغَزْوَةِ.

وَبَعْدَ مُرُورِ سَنَةٍ قَمَرِيَّةٍ مِنْ هِجْرَتِهِ أَيْ فِي النِّصْفِ الثَّانِي مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الأَوَّلِ بَعَثَ عُبَيْدَةَ بنَ الحَارِثِ بنِ المُطَّلِبِ بنِ عَبْدِ مَنَافٍ فِي ثَمَانِينَ رَاكِباً كُلُّهُمْ مِنَ المُهَاجِرِينَ، يُرِيدُونَ رَكْباً لِقُرَيْشٍ بِإِمْرَةِ عِكْرِمَةَ بنِ أَبِي جَهْلٍ. فَسَارَ عُبَيْدَةُ بِمَنْ مَعَهُ حَتَّى بَلَغَ مَاءً بِالحِجَازِ بِأَسْفَلِ ثَنِيَةِ (المُرَّةِ)، فَلَقِيَ بِهَا رَكْبَ قُرَيْشٍ، وَكَانَ جَمْعاً كَبِيراً، وَلَكِنْ لَمْ يَقَعْ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ، إِلاَّ أَنَّ سَعْدَ بنَ أَبِي وَقَّاصٍ قَدْ رَمَى يَوْمَئِذٍ بِسَهْمٍ، فَكَانَ أَوَّلَ سَهْمٍ رُمِيَ بِهِ فِي الإِسْلاَمِ. وَانْصَرَفَ الرَّكْبَانِ بَعْضُهُمَا عَنْ بَعْضٍ. وَلَكِنْ فَرَّ مِنَ المُشْرِكِينَ المِقْدَادُ بنُ عَمْرٍو البَهْرَانِيُّ، وَعُتْبَةُ بنُ غَزْوَانَ بنِ جَابِرٍ، وَكَانَا مُسْلِمَيْنِ مِنْ قَبْلُ، وَقَدْ خَرَجَا مَعَ المُشْرِكِينَ لِيَصِلاَ إِلَى المُسْلِمِينَ.

وَتَوَالَتِ الغَزَوَاتُ وَالسَّرَايَا، وَكَانَ عُتْبَةُ بنُ غَزْوَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جُنْدِيًّا مِنْ جُنُودِ الإِسْلاَمِ، يَسِيرُ فِي كُلِّ غَزْوَةٍ أَوْ سَرِيَّةٍ حَسْبَ أَوَامِرِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَمِنْ هَذِهِ السَّرَايَا الَّتِي بَعَثَهَا رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، سَرِيَّةَ

عَبْدِ اللَّهِ بنِ جَحْشٍ الَّتِي بَعَثَهَا فِي رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِلْهِجْرَةِ، وَتَضُمُّ ثَمَانِيَةَ رِجَالٍ كُلُّهُمْ مِنَ المُهَاجِرِينَ، وَهُمْ:

عَبْدُ اللَّهِ بنِ جَحْشٍ: أَمِيرُ السَّرِيَّةِ. مِنْ حُلَفَاءِ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ.

أَبُو حُذَيْفَةَ بنُ عُتْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ: مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ.

عُكَّاشَةُ بنُ مُحْصِنٍ: مِنْ حُلَفَاءِ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ. وَهُوَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ.

عُتْبَةُ بنُ غَزْوَانَ: مِنْ حُلَفَاءِ بَنِي نَوْفَلِ بنِ عَبْدِ مَنَافٍ.

سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ: مِنْ بَنِي زُهْرَةَ.

عَامِرُ بنُ رَبِيعَةَ: مِنْ حُلَفَاءِ بَنِي عَدِيٍّ. مِنْ عَنْزِ بنِ وَائِلٍ.

وَاقِدُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ: مِنْ حُلَفَاءِ بَنِي عَدِيٍّ، وَهُوَ مِنْ تَمِيمٍ.

خَالِدُ بنُ البُكَيْرِ: مِنْ حُلَفَاءِ بَنِي عَدِيٍّ، وَهُوَ مِنْ بَنِي سَعْدِ بنِ لَيْثٍ.

سُهَيْلُ بنُ بَيْضَاءَ: مِنْ بَنِي الحَارِثِ.

وَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، كِتَاباً لِأَمِيرِ السَّرِيَّةِ، وَأَمَرَهُ أَنْ لَا يَنْظُرَ فِيهِ حَتَّى يَسِيرَ يَوْمَيْنِ، ثُمَّ يَنْظُرُ فِيهِ، فَيَمْضِي لِمَا أَمَرَهُ بِهِ،

وَلاَ يَسْتَكْرِهُ مِنْ أَصْحَابِهِ أَحَداً. فَلَمَّا سَارَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ جَحْشٍ يَوْمَيْنِ فَتَحَ الكِتَابَ، فَنَظَرَ فِيْهِ، فَإِذَا فِيْهِ: إِذَا نَظَرْتَ فِي كِتَابِي هَذَا فَامْضِ حَتَّى تَنْزِلَ (نَخْلَةَ) بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفَ، فَتَرَصَّدَ بِها قُرَيْشَاً، وَتَعَلَّمَ لَنَا مِنْ أَخْبَارِهِمْ. فَلَمَّا نَظَرَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ جَحْشٍ فِي الكِتَابِ، قَالَ: سَمْعَاً وَطَاعَةً؛ ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: قَدْ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، أَنْ أَمْضِيَ إِلَى (نَخْلَةَ) أَرْصُدُ بِهَا قُرَيْشَاً حَتَّى آتِيَهُ مِنْهُمْ بِخَبَرٍ، وَقَدْ نَهَانِي أَنْ أَسْتَكْرِهَ أَحَدَاً مِنْكُمْ. فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُرِيدُ الشَّهَادَةَ وَيَرْغَبُ فِيْهَا فَلْيَنْطَلِقْ، وَمَنْ كَرِهَ ذَلِكَ فَلْيَرْجِعْ؛ فَأَمَّا أَنَا فَمَاضٍ لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ. فَمَضَى وَمَضَى مَعَهُ أَصْحَابُهُ لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ. هَكَذَا الطَّاعَةُ، وَهَكَذَا القِيَادَةُ، وَهَكَذَا الجُنْدِيَّةُ. فَقِيَادَةُ المُسْلِمِ أَفْضَلُ قِيَادَةٍ، وَجُنْدِيَّتُهُ خَيْرُ جُنْدِيَّةٍ، وَطَاعَتُهُ فِيْهَا أَسْمَى مَعَانِي الطَّاعَةِ، طَاعَةٌ تَامَّةٌ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ لِأَمْرٍ مِنْ أَوَامِرِ اللَّهِ، وَدُونَ مُخَالَفَةٍ.

وَلَمَّا كَانَتِ السَّرِيَّةُ فِي مَكَانٍ يُقَالُ لَهُ: (بَحْرَانُ) أَضَلَّ سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعُتْبَةُ بنُ غَزْوَانَ بَعِيْرَاً لَهُمَا كَانَا يَتَعَقَّبَانِهِ، فَتَخَلَّفَا عَلَيْهِ فِي طَلَبِهِ. وَمَضَى عَبْدُ اللَّهِ بنُ جَحْشٍ وَبَقِيَّةُ أَصْحَابِهِ حَتَّى نَزَلَ بِـ (نَخْلَةَ)، فَمَرَّتْ بِهِ عِيْرٌ لِقُرَيْشٍ تَحْمِلُ زَبِيبَاً وَأَدَمَاً، وَتِجَارَةً مِنْ تِجَارَةِ قُرَيْشٍ فِيْهَا:

عَمْرُو بنُ الحَضْرَمِيِّ.
عُثْمَانُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ المُغِيرَةِ المَخْزُومِيُّ.
نَوْفَلُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ المُغِيرَةِ المَخْزُومِيُّ.
الحَكَمُ بنُ كَيْسَانَ: مَوْلَى هِشَامِ بنِ المُغِيرَةِ المَخْزُومِيُّ.

فَلَمَّا رَأَوْهُمُ القَوْمُ هَابُوهُمْ وَقَدْ نَزَلُوا قَرِيباً مِنْهُمْ، فَأَشْرَفَ عَلَيْهِمْ عُكَّاشَةُ بنُ مُحْصِنٍ، وَكَانَ قَدْ حَلَقَ رَأْسَهُ، فَلَمَّا رَأَوْهُ آمَنُوا، وَقَالُوا: عُمَّارٌ، لاَ بَأْسَ عَلَيْكُمْ مِنْهُمْ. وَتَشَاوَرَ القَوْمُ فِيهِمْ، وَذَلِكَ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ؛ فَقَالَ القَوْمُ: وَاللَّهِ لَئِنْ تَرَكْتُمُ القَوْمَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ لَيَدْخُلُنَّ الحَرَمَ، فَلَيَمْتَنِعُنَّ مِنْكُمْ بِهِ، وَلَئِنْ قَتَلْتُمُوهُمْ لَتَقْتُلُنَّهُمْ فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ؛ فَتَرَدَّدَ القَوْمُ، وَهَابُوا الإِقْدَامَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ شَجَّعُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَيْهِمْ، وَأَجْمَعُوا عَلَى قَتْلِ مَنْ قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنْهُمْ، وَأَخْذِ مَا مَعَهُمْ فَرَمَى وَاقِدُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيُّ عَمْرَوَ بنَ الحَضْرَمِيِّ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ، وَاسْتَأْسَرَ عُثْمَانَ بنَ عَبْدِ اللَّهِ، وَالحَكَمَ بنَ كَيْسَانَ، وَأَفْلَتَ القَوْمَ نَوْفَلُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ فَأَعْجَزَهُمْ. وَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ جَحْشٍ وَأَصْحَابُهُ بِالعِيرِ وَبِالأَسِيرَيْنِ، حَتَّى قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، بِالمَدِينَةِ.

فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، بِالمَدِينَةِ؛ قَالَ: مَا أَمَرْتُكُمْ بِقِتَالٍ فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ. فَوَقَّفَ العِيرَ وَالأَسِيرَيْنِ، وَأَبَى أَنْ يَأْخُذَ

مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً. فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، سُقِطَ فِي أَيْدِي القَوْمِ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا، وَعَنَّفَهُمْ إِخْوَانُهُمْ مِنَ المُسْلِمِينَ فِيمَا صَنَعُوا. وَقَالَتْ قُرَيْشٌ: قَدِ اسْتَحَلَّ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ الشَّهْرَ الحَرَامَ، وَسَفَكُوا فِيْهِ الدَّمَ، وَأَخَذُوا فِيهِ الأَمْوَالَ، وَأَسَرُوا فِيْهِ الرِّجَالَ؛ فَقَالَ مَنْ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ مِنَ المُسْلِمِينَ مِمَّنْ كَانَ بِمَكَّةَ: إِنَّمَا أَصَابُوا مَا أَصَابُوا فِي شَعْبَانَ.

وَقَالَتْ يَهُودُ ـ تَفَاؤُلٌ بِذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ ـ عَمْرُو بنُ الحَضْرَمِيِّ قَتَلَهُ وَاقِدُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَمْرُو: عَمُرَتِ الحَرْبُ، وَالحَضْرَمِيُّ: حَضَرَتِ الحَرْبُ؛ وَوَاقِدُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ: وَقَدَتِ الحَرْبُ. فَجَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ لاَ لَهُمْ.

فَلَمَّا أَكْثَرَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ: [يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالمَسْجِدِ الحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ القَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا(١)]. فَلَمَّا نَزَلَ القُرْآنُ بِهَذَا مِنَ الأَمْرِ، وَفَرَّجَ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ المُسْلِمِينَ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الشَّفَقِ(٢)، قَبَضَ

---

(١) سورة البقرة ٢١٧.

(٢) الشفق: الخوف.

رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، العِيرَ وَالأَسِيرَيْنِ، وَبَعَثَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ فِي فِدَاءِ عُثْمَانَ بنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَالحَكَمِ بنِ كَيْسَانَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ: لاَ نَفْدِيكُهُمَا حَتَّى يَقْدُمَ صَاحِبَانَا ـ يَعْنِي سَعْدَ بنَ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعُتْبَةَ بنَ غَزْوَانَ ـ فَإِنَّا نَخْشَاكُمْ عَلَيْهِمَا، فَإِنْ تَقْتُلُوهُمَا نَقْتُلْ صَاحِبَيْكُمْ. فَقَدِمَ سَعْدٌ وَعُتْبَةُ، فَأَفْدَاهُمَا رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، مِنْهُمْ.

فَأَمَّا الحَكَمُ بنُ كَيْسَانَ فَأَسْلَمَ فَحَسُنَ إِسْلاَمُهُ، وَأَقَامَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، حَتَّى قُتِلَ يَوْمَ بِئْرِ مَعُونَةَ شَهِيداً. وَأَمَّا عُثْمَانُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ فَلَحِقَ بِمَكَّةَ فَمَاتَ بِهَا كَافِراً[1].

نَزَلَ عُتْبَةُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بنِ سَلَمَةَ العَجْلاَنِيِّ، وَقِيلَ عِنْدَ عَبَّادِ بنِ بِشْرٍ، وَآخَى رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي دُجَانَةَ.

وَشَهِدَ عُتْبَةُ بنُ غَزْوَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، بَدْراً وَالمَشَاهِدَ كُلَّهَا.

وَقُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ.

عُتْبَةُ مَعَ الصِّدِّيقِ:

شَارَكَ عُتْبَةُ فِي قِتَالِ المُرْتَدِّينَ، وَكَانَ مَعَ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ،

---

(١) انظر سيرة ابن هشام.

وَانْتَقَلَ إِلَى الجَبْهَةِ الشَّرْقِيَّةِ لِقِتَالِ الفُرْسِ بَعْدَ القَضَاءِ عَلَى حَرَكَةِ الرِّدَّةِ، وَقَدْ أَبْلَى فِي الجِهَادِ أَحْسَنَ البَلاَءِ.

عُتْبَةُ مَعَ الفَارُوقِ:

كَانَ عُتْبَةُ فِي طَلِيعَةِ المُجَاهِدِينَ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَهُ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلَى المَنْطِقَةِ الَّتِي تَقَعُ شَمَالَ الخَلِيجِ العَرَبِيِّ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَخْتَطَّ البَصْرَةَ، وَكَانَتْ مِنْ قَبْلُ تُعْرَفُ بِالأُبُلَّةِ، وَتُعْرَفُ المَنْطِقَةُ بِأَرْضِ الهِنْدِ، فَهُوَ الَّذِي مَصَّرَ البَصْرَةَ، فَأَوَّلَ مَا نَزَلَهَا كَانَ فِي ثَمَانِمِائَةٍ، فَبَنَى المَسْجِدَ بِقَصَبٍ، وَلَمْ يَبْنِ بِهَا دَاراً، وَسُمِّيَتْ البَصْرَةُ بِحِجَارَةٍ سُودٍ كَانَتْ هُنَاكَ. فَلَمَّا كَثُرُوا بَنَوْا سَبْعَ دَسَاكِرَ مِنْ لَبِنٍ، اثْنَتَيْنِ مِنْهَا فِي الخُرَيْبَةِ. فَكَانَ أَهْلُهَا يَغْزُونَ جِبَالَ فَارِسَ.

وَكَانَ سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ، عَامِلَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلَى المَشْرِقِ، فَكَانَ يَكْتُبُ إِلَى عُتْبَةَ بنِ غَزْوَانَ، فَوَجَدَ مِنْ ذَلِكَ، وَاسْتَأْذَنَ الخَلِيفَةَ أَنْ يَقْدُمَ عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لَهُ، فَاسْتَخْلَفَ مَكَانَهُ عَلَى البَصْرَةِ المُغِيرَةَ بنَ شُعْبَةَ، وَكَانَ قَدْ أَمْضَى سِتَّةَ أَشْهُرٍ عَامِلاً عَلَى البَصْرَةِ. وَشَكَا إِلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ تَسَلُّطَ سَعْدٍ عَلَيْهِ. فَسَكَتَ عُمَرُ. فَأَعَادَ عَلَيْهِ عُتْبَةُ وَأَكْثَرَ، قَالَ: وَمَا عَلَيْكَ يَا عُتْبَةُ أَنْ تُقِرَّ لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ؟. قَالَ: أَوَلَسْتُ مِنْ قُرَيْشٍ؟ قَالَ

رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ: «حَلِيفُ القَوْمِ مِنْهُمْ»، وَلِي صُحْبَةٌ قَدِيمَةٌ. قَالَ: لاَ نُنْكِرُ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِكَ. قَالَ: أَمَّا إِذ صَارَ الأَمْرُ إِلَى هَذَا، فَوَاللَّهِ لاَ أَرْجِعُ إِلَى البَصْرَةِ أَبَداً. فَأَبَى عُمَرُ، وَرَدَّهُ، فَمَاتَ بِالطَّرِيقِ، أَصَابَهُ البَطِنُ فِي «مَعْدِنِ بَنِي سُلَيْمٍ» سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ، وَقَدِمَ غُلاَمَهُ سُوَيْدُ بِمَتَاعِهِ وَتَرِكَتِهِ إِلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ.

تُوفِّيَ وَعُمْرُهُ سَبْعٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أَخْرَجَ مُسْلِمٌ /٢٩٦٧/ فِي الزّهْدِ مِنْ طَرِيقِ حُمَيْدِ بنِ هِلاَلٍ، عَنْ خَالِدِ بنِ عُمَيْرٍ العَدَوِيُّ قَالَ: خَطَبَنَا عُتْبَةُ بنُ غَزْوَانَ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِصَرْمٍ[1] وَوَلَّتْ حَذَّاء[2]، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلاَّ صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الإِنَاءِ يَتَصَابُّهَا صَاحِبُهَا، وَإِنَّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لاَ زَوَالَ لَهَا، فَانْتَقِلُوا بِخَيْرِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ. فَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفَةِ جَهَنَّمَ فَيَهْوِي فِيْهَا سَبْعِينَ عَاماً لاَ يُدْرِكُ لَهَا قَعْراً. وَاللَّهِ لَتُمْلأَنَّ. أَفَعَجِبْتُمْ؟ وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ مَسِيرَةَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الزِّحَامِ. وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، مَا لَنَا طَعَامٌ إِلاَّ

---

(١) الصرم: الانقطاع.
(٢) حذّاء: مسرعةً.

وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّى قُرِّحَتْ أَشْدَاقُنَا. فَالْتَقَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بنِ مَالِكٍ، فَاتَّزَرْتُ بِنِصْفِهَا، وَاتَّزَرَ سَعْدٌ بِنِصْفِهَا. فَمَا أَصْبَحَ اليَوْمَ مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا أَصْبَحَ أَمِيراً عَلَى مِصْرٍ مِنَ الأَمْصَارِ. وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسِي عَظِيماً، وَعِنْدَ اللَّهِ صَغِيراً. وَإِنَّهَا لَمْ تكُنْ نُبُوَّةٌ قَطُّ إِلَّا تَنَاسَخَتْ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُ عاقِبَتِهَا مُلْكاً. فَسَتَخْبَرُونَ وَتُجَرِّبُونَ الأُمَرَاءَ بَعْدَنَا[1].

(١) انظر سير أعلام النبلاء.

بُنَاة دَوْلَةِ الإسْلام

٦٨

مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

نَشْأَةُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

هُوَ مُعَاذُ بنُ جَبَلِ بنِ عَمْرِو بنِ أَوْسِ بنِ عَائِذِ بنِ عَدَيٍّ بنِ كَعْبِ بنِ عَمْرِو بنِ أُدَيٍّ بنِ سَعْدِ بنِ عَلِيٍّ بنِ أَسَدِ بنِ سَارِدَةَ بنِ يَزِيدَ بنِ جُشَمِ بنِ الخَزْرَجِ.

وَأُمُّهُ هِنْدُ بِنْتُ سَهْلٍ مِنْ بَنِي رَفَاعَةَ، ثُمَّ مِنْ جُهَيْنَةَ.

تُوفِّيَ وَالِدُهُ جبَلُ بنُ عَمْرٍو وَمُعَاذُ لاَ يَزَالُ صَغِيراً. وَتزَوَّجَتْ أُمُّهُ مِنَ الجَدِّ بنِ قَيْسٍ أَحَدِ سَادَةِ بَنِي سَلَمَةَ، وَكَانَ بَخِيلاً شَحِيحاً، وَاضْطَرَّ مُعَاذُ أَنْ يَنْتَقِلَ مَعَ أُمِّهِ إِلَى دِيَارِ بَنِي سَلَمَةَ، وَلَمْ يَـكُنْ مُعَاذُ عَلَى رَاحَةٍ فِي بِيئَتِهِ الجَدِيدَةِ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ زَوْجُ أُمِّهِ الجَدُّ بنُ قَيْسٍ.

وُلِدَ مُعَاذٌ فِي السَّنَةِ العِشْرِينَ قَبْلَ الهِجْرَةِ، وَعِنْدَمَا بَلَغَ سِنَّ الشَّبَابِ أَخَذَ يَبْحَثُ عَنِ المِثَالِيَاتِ، وَيَتَحَدَّثُ عَنْ صِفَاتِ الكَمَالِ عِنْدَ الرِّجَالِ، وَيُظْهِرُ أَلَمَهُ بِمَا يَحْدُثُ فِي المُجْتَمَعِ الَّذِيْ يَعِيشُ فِيْهِ، وَهَذَا مَا فَتَحَ نَوَافِذَ الخَيْرِ عِنْدَهُ، وَهَيَّأَ أَجْهِزَةَ التَّلَقِّي لَدَيْهِ

لِاسْتِقْبَالِ كُلِّ فَضِيلَةٍ، وَتَقَبُّلِ كُلِّ خُلُقٍ كَرِيمٍ، وَبِالتَّالِي اسْتَعَدَّ نَفْسِيّاً لِقُبُولِ الإِسْلاَمِ.

إِسْلَامُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

بَعْدَ بَيْعَةِ العَقَبَةِ الأُولَى أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، مُصْعَبَ بنَ عُمَيْرٍ مَعَ مَنْ بَايَعَ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ إِلَى دِيَارِهِمْ لِيَدْعُوَ إِلَى الإِسْلَامِ، وَيُبَشِّرَ بِالدَّعْوَةِ، وَيُعَلِّمَ الدِّينَ مَنْ أَسْلَمَ. فَنَزَلَ مُصْعَبٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عِنْدَ أَسْعَدِ بنِ زُرَارَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَخَذَ يَقُومُ بِمُهِمَّتِهِ، وَسَمِعَ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِذَلِكَ فَذَهَبَ إِلَيْهِ، وَاسْتَمَعَ مِنْهُ، فَسُرَّ بِمَا سَمِعَ، وَوَجَدَ فِي ذَلِكَ ضَالَّتَهُ، وَرَأَى بِمَا سَمِعَ مَا تَنْشُدُهُ الدُّنْيَا، وَمَا يَتَّفِقُ مَعَ فِطْرَةِ النَّفْسِ البَشَرِيَّةِ فَأَسْلَمَ. وَزَادَتْ لِقَاءَاتُهُ مَعَ مُصْعَبٍ بَلْ لَمْ يَكُنْ يَرْتَوِي مِنْ تِلْكَ الجَلَسَاتِ حَيْثُ كَانَ يَنْهَلُ كُلَّ مَا يَسْتَطِيعُ عَقْلُهُ أَنْ يَأْخُذَ، وَيُرِيدُ المَزِيدَ.

وَأَخَذَتْ نَفْسُهُ تَتُوقُ لِرُؤْيَةِ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، الَّذِيْ يَحْمِلُ الخَيْرَ، وَيَدْعُو لَهُ، وَيَسْعَى إِلَيْهِ، وَيَتَصَوَّرُ دَائِماً أَنَّ نُوراً يَشِعُّ مِنْ هَذَا النَّبِيِّ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَيَتَمَنَّى لَوْ يَتَمَكَّنُ مِنْ أَنْ

يَطِيرَ إِلَى مَكَّةَ لِيَرَى رَسُولَهُ الكَرِيمَ. وَلَكِنْ لَيْسَ بِإِمْكَانِهِ حَتَّى السَّفَرِ فِي أَيِّ وَقْتٍ، فَإِمْكَانَاتُهُ مَحْدُودَةٌ، إِذْ يَعِيشُ فِي كَنَفِ غَيْرِهِ، وَأُمُّهُ قَدْ تُوفِّيَتْ مِنْ قَرِيبٍ، وَرِحْلَتُهُ وَحِيداً صَعْبَةٌ، وَإِنْ كَانَ عُمْرُهُ قَدْ بَلَغَ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ.

وَجَاءَ المَوْسِمُ، وَاسْتَعَدَّ الحُجَّاجُ مِنْ قَوْمِهِ مُسْلِمِينَ وَغَيْرُ مُسْلِمِينَ وَاسْتَعَدَّ مَعَهُمْ، وَانْطَلَقَ الرَّكْبُ، وَوَصَلَ إِلَى مَكَّةَ، وَمَا فَارَقَتْ صُورَةُ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، مُخَيِّلَةَ مُعَاذٍ ـ كَمَا تَصَوَّرَهَا ـ طُولَ الطَّرِيقِ.

وَوَاعَدَ المُسْلِمُونَ مِنْ رَكْبِ المَدِينَةِ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، العَقَبَةَ مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ لَيْلاً، بَعْدَ الثُّلُثِ مِنْهُ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، قَدْ أَمَرَهُمْ أَلاَّ يُنَبِّهُوا نَائِماً، وَلاَ يَنْتَظِرُوا غَائِباً. وَمَا كَانَ لِمُعَاذٍ أَنْ يَنَامَ أَوْ يَغِيبَ فَهُوَ عَلَى أَحَرِّ مِنَ الجَمْرِ لِذَاكَ اللِّقَاءِ.

وَلَمَّا فَرَغَ الحُجَّاجُ مِنْ حَجِّهِمْ، وَنَامَ أَهْلُ المَدِينَةِ فِي رِحَالِهِمْ مُسْلِمُهُمْ وَكَافِرُهُمْ، وَمَضَى ثُلْثُ اللَّيْلِ مِنْ يَوْمِ المَوْعِدِ، خَرَجَ المُسْلِمُونَ مِنْ رِحَالِهِمْ لِمِيعَادِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَتَسَلَّلُوا تَسَلُّلَ القَطَا حَتَّى اجْتَمَعُوا فِي الشِّعْبِ، وَكَانُوا ثَلاَثَةً وَسَبْعِينَ رَجُلاً، مِنْهُمْ اثْنَانِ وَسِتُّونَ مِنَ الخَزْرَجِ، مِنْ بَيْنِهِمْ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ، رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُمْ جَمِيعاً، وَأَحَدَ عَشَرَ مِنَ الأَوْسِ، وَمَعَ الرِّجَالِ امْرَأَتَانِ هُمَا: نُسَيْبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ المَازِنِيَّةُ مِنْ بَنِي النَّـجَّارِ مِنَ الخَزْرَجِ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرٍو مِنْ بَنِي سَلَمَةَ مِنْ الخَزْرَجِ أَيْضاً، وَوَافَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، وَلَيْسَ مَعَهُ إِلاَّ عَمُّهُ العَبَّاسُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ فِي الظَّاهِرِ لاَ يَزَالُ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ.

بَايَعَ الأَنْصَارُ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَنْهُمْ، رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، بَيْعَةَ العَقَبَةِ الثَّانِيَةِ، وَهِيَ بَيْعَةُ الحَرْبِ، إِذْ أَنَّ بَيْعَةَ العَقَبَةِ الأُولَى كَانَتْ تُعْرَفُ بِبَيْعَةِ النِّسَاءِ، حَيْثُ لَمْ تَـكُنِ الحَرْبُ قَدْ فُرِضَتْ. وَكَانَ ذَلِكَ اليَوْمُ يَوْمَ سَعَادَةِ مُعَاذٍ وَعِيدِه.

وَرَجَـعَ الأَنْصَـارُ إِلَـى المَـدِينَـةِ، وَأَظْهَـرُوا الإِسْـلاَمَ، وَأَخَـذَ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ يُـكَسِّرُ أَصْنَامَ بَنِي سَلَمَةَ هُوَ وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ أُنَيْسٍ، وَثَعْلَبَةُ بنُ غَنَمَةَ، كَمَا شَارَكَ مُعَاذَ بنَ عَمْرِو بنِ الجَمُوحِ فِي إِلْقَاءِ صَنَمِ أَبِيهِ عَمْرِو بنِ الجَمُوحِ بَيْنَ الأَقْذَارِ.

جهاد معاذ رضي الله عنه

مِنْذُ أَنْ أَسْلَمَ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، انْصَرَفَ إِلَى الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَالجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ. فَقَدْ ذَهَبَ مُعَاذُ وَبِشْرُ بنُ البَرَاءِ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ إِلَى يَهُودَ يَدْعُوَانِهِمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَقَالاَ لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، اتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْلِمُوا، فَقَدْ كُنْتُمْ تَسْتَفْتِحُونَ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ وَنَحْنُ أَهْلُ شِرْكٍ، وَتُخْبِرُونَنَا أَنَّهُ مَبْعُوثٌ، وَتَصِفُونَهُ لَنَا بِصِفَتِهِ، فَقَالَ سَلَّامُ بنُ مِشْكَمٍ، أَخُو بَنِي النَّضِيرِ: مَا جَاءَنَا بِشَيْءٍ نَعْرِفُهُ، وَمَا هُوَ بِالَّذِي كُنَّا نَذْكُرُهُ لَكُمْ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٨٩)﴾[١].

وَسَأَلَ سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ، وَمُعَاذُ بنُ جَبَلٍ، وَخَارِجَةُ بنُ زَيْدٍ نَفَراً مِنْ أَحْبَارِ يَهُودَ عَنْ بَعْضِ مَا فِي التَّوْرَاةِ، فَكَتَمُوهُمْ إِيَّاهُ، وَأَبَوْا

(١) سورة البقرة/ الآية: ٨٩.

أَنْ يُخْبِرُوهُمْ عَنْهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[1].

وَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، إِلَى يَهُودَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَيُذَكِّرُهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَذَهَبَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَكَانَ مِنْهُمْ: سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ، وَمُعَاذُ بنُ جَبَلٍ، وَعُقْبَةُ بنُ وَهَبٍ. فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، يَهُودَ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَرَغَّبَهُمْ فِيْهِ، وَحَذَّرَهُمْ غِيَرَ اللَّهِ وَعُقُوبَتَهُ، فَأَبَوْا وَكَفَرُوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ وَالصَّحَابَةُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ رَسُولِهِمُ الكَرِيمِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ اتَّقُوا اللَّهَ، فَوَاللَّهِ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَذْكُرُونَهُ لَنَا قَبْلَ مَبْعَثِهِ، وَتَصِفُونَهُ لَنَا بِصِفَتِهِ؛ فَأَنْكَرَ يَهُودُ ذَلِكَ، وَقَالَ رَافِعُ بنُ حُرَيْمِلَةَ، وَوَهَبُ بنُ يَهُوذَا، وَكَانَا مِمَّنْ دَعَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ: مَا قُلْنَا لَكُمْ هَذَا قَطُّ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ مِنْ بَعْدِ مُوسَى، وَلاَ أَرْسَلَ بَشِيراً وَلاَ نَذِيراً بَعْدَهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ:

---

(١) سورة البقرة/ الآية: ١٥٩.

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩ ﴾[1].

وَشَارَكَ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي أَيَّامِ الجِهَادِ كُلِّهَا مَا تَأَخَّرَ عَنْ غَزْوَةٍ وَلاَ تَخَلَّفَ عَنْ سَرِيَّةٍ مِنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ حَتَّى غَزْوَةِ تَبُوكَ آخِرِ غَزْوَاتِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ. وَغَالِباً مَا يَكُونُ مُعَاذُ قَرِيباً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، فِي الغَزَوَاتِ يَسْأَلُهُ وَيَتَعَلَّمُ مِنْهُ، وَيُنَفِّذُ أَوَامِرَهُ. وَذَلِكَ فِي الحَضَرِ، وَالسَّفَرِ، وَالغَزْوِ، وَيَذْكُرُ مُعَاذُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ذَلِكَ فِي إِحْدَى الغَزَوَاتِ، وَهِيَ غَزْوَةُ تَبُوك، فَيَقُولُ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، قِبَلَ غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحَ صَلَّى بِالنَّاسِ صَلاَةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ رَكِبُوا، فَلَمَّا أَنْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ نَعَسَ النَّاسُ عَلَى أَثَرِ الدُّلْجَةِ[2]، وَلَزِمَ مُعَاذٌ رَسُولَ اللَّهِ، يَتْلُو أَثَرَهُ، وَالنَّاسُ تَفَرَّقَتْ بِهِمْ رِكَابُهُمْ عَلَى جَوَادِّ[3] الطَّرِيقِ، تَأْكُلُ وَتَسِيرُ، فَبَيْنَمَا مُعَاذٌ عَلَى أَثَرِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَنَاقَتُهُ تَأْكُلُ مَرَّةً وَتَسِيرُ أُخْرَى، عَثَرَتْ نَاقَةُ مُعَاذٍ، فَكَبَحَهَا بِالزِّمَامِ، فَهَبَّتْ حَتَّى نَفَرَتْ مِنْهَا نَاقَةُ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، كَشَفَ عَنْهُ قِنَاعَهُ، فَالْتَفَتَ فَإِذَا لَيْسَ مِنَ الجَيْشِ رَجُلٌ أَدْنَى إِلَيْهِ

---

(١) سورة المائدة/ الآية: ١٩.

(٢) الدلجة: السير في الظلمة.

(٣) رواه أحمد في مسنده ٥/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦.

مِنْ مُعَاذٍ، فَنَادَاهُ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ». قَالَ: لَبَّيْكَ يَا نَبِيَّ اَللَّهِ، قَالَ: «ادْنُ دُونَكَ» فَدَنَا مِنْهُ حَتَّى لَصِقَتْ رَاحِلَتَاهُمَا إِحْدَاهُمَا بِالأُخْرَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ: «مَا كُنْتُ أَحْسَبُ النَّاسَ مِنَّا كَمَكَانِهِمْ مِنَ البُعْدِ». فَقَالَ مُعَاذُ: نَعَسَ النَّاسُ فَتَفَرَّقَتْ بِهِمْ رِكَابُهُمْ تَرْتَعُ وَتَسِيرُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ: «وَأَنَا كُنْتُ نَاعِساً». فَلَمَّا رَأَى مُعَاذٌ بُشْرَى رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَخَلْوَتَهُ لَهُ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائذَنْ لِي أَسْأَلَكَ عَنْ كَلِمَةٍ قَدْ أَمْرَضَتْنِي وَأَسْقَمَتْنِي وَأَحْزَنَتْنِي، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ، ﷺ: «سَلْ عَمَّا شِئْتَ». قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ حَدِّثْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ، لاَ أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ غَيْرَهَا. قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ، ﷺ: «بَخٍ بَخٍ بَخٍ» لَقَدْ سَأَلْتَ بِعَظِيمٍ ـ ثَلاَثاً ـ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ الخَيْرَ ـ ثَلاَثاً ـ فَلَمْ يُحَدِّثُهُ إِلاَّ أَعَادَهُ عَلَيْهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ، ﷺ: «تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرَ، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتَعْبدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لاَ تُشْرِكْ بِهِ شَيْئَاً حَتَّى تَمُوتَ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ». ثُمَّ قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ، ﷺ: «إِنْ شِئْتَ حَدَّثْتُكَ يَا مُعَاذُ بِرَأْسِ هَذَا الأَمْرِ، وَقَوَامِ هَذَا الأَمْرِ، وَذَرْوَةِ السِّنَامِ». فَقَالَ مُعَاذُ: بَلَى، بِأَبِي وَأُمِّي أَنْتَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَحَدِّثْنِي، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ، ﷺ: «إِنَّ رأسَ هَذَا الأَمْرِ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ، لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ،

وَإِنَّ قِوَامَ هَذَا الأَمْرِ إِقَامَ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ. وَإِنَّ ذِرْوَةَ السَّنَامِ مِنْهُ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، وَيَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَإِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ عَصَمُوا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ: «وَالَّذِيْ نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا شَحَبَ وَجْهٌ، وَلاَ اغْبَرَّتْ قَدَمٌ فِي عَمَلٍ تَبْتَغِي فِيْهِ دَرَجَاتِ الجَنَّةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ المَفْرُوضَةِ كَجِهَادٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلاَ ثَقَّلَ مِيزَانَ عَبْدٍ كَدَابَّةٍ تُنْفَقُ لَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ يُحْمَلُ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

وَبَعْدَ غَزْوَةِ تَبُوكَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، مُعَاذاً، وَأَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ، وَمَالِكَ بنَ عُبَادَةَ إِلَى اليَمَنِ، فَسَافَرُوا إِلَيْهَا، وَمَا رَجَعَ مُعَاذٌ إِلَى المَدِينَةِ إِلاَّ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَحَيْثُ كَانَ أَبُو بَكْرٍ خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فِي الشَّام:

مَا إِنْ رَجَعَ مُعَاذٌ مِنَ اليَمَنِ حَتَّى اسْتَأْذَنَ الخَلِيفَةَ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِالخُرُوجِ لِلْجِهَادِ فِي الشَّامِ فَأَذِنَ لَهُ. رَغْمَ أَنَّ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَدْ رَأَى عَدَمَ الإِذْنِ لَهُ، وَإِبْقَاءُ

مُعَاذٍ فِي المَدِينَةِ خَيْرٌ لِلْمُسْلِمِينَ، يَسْتَفِيدُ أَهْلُهَا مِنْ عِلْمِهِ، وَقَدْ خَرَجَ جُلُّ الصَّحَابَةِ لِلْجِهَادِ.

خَرَجَ مُعَاذٌ إِلَى الشَّامِ، وَشَارَكَ فِيْ مُعْظَمِ المَعَارِكِ، وَكَانَ بِجَانِبِ أَبِي عُبَيْدَةَ، بَلْ إِنَّ الرَّسَائِلَ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ القَائِدِ العَامِ لِلْجُيُوشِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي الشَّامِ أَبِي عُبَيْدَةَ بنِ الجَرَّاحِ، وَبَيْنَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ كَانَتْ تَحْمِلُ أَحْيَاناً تَوْقِيعَ مُعَاذٍ إِلَى جَانِبِ تَوْقِيعِ أَبِي عُبَيْدَةَ.

وَتُوُفِّي أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي طَاعُونِ عَمَوَاسَ سَنَةَ ثَمَانِيَ عَشَرَةَ، فَتَسَلَّمَ مُعَاذُ الإِمْرَةَ مَكَانَهُ، لَكِنْ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ تُوُفِّيَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

المُؤاخَاةُ

بَعْدَ أَنْ هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، مِنْ مَكَّةَ إِلَى المَدِينَةِ، وَاسْتَقَرَّ فِي دَارِ الهِجْرَةِ آخَى بَيْنَ المُسْلِمِينَ، مُهَاجِرِيهِمْ وَأَنْصَارِهِمْ، لِيَكُونُوا كِتْلَةً وَاحِدَةً، وَلَمْ تَكُنْ تِلْكَ المُؤَاخَاةُ تَهْدِفُ إِلَى المُسَاعَدَةِ المَادِيَّةِ فَحَسْبُ كَمَا يَتَوَهَّمُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، بَلْ إِلَى رَبْطِ المُسْلِمِينَ بَعْضِهُمْ مَعَ بَعْضٍ بِوَشَائِجَ أَقْوَى لِيَكُونُوا مَعاً أَمَامَ يَهُودَ الَّذِينَ كَانُوا لاَ يَزَالُونَ فِي المَدِينَةِ، وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَتَحَكَّمُونَ فِي شُؤونِهَا المَالِيَّةِ والاجْتِمَاعِيَّةِ وَيَعْقِدُونَ الأَحْلاَفَ بَيْنَ فَرِيقَيْ سَاكِنِيهَا مِنَ الأَوْسِ وَالخَزْرَجِ، وَيُثِيرُونَ الفِتَنَ بَيْنَهُمَا، وَيَبِيعُونَ السِّلاَحَ لِكِلاَ الفَرِيقَيْنِ. وَإِنْ كَانَ هَذَا لاَ يَمْنَعُ مِنْ أَنْ تَكُونَ المُسَاعَدَةُ مِنْ بَعْضِ أَهْدَافِ المُؤَاخَاةِ عِنْدَمَا تَضُمُّ أَنْصَارِياً وَمُهَاجِراً.

لَمْ تَكُنِ المُؤَاخَاةُ بَيْنَ مُهَاجِرِيٍّ وَأَنْصَارِيٍّ دَائِماً كَمَا يَظُنُّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَرَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، كَانَ وَعَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُ أَخَوَيْنِ، وَكِلاَهُمَا مُهَاجِرٌ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَعُمَرُ بنُ الخَطَّابِ أَخَوَيْنِ وَكِلاَهُمَا مُهَاجِرٌ وَكَانَ حَمْزَةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَزَيْدُ بنُ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَخَوَيْنِ وَكِلاَهُمَا مُهَاجِرٌ. وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَعُمَرُ بنُ الخَطَّابِ أَخَوَيْنِ وَكِلاَهُمَا مُهَاجِرٌ . وَكَانَ الزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَخَوَيْنِ، وَكِلاَهُمَا مُهَاجِرٌ، وَكَانَ بِلاَلُ بنُ رَبَاحٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَعَبْدُ اللَّهِ الخَثْعَمِيُّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَخَوَيْنِ، وَكِلاَهُمَا مُهَاجِرٌ، وَكَانَتْ مُؤَاخَاةٌ بَيْنَ أَنْصَارِيٍّ وَأَنْصَارِيٍّ، وَبَيْنَ مُهَاجِرِيٍّ وَأَنْصَارِيٍّ. وَيَجِبْ أَنْ نُلاَحِظَ أَنَّ الأَنْصَارَ كَانُوا أَكْثَرَ مِنَ المُهَاجِرينَ عَدَداً بَلْ يَزِيدُونَ عَلَى الضِّعْفَيْنِ، لِذَا لاَ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ المُؤَاخَاةُ بَيْنَ مُهَاجِرٍ وَأَنْصَارِيٍّ دَائِماً.

وَقَدْ آخَى رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، بَيْنَ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَبَيْنَ جَعْفَرِ بنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَجَعْفَرُ غَائِبٌ فِي بِلاَدِ الحَبَشَةِ، وَنَتِيجَةَ هَذَا الغِيَابِ فَقَدِ اسْتَبْعَدَ بَعْضُهُمْ هَذِهِ المُؤَاخَاةَ. وَلَمَّا كَانَتْ هُنَاكَ صِلَةٌ كَبِيرَةٌ وَلِقَاءَاتٌ كَثِيرَةٌ بَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَبَيْنَ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَدْ عَدَّ هَذَا مُؤَاخَاةً بَيْنَهُمَا، غَيْرَ أَنَّ هَذَا كَانَ نَتِيجَةَ أَمْرِ النَّبِيِّ، ﷺ، لِعَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ أَنْ يُقْرِئَ مُعَاذاً القُرْآنَ

الكَرِيمَ. فَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: جاءَ مُعَاذٌ إِلَى النَّبِيِّ، ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقْرِئْنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ: «أَقْرِئْهُ» فَأَقْرَأْتُهُ مَا كَانَ مَعِي، ثُمَّ اخْتَلَفْتُ أَنَا وَهُوَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، فَقَرَأَ مُعَاذٌ، وَكَانَ مُعَلِّماً مِنَ الْمُعَلِّمِينَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

غَيْرَ أَنَّ المُسْلِمَ الغَائِبَ جُزْءٌ مِنَ الأُمَّةِ الإِسْلاَمِيَّةِ، وَإِنْ كَانَ بَعِيداً عَنْ دِيَارِ الإِسْلاَمِ فِي إِقَامَتِهِ، وَلاَ بُدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يَنَالَ مَا يَنَالُهُ بَقِيَّةُ أَبْنَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ وَبِخَاصَّةٍ إِنْ كَانَ قَدِ ارْتَحَلَ بِأَمْرٍ لأَدَاءِ مُهِمَّةٍ، وَإِنَّ عَدَمَ مُشَارَكَتِهِ فِيْ أَمْرٍ أَسَاسِيٍّ يُعَدُّ تَضيِيعاً لَهُ، وَجَعْفَرُ وَإِخْوَانُهُ الَّذِينَ مَعَهُ فِي الحَبَشَةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جَمِيعاً، قَدْ هَاجَرُوا بِأَمْرٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَبَقُوا هُنَاكَ ـ وَقَدْ رَجَعَ غَيْرُهُمْ ـ بِأَمْرٍ مِنْهُ أَيْضاً، فَلاَ بُدَّ مِنْ أَنْ تَكُونَ مُشَارَكَةٌ فِي هَذِهِ المُؤَاخَاةِ، فَكَانَ لِكُلٍّ مِنْهُمْ أَخٌ بَيْنَ المُسْلِمِينَ فِي المَدِينَةِ، وَكَانَ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ وَجَعْفَرُ بنُ طَالِبٍ، أَخَوَيْنِ، وَجَعْفَرُ غَائِبٌ فِي الحَبَشَةِ، كَمَا كَانَ لِكُلِّ مُهَاجِرٍ فِي الحَبَشَةِ أَخٌ فِي المَدِينَةِ. وَرُبَّمَا يَتَسَاءَلُ بَعْضُهُمْ فَيَقُولُ: إِنَّنَا لاَ نَعْرِفُ مِنْ مُسْلِمِي المَدِينَةِ إِخْوَةَ مَنْ فِي الحَبَشَةِ. وَالجَوَابُ أَنَّنَا لاَ نَعْرِفُ مَنْ فِي الحَبَشَةِ ـ إِلاَّ بَعْدَ المُرَاجَعَةِ ـ حَتَّى نَعْرِفَ إِخْوَتَهُمْ فِي المَدِينَةِ. فَغَالِباً لاَ

يُعْرَفُ إِلاَّ أُمَرَاؤُهُمْ، أَوْ مَنْ ظَهَرَ لِحَادِثَةٍ مِنْ الحَوَادِثِ. فَجَعْفَرٌ كَأَمِيرٍ عُرِفَ كَمَا عُرِفَ مَنْ آخَى رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، بَيْنَهُمَا، وَهُوَ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ.

كَمَا أَنَّ عَمَلَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، تَشْرِيعٌ فَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يُهْمَلَ فَرْدٌ مُسْلِمٌ وَإِنْ كَانَ غَائِبَاً أَوْ بَعِيدَاً عَنِ المُجْتَمَعِ الإِسْلاَمِيِّ حَيْثُ هُوَ أَحَدُ أَبْنَاءِ الأُمَّةِ الإِسْلاَمِيَّةِ أَيْنَمَا وُجِدَ.

مَكَانَةُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

إِنَّ رَغْبَةَ مُعَاذٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِالْعِلْمِ، وَحِرْصَهُ عَلَيْهِ، وَإِمْكَانَاتِهِ عَلَى ذَلِكَ مِنْ حِفْظٍ وَاسْتِيعَابٍ قَدْ أَهَّلَهُ لِرَفْعِ مَكَانَتِهِ، إِضَافَةً إِلَى حُبِّهِ لِلْجِهَادِ وَالشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَبُعْدِهِ عَنْ مُغْرِيَاتِ الدُّنْيَا وَغَضِّ النَّظَرِ عَنِ التَّطَلُّعِ إِلَيْهَا.

وَإِنَّ لِقَاءَهُ المُسْتَمِرَّ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَالَّذِيْ قَرَأَ عَلَيْهِ القُرْآنَ الَّذِيْ أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، قَبْلَ الهِجْرَةِ قَدْ مَكَّنَهُ مِنْ مَعْرِفَةِ مَا فَاتَهُ.

وَإِنَّ ذَهَابَهُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، لِتَلَقِّي العِلْمَ، وَأَخْذِ المَعْرِفَةَ، وَحِفْظِ مَا جَاءَ بِهِ الوَحْيُّ، هُوَ مَا زَادَهُ عِلْماً.

كَمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، كَانَ يُرْدِفُهُ خَلْفَهُ يُعَلِّمُهُ، وَقَدْ حَدَّثَ مُعَاذٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: بَيْنَمَا أَنَا رَدِيفُ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ،

لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلاَّ آخِرَةَ الرَّحْلِ فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ». قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ». قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلى العِبَادِ»؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئَاً». قَالَ: ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ». قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: «فَهَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ»؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لاَ يُعَذِّبُهُمْ»(١).

وَقَدْ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، يَوْمَاً بِيَدِ مُعَاذٍ، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ». فَقَالَ مُعَاذُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا أُحِبُّكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ: «أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ، لاَ تَدَعَنَّ فِي دبَرِ كُلِّ صَلاَةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»(٢).

(١) رواه أحمد في مسنده ٥/ ٢٤٢.
(٢) رواه أحمد في مسنده ٥/ ٢٤٥.

وَعَرَفَ الصَّحَابَةُ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَنْهُمْ، عِلْمَ مُعَاذٍ، وَقَدَّرُوا ذَلِكَ، وَأَثْنُوا عَلَيْهِ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، فِي مَنَاقِبِ بَعْضِ أَصْحَابِهِ: «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى عُمَرُ، وَأَشَدُّهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَقْضَاهُمْ عَلِيٌّ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالحَلاَلِ وَالحَرَامِ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بنُ ثَابِتٍ، وَأَقْرَؤُهُمْ أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ، وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ، وَمَا أَظَلَّتِ الخَضْرَاءُ، وَلاَ أَقَلَّتِ الغَبْرَاءُ أَصْدَقَ لَهْجَةً مِنْ أَبِي ذَرٍّ، أَشْبَهَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ فِي وَرَعِهِ» فَقَالَ عُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَعْرِفُ ذَلِكَ لَهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ، فَاعْرِفُوه لَهُ».

وَهَذَا مَا خَوَّلَ مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لِيَكُونَ مَبْعُوثَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، إِلَى اليَمَنِ.

وَبَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ وَلَّى رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، عَلَيْهَا عَتَّابَ بنَ أَسِيدٍ، وَأَبْقَى بِجَانِبِه مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ القُرْآن، وَيُفَقِّهُهُمْ فِي الدِّينِ، وَبَعْدَ مُدَّةٍ ارْتَحَلَ مُعَاذٌ إِلَى المَدِينَةِ، وَشَارَكَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بنِ سَهْلِ بنِ أَبِي حَثْمَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ الَّذِينَ

يُفْتُونَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، ثَلاَثَةٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ: عُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَثَلاَثَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ، وَمُعَاذٌ، وَزَيْدٌ.

وَذُكِرَ أَنَّ عُمَرَ كَانَ يَسْتَشِيرُ مُعَاذًا فِيمَنْ يَسْتَشِيرُ.

وَرَوَى الأَعْمَشُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَشْيَاخٌ مِنَّا أَنَّ رَجُلاً غَابَ عَنِ امْرَأَتِهِ سَنَتَيْنِ، فَجَاءَ وَهِيَ حُبْلَى، فَأَتَى عُمَرَ، فَهَمَّ بِرَجْمِهَا، فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ: إِنْ يَكُ لَكَ عَلَيْهَا سَبِيلٌ فَلَيْسَ لَكَ عَلَى مَا فِي بَطْنِهَا سَبِيلُ، فتَرَكَهَا فَوَضَعَتْ غُلاَمَاً بَانَ أَنَّهُ يُشْبِهُ أَبَاهُ قَدْ خَرَجَتْ ثَنِيَّتَاهُ، فَقَالَ الرَّجُلُ: هَذَا ابْنِي! فَقَالَ عُمَرُ: عَجَزَتِ النِّسَاءُ أَنْ يَلِدْنَ مِثْلَ مُعَاذٍ، لَوْلاَ مُعَاذٌ لَهَلَكَ عُمَرُ.

وَرَوَى البُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عُمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ: خُذُوا القُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَأُبَيٍّ، وَمُعَاذِ بنِ جَبَلٍ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ.

فِي اليَمَنِ

بَعْدَ غَزْوَةِ تَبُوكَ جَاءَتْ وُفُودٌ مِنَ اليَمَنِ إِلَى المَدِينَةِ تَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللَّـهُ وَأَنَّ مُحَمَّـدًا عَبْـدُهُ وَرَسُـولُـهُ. وَطَلَبَـتْ مِـنْ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، أَنْ يُرْسِلَ مَعَهُمْ إِلَى اليَمَنِ بَعْضَ أَصْحَابِهِ لِيُعَلِّمُوا النَّاسَ هُنَاكَ الإِسْلاَمَ، وَلِيَكُونُوا مُمَثِّلِينَ لِرَسُولِ اللَّهِ هُنَاكَ.

عَنْ مُعَاذٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، إِلى اليَمَنِ، فَلَمَّا سِرْتُ أَرْسَلَ فِي إِثْرِي فَرُدِدْتُ، فَقَالَ: «أَتَدْرِي لِمَا بَعَثْتُ إِلَيْكَ؟ لاَ تُصِيبَنَّ شَيْئًا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَإِنَّهُ غُلُولٌ ﴿**وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ** ﴿١٦١﴾﴾[1]. لَقَدْ أُذْعِرْتَ، فَامضِ لِعَمَلِكَ»[2].

وَعَنْ مُعَاذٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا بَعَثَنِي النَّبِيُّ، ﷺ، إِلَى اليَمَنِ قَالَ لِي: «كَيْفَ تَقْضِي إِنْ عَرَضَ قَضَاءٌ؟». قُلْتُ:

(١) سورة آل عمران/ الآية: ١٦١.
(٢) سيرة أعلام النبلاء ١/ ٤٤٧.

أَقْضِي بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَبِمَا قَضَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ قَضَى بِهِ الرَّسُولُ؟». قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي وَلاَ آلُو، فَضَرَبَ صَدْرِيَ، وَقَالَ: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ».

وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ، ﷺ، لَمَّا بَعَثَ مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ إِلَى اليَمَنِ خَرَجَ يُوصِيهِ، وَمُعَاذٌ رَاكِبٌ، وَرَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، يَمْشِي تَحْتَ رَاحِلَتِهِ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: «يَا مُعَاذُ! إِنَّكَ عَسَى أَنْ لاَ تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا، وَلَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي وَقَبْرِي. فَبَكَى مُعَاذٌ خَشَعاً لِفِرَاقِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، فَقَالَ: «لاَ تَبْكِ يَا مُعَاذُ، لِلْبُكَاءِ أَوَانٌ، البُكَاءُ مِنَ الشَّيْطَانِ»[1].

وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ، ﷺ، قَالَ لِمُعَاذِ بنِ جَبَلٍ حِيْنَ وَدَّعَهُ: «حَفِظَكَ اللَّهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ وَمِنْ خَلْفِكَ، وَدَرَأَ عَنْكَ شَرَّ الإِنْسِ وَالجِنِّ» فَسَارَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ: «يُبْعَثُ لَهُ رَتْوَةٌ فَوْقَ العُلَمَاءِ»[2].

وَقَالَ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بَعَثَنِي النَّبِيُّ، ﷺ، خَامِسَ خَمْسَةٍ عَلَى أَصْنَافِ اليَمَنِ: أَنَا، وَمُعَاذٌ،

---

(١) سيرة أعلام النبلاء.
(٢) المرجع السابق نفسه.

وَخَالِدُ بنُ سَعِيدٍ، وَطَاهِرُ بنُ أَبِي هَالَةَ، وَعَكَّاشَةَ بنُ ثَوْرٍ، وَأَمَرَنَا أَنْ نُيَسِّرَ وَلاَ نُعَسِّرَ[١].

وَقَالَتْ أُمُّ جُهَيْشٍ: بَيْنَا نَحْنُ بِـ (دُثَيْنَةَ) بَيْنَ الجَنَدِ وَعَدَنٍ، إِذْ قِيلَ هَذَا: رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، فَوَافَيْنَا القَرْيَةَ فَإِذَا رَجُلٌ مُتَوَكِّىءٌ عَلَى رُمْحِهِ، مُتَقَلِّدٌ السَّيْفَ، مُتَعَلِّقٌ جُحْفَةً، مُتَنَكِّبٌ قَوْسَاً وَجُعْبَةً، فَتَكَلَّم وَقَالَ: إِنِّي رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، إِلَيْكُمْ: اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْمَلُوا فَإِنَّمَا هِيَ الْجَنَّةُ وَالنّارُ، خُلُودٌ فَلاَ مَوْتٌ، وَإِقَامَةٌ فَلاَ ظَعْنٌ، كلُّ امْـرِىءٍ عَمِلَ بِهِ عَامِلٌ فَعَلَيْهِ وَلاَ لَهُ، إِلاَّ مَا ابْتَغَى بِهِ وَجْهَ اللَّهِ، وَكُلُّ صَاحِبٍ اسْتَصْحَبَهُ أَحدٌ خَاذِلُهُ وَخَائِنُهُ إِلاَّ العَمَلَ الصَّالِحَ، انْظُرُوا لأَنْفُسِكُمْ وَاصْبِرُوا لَهَا بِكُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا رَجُلٌ مُوفِرُ الرَّأْسِ، أَدْعَجُ، أَبْيَضُ، بَرَّاقٌ، وَضَّاحُ[٢].

وَعَـنْ مُعَـاذٍ، رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ، أَنَّـه كَـانَ يَقُـولُ: بَعَثَنِـي رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، إِلَى اليَمَنِ. فَقَالَ: لَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِقَبْرِي وَمَسْجِدِي، فَقَدْ بَعَثْتُكَ إِلَى قَوْمٍ رَقِيقَةٌ قُلُوبُهُمْ، يُقَاتِلُونَ عَلَى الحَقِّ مَرَّتَيْنِ؛ فَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مِنْهُمْ مَنْ عَصَاكَ، ثُمَّ يَفِيئُونَ

(١) المرجع السابق نفسه.
(٢) المرجع السابق نفسه.

إِلَى الإِسْلَامِ حَتَّى تُبَادِرَ المَرْأَةُ زَوْجَهَا، وَالْوَلَدُ وَالِدَهُ، وَالأَخُ أَخَاهُ، فَانْزِلْ بَيْنَ الحَيَّيْنِ: السُّكُونِ، وَالسَّكَاسِكِ»[1].

وَعَنْ مُعَاذٍ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي، قَالَ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ»، قَالَ: زِدْنِي، قَالَ: «اتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا»، قَالَ: زِدْنِي، قَالَ: «خَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ».

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّ مُعَاذاً قَالَ: أَوْصَانِي رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، بِعَشْرِ كَلِمَاتٍ، قَالَ: «لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئَاً وَإِنْ قُتِلْتَ وَحُرِّقْتَ. وَلاَ تَعُقَّنَّ وَالِدَيْكَ، وَإِنْ أَمَرَاكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ مَالِكَ وَأَهْلِكَ. وَلاَ تَتْرُكَنَّ صَلاَةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّداً. فَإِنَّ مَنْ تَرَكَ صَلاَةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّداً، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللَّهِ. وَلاَ تَشْرَبَنَّ خَمْرَاً، فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ فَاحِشَةٍ. وَإِيَّاكَ وَالمَعْصِيَةَ؛ فَإِنَّ بِالمَعْصِيَةِ يَحُلُّ سَخَطُ اللَّهِ. وَإِيَّاكَ وَالفِرَارَ مِنَ الزَّحْفِ، وَإِنْ هَلَكَ النَّاسُ. وَإِذَا أَصَابَ النَّاسُ فَاثْبُتْ وَأَنْتَ فِيهِمْ. وَانْفِقْ عَلَى عِيَالِكَ مِنْ طَوْلِكَ. وَلاَ تَرْفَعْ عَنْهُمْ عَصَاكَ أَدَباً، وَأَحِبَّهُمْ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»[2].

الفِتْنَةُ فِي اليَمَن:

كَانَتِ اليَمَنُ تَحْتَ حُكْمِ سَيْفِ بنِ ذِي يَزَنْ غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير.

(٢) المرجع نفسه.

لِلْفُرْسِ نُوَّاباً فِيهَا، وَمَاتَ سَيْفُ بنُ ذِي يَزَنْ، وَبَقِيَ لِلْفُرْسِ نُوَّابُهُمْ، وَقَدْ اخْتَارُوا مِنْ بَيْنِهِمْ فَارِسِيًّا اسْمُهُ بَاذَامْ عَامِلاً عَلَى اليَمَنِ، بِرَأْيِ كِسْرَى، وَلَمَّا بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، كُتُبَهُ إِلَى المُلُوكِ وَالأُمَرَاءِ يَدْعُوهُمْ فِيهَا إِلَى الإِسْلَامِ، وَكَانَ كِسْرَى مِنْ بَيْنِ الَّذِينَ وَصَلَتْ لَهُمْ كُتُبُ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ. فَلَمَّا جَاءَهُ الكِتَابُ قَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا كِتَابٌ جَاءَ مِنْ عِنْدِ رَجُلٍ بِجَزِيرَةِ العَرَبِ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَلَمَّا فَتَحَ الكِتَابَ فَوَجَدَهُ قَدْ بَدَأَ بِاسْمِهِ قَبْلَ اسْمِ كِسْرَى ـ غَضِبَ كِسْرَى غَضَباً شَدِيداً، وَأَخَذَ الكِتَابَ فَمَزَّقَهُ قَبْلَ أَنْ يَقْرَأَهُ. وَكَتَبَ إِلَى عَامِلِهِ عَلَى اليَمَنِ ـ وَكَانَ اسْمُهُ بَاذَامَ ـ أَمَّا بَعْدُ، فَإِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا فَابْعَثْ مِنْ قِبَلِكَ أَمِيرَيْنِ إِلَى هَذَا الَّذِي بِجَزِيرَةِ العَرَبِ، الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَابْعَثْهُ إِلَيَّ فِي جَامِعَةٍ، فَلَمَّا جَاءَ الكِتَابُ إِلَى بَاذَامَ، بَعَثَ مِنْ عِنْدِهِ أَمِيرَيْنِ عَاقِلَيْنِ، وَقَالَ: اذْهَبَا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ، فَانْظُرَا مَا هُوَ؟ فَإِنْ كَانَ كَاذِباً فَخُذَاهُ فِي جَامِعَةٍ حَتَّى تَذْهَبَا بِهِ إِلَى كِسْرَى، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ فَارْجِعَا إِلَيَّ فَأَخْبِرَانِي مَا هُوَ حَتَّى أَنْظُرَ فِي أَمْرِهِ. فَقَدِمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، إِلَى المَدِينَةِ، فَوَجَدَاهُ عَلَى أَسَدِّ الأَحْوَالِ وَأَرْشَدِهَا، وَرَأَيَا مِنْهُ أُمُوراً عَجِيبَةً، يَطُولُ ذِكْرُهَا، وَمَكَثَا عِنْدَهُ شَهْراً حَتَّى بَلَغَا مَا جَاءَا لَهُ، ثُمَّ تَقَاضَيَاهُ الجَوَابَ بَعْدَ ذَلِكَ،

فَقَالَ لَهُمَا: ارْجِعَا إِلَى صَاحِبِكُمَا فَأَخْبِرَاهُ أَنَّ رَبِّي قَدْ قَتَلَ اللَّيْلَةَ رَبَّهُ، فَأَرَّخَا ذَلِكَ عِنْدَهُمَا، ثُمَّ رَجَعَا سَرِيعاً إِلَى اليَمَنِ فَأَخْبَرَا «بَاذَامَ» بِمَا قَالَ لَهُمَا، فَقَالَ: احْصُوا تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَإِنْ ظَهَرَ الأَمْرُ كَمَا قَالَ فَهُوَ نَبِيٌّ، فَجَاءَتِ الكُتُبُ مِنْ عِنْدِ مَلِكِهِمْ أَنَّهُ قَدْ قُتِلَ كِسْرَى فِي لَيْلَةِ كَذَا وَكَذَا، لِتِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَكَانَ قَدْ قَتَلَهُ بَنُوهُ. وَقَامَ بِالمُلْكِ بَعْدَهُ وَلَدُهُ «يَزْدَجِرْدُ»، وَكَتَبَ إِلَى «بَاذَامَ» أَنْ خُذْ لِيَ البَيْعَةَ مِنْ قِبَلِكَ، وَاعْمِدْ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ فَلاَ تُهِنْهُ وَأَكْرِمْهُ، فَدَخَلَ الإِسْلاَمُ فِي قَلْبِ «بَاذَامَ» وَذُرِّيَتِهِ مِنْ أَبْنَاءِ فَارِسَ مِمَّنْ بِاليَمَنِ، وَبَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، بِإِسْلاَمِهِ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، بِنِيَابَةِ اليَمَنِ بِكَمَالِهَا، فَلَمْ يَعْزِلْهُ عَنْهَا حَتَّى مَاتَ. فَلَمَّا مَاتَ اسْتَنَابَ ابْنَهُ «شَهَرَ بنَ بَاذَامَ» عَلَى صَنْعَاءَ وَبَعْضِ المَخَالِيفِ. وَبَعَثَ طَائِفَةً مِنْ أَصْحَابِهِ نُوَّاباً عَلَى مَخَالِيفَ أُخَرَ؛ فَبَعَثَ أَوَّلاً فِي سَنَةِ عَشْرٍ عَلِيًّا وَخَالِداً، ثُمَّ أَرْسَلَ مُعَاذاً وَأَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ، وَفَرَّقَ عِمَالَةَ اليَمَنِ بَيْنَ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ؛ فَمِنْهُمْ شَهْرُ بنُ بَاذَامَ، وَعَامِرُ بنُ شِهرٍ الهَمَدَانِيُّ، ـ عَلَى هَمَدَانَ ـ وَأَبُو مُوسَى عَلَى مَأْرِب، وَخَالِدُ بنُ سَعِيدِ بنِ العَاصِ عَلَى مَا بَيْنَ نَجْرَانَ وَرِمَعٍ وَزَبِيدٍ، وَيَعْلَى بنُ أَبِي أُمَيَّةَ عَلَى الجَنَدِ، وَالطَّاهِرُ بنُ أَبِي هَالَةَ على عَكٍّ وَالأَشْعَرِيينَ،

وَعَمْرُو بنُ حَرَامٍ عَلَى نَجْرَانَ، وَعَلَى بِلاَدِ حَضْرَمُوتَ زِيَادُ بنُ لَبِيدٍ، وَعَلَى السَّكَاسِكِ عُكَّاشَةُ بنُ ثَوْرِ بنِ أَصْغَرَ الغَوْثِيُّ، وَعَلَى السُّكُونِ مُعَاوِيَةُ بنُ كِنْدَةَ. وَبَعَثَ مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ مُعَلِّماً لأَهْلِ البَلَدَينِ ـ اليَمَنَ وَحَضْرَمُوتَ ـ يَنْتَقِلُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، وَذَلِكَ كُلُّهُ فِي سَنَةِ عَشْرٍ، آخِرِ حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ نَجَمَ هَذَا اللَّعِينُ ـ الأَسْوَدُ العَنَسِيُّ[1].

خَرَجَ الأَسْوَدُ العَنَسِيُّ[2] فِي سَبْعِمَائَةِ مُقَاتِلٍ، وَكَتَبَ إِلَى عُمَّالِ النَّبِيِّ، ﷺ، أَيُّهَا المُتَمَرِّدُونَ عَلَيْنَا، أَمْسِكُوا عَلَيْنَا مَا أَخَذْتُمْ مِنْ أَرْضِنَا، وَوَفِّرُوا مَا جَمَعْتُمْ، فَنَحْنُ أَوْلَى بِهِ، وَأَنْتُمْ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ. ثُمَّ رَكِبَ فَتَوَجَّهَ إِلَى نَجْرَانَ فَأَخَذَهَا بَعْدَ عَشْرِ لَيَالٍ مِنْ مَخْرَجِهِ، ثُمَّ قَصَدَ إِلَى صَنْعَاءَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ شَهْرُ بنُ بَاذَامَ فَتَقَاتَلاَ، فَغَلَبَهُ الأَسْوَدُ، وَقَتَلَهُ، وَكَسَرَ جَيْشَهُ مِنَ الأَبْنَاءِ، وَاحْتَلَّ بَلْدَةَ صَنْعَاءَ لِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً مِنْ مَخْرَجِهِ، فَفَرَّ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ مِنْ هُنَالِكَ، وَاجْتَازَ بِأَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، فَذَهَبَا إِلَى

(١) البداية والنهاية.
(٢) الأسود العنسي: هو عبهلة بن كعب بن غوث العنسي، وقبيلة عنس إحدى بطون مذحج، من بلدٍ يقال لها «كهف حنان»، ويقال له: ذو الخمار لأنه كان يضع على وجهه خماراً، فلا يظهره للناس، وكان كاهناً مشعوذاً، وساحراً بارعاً، كما كان لسناً ذا فصاحةٍ وبيانٍ.

حَضْرَمُوتَ، وَانْحازَ عُمّالُ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، إِلَى الطَّاهِرِ، وَرَجَعَ عَمْرُو بنَ حَرَامٍ، وَخَالِدُ بنُ سَعِيدِ بنِ العَاصِ إِلَى المَدِينَةِ، وَاسْتَوْثَقَتِ اليَمَنُ بِكَمَالِهَا لِلأَسْوَدِ العَنَسِيِّ، وَجَعَلَ أَمْرُهُ يَسْتَطِيرُ اسْتِطَارَةَ الشَّرَارَةِ. وَكَانَ جَيْشُهُ يَوْمَ لَقِيَ شَهَراً ـ سَبْعَمِائَةِ فَارِسٍ، وَأُمَرَاؤُهُ قَيْسُ بنُ عَبْدِ يَغُوثَ، وَمُعَاوِيَةُ بنُ قَيْسٍ، وَيَزِيدُ بنُ مَحْرَمِ بنِ حِصْنٍ الحَارِثِيُّ، وَيَزِيدُ بنُ الأَفْكَلِ الأَزْدِيُّ. وَثَبَتَ مُلْكُهُ، وَاسْتَغْلَظَ أَمْرُهُ، وَارْتَدَّ خَلْقٌ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ، وَعَامَلَهُ المُسْلِمُونَ الّذِينَ هُنَاكَ بِالتَّقِيَّةِ، وَكَانَ خَلِيفَتَهُ عَلَى مَذَحجٍ ـ عَمْرُو بنُ مَعْدِي كَرِبٍ. وَأَسْنَدَ أَمْرَ الجُنْدِ إِلَى قَيْسِ بنِ عَبْدِ يَغُوثَ، وَأَسْنَدَ أَمْرَ الأَبْنَاءِ إِلَى فَيْرُوزَ الدَّيْلَمِيِّ وَدَاذَوِيهْ. وَتَزَوَّجَ بِامْرَأَةِ شَهْرِ بنَ بَاذَامَ ـ وَهِيَ ابْنَةُ عَمِّ فَيْرُوزِ الدَّيْلَمِيِّ، وَاسْمُهَا زَاذ، وَكَانَتْ امْرَأَةً حَسْنَاءَ جَمِيلَةً، وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ مُؤْمِنَةٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّد، ﷺ، وَمِنَ الصَّالِحَاتِ.

وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، كِتَابَهُ ـ حِينَ بَلَغَهُ خَبَرُ الأَسْوَدِ العَنَسِيِّ، مَعَ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ: وَبَرُ بنُ يُحَنَّسَ الدَّيْلَمِيُّ؛ يَأْمُرُ المُسْلِمِينَ الّذِينَ هُنَاكَ بِمُقَاتَلَةِ الأَسْوَدِ العَنَسِيِّ، وَمُصَاوَلَتِهِ، وَقَامَ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ بِهَذَا الكِتَابِ أَتَمَّ قِيَامٍ، وَكَانَ قَدْ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنَ السُّكُونِ، يُقَالُ لَهَا: رَمْلَةُ فَحَزَّبَتْ عَلَيْهِ السُّكُونُ لِصَهْرِهِ فِيهِمْ،

وَقَامُوا مَعَهُ فِي ذَلِكَ، وَبَلَّغُوا هَذَا الكِتَابَ إِلَى عُمَّالِ النَّبِيِّ، ﷺ، وَمَنْ قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنَ النَّاسِ، وَاتَّفَقَ اجْتِمَاعُهُمْ بِقَيْسِ بنِ عَبْدِ يَغُوثَ أَمِيرِ الجُنْدِ، وَكَانَ قَدْ غَضِبَ عَلَيْهِ الأَسْوَدُ، وَاسْتَخَفَّ بِهِ، وَهَمَّ بِقَتْلِهِ. وَكَذَلِكَ كَانَ أَمْرُ فَيْرُوزَ الدَّيْلَمِيِّ، قَدْ ضَعُفَ عِنْدَهُ أَيْضاً، وَكَذَا دَاذَوِيهْ، فَلَمَّا أَعْلَمَ وَبَرُ بنُ يُحَنَّسَ قَيْسَ بنَ عَبْدِ يَغُوثَ، وَهُوَ قَيْسُ بنُ مَكْشُوحٍ، كَانَ كَأَنَّمَا نَزَلُوا عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ، وَوَافَقَهُمْ عَلَى الفَتْكِ بِالأَسْوَدِ، وَتَوَافَقَ المُسْلِمُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَتَعَاقَدُوا عَلَيْهِ. فَلَمَّا أَيْقَنَ ذَلِكَ فِي البَاطِنِ أَطْلَعَ شَيْطَانُ الأَسْوَدِ الأَسْوَدَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَدَعَا قَيْسَ بنَ مَكْشُوحٍ، فَقَالَ لَهُ: يَا قَيْسُ: مَا يَقُول هَذَا؟ قَالَ: وَمَا يَقُولُ؟ قَالَ يَقُولُ: عَمَدْتَ إِلَى قَيْسٍ فَأَكْرَمْتَهُ، حَتَّى إِذَا دَخَلَ مِنْكَ كُلَّ مَدْخَلٍ، وَصَارَ فِي العِزِّ مِثْلَكَ ـ مَالَ مَيْلَ عَدُوِّكَ، وَحَاوَلَ مُلْكَكَ، وَأَضْمَرَ عَلَى الغَدْرِ، إِنَّهُ يَقُولُ: يَا أَسْوَدُ يَا أَسْوَدُ، يَا سَوْأَةً يَا سَوْأَةً، اقْطُفْ قُنَّتَهُ، وَخُذْ مِنْ قَيْسٍ أَعْلاَهُ وَإِلاَّ سَلَبَكَ أَوْ قَطَفَ قُنَّتَكَ. فَقَالَ لَهُ قَيْسٌ، وَحَلَفَ لَهُ: كَذَبَ وَذِي الخِمَارِ لأَنْتَ أَعْظَمُ فِي نَفْسِي وَأَجَلُّ عِنْدِي مِنْ أَنْ أُحَدِّثَ بِكَ نَفْسِي، فَقَالَ لَهُ الأَسْوَدُ: مَا إِخَالُكَ تَكْذِبُ المَلَكُ، فَقَدْ صَدَقَ المَلَكُ وَعَرَفَ الآنَ أَنَّكَ تَائِبٌ لِمَا اطَّلَعَ عَلَيْهِ مِنْكَ.

ثُمَّ خَرَجَ قَيْسُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، فَجَاءَ إِلَى أَصْحَابِهِ: جُشْنِسَ، وَفَيْرُوزِ، وَدَاذوِيهْ، وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا قَالَ لَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ، فَقَالُوا: إِنَّا كُلُّنَا عَلَى حَذَرٍ، فَمَا الرَّأْيُ؟ فَبَيْنَمَا هُمْ يَشْتَوِرُونَ إِذْ جَاءَهُمْ رَسُولُهُ فَأَحْضَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: أَلَمْ أُشَرِّفْكُمْ عَلَى قَوْمِكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَمَاذَا يَبْلُغُنِي عَنْكُمْ؟ فَقَالُوا: أَقِلْنَا مَرَّتَنَا هَذِهِ، فَقَالَ: لاَ يَبْلُغُنِي عَنْكُمْ فَأَقِيلُكُمْ، قَالَ: فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ وَلَمْ نَكَدْ، وَهُوَ فِي ارْتِيَابٍ مِنْ أَمْرِنَا، وَنَحْنُ عَلَى خَطَرٍ. فَبَيْنَمَا نَحْنُ فِي ذَلِكَ إِذْ جَاءَتْنَا كُتُبٌ مِنْ عَامِرِ بنِ شَهْرٍ أَمِيرِ هَمَدَانَ، وَذِي ظُلَيْمٍ، وَذِي الكِلاَعِ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أُمَرَاءِ اليَمَنِ، يَبْذُلُونَ لَنَا الطَّاعَةَ وَالنَّصْرَ، عَلَى مُخَالَفَةِ الأَسْوَدِ، وَذَلِكَ حِينَ جَاءَهُمْ كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، يَحُثُّهُمْ عَلَى مُصَاوَلَةِ الأَسْوَدِ العَنْسِيِّ، فَكَتَبْنَا إِلَيْهِمْ أَلاَّ يُحْدِثُوا شَيْئاً حَتَّى نُبْرِمَ الأَمْرَ. قَالَ قَيْسٌ: فَدَخَلْتُ عَلَى امْرَأَتِهِ زَاذَ، فَقُلْتُ: يَا ابْنَةَ عَمِّي، قَدْ عَرَفْتِ بَلاَءَ هَذَا الرَّجُلِ عِنْدَ قَوْمِكِ؛ قَتَلَ زَوْجَكِ، وَطَأْطَأَ فِي قَوْمِكِ الْقَتْلَ، وَفَضَحَ النِّسَاءَ، فَهَلْ عِنْدَكَ مُمَالأَةٌ عَلَيْهِ؟ قَالَتْ: عَلَى أَيِّ أَمْرٍ؟ قُلْتُ: إِخْرَاجُهُ، قَالَتْ: أَوْ قَتْلَهُ، قُلْتُ: أَوْ قَتْلَهُ، قَالَتْ: نَعَمْ وَاللَّهِ مَا خَلَقَ اللَّهُ شَخْصاً هُوَ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْهُ، فَمَا يَقُومُ لِلَّهِ عَلَى حَقٍّ وَلاَ يَنْتَهِي لَهُ عَنْ حُرْمَةٍ، فَإِذَا عَزَمْتُمْ فَأَخْبِرُونِي أُعْلِمُكُمْ بِمَأْتَى هَذَا الأَمْرِ.

قَـالَ: فَـأَخْـرُجُ فَـإِذَا فَيْـرُوزُ وَدَاذَوِيـهْ يَنْتَظِـرَانِـي، يُـرِيـدُونَ أَنْ يُنَاهِضُوهُ، فَمَا اسْتَقَرَّ اجْتِمَاعَهُ بِهِمَا حَتَّى بَعَثَ إِلَيْهِ الأَسْوَدُ فَدَخَلَ فِي عَشْرَةٍ مِنْ قَوْمِهِ، فَقَالَ: أَلَمْ أُخْبِرْكَ بِالحَقِّ وَتُخْبِرْنِي بِالكَذَابَةِ؟ إِنَّهُ يَقُولُ يَا سَوْأَةً يَا سَوْأَةً؛ إِنْ لَمْ تَقْطَعْ مِنْ قَيْسٍ يَدَهُ يَقْطَعْ قُنَّتَكَ العُلْيَا، حَتَّى ظَنَّ قَيْسٌ أَنَّهُ قَاتِلُهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الحَقِّ أَنْ أَقْتُلَكَ وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَتْلِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَوْتَاتٍ أَمُوتُهَا كُلَّ يَوْمٍ، فَرَقَّ لَهُ، وَأَمَرَهُ بِالانْصِرَافِ، فَخَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اعْمَلُوا عَمَلَكُمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ وُقُوفٌ بِالبَابِ يَثُورُونَ إِذْ خَرَجَ عَلَيْهِمْ وَقَدْ جُمِعَ لَهُ مَائَةٌ مَا بَيْنَ بَقَرَةٍ وَبَعِيرٍ، فَقَامَ وَخَطَّ خَطّاً فَأُقِيمَتْ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَامَ مِنْ دُونِهَا، فَنَحَرَهَا، غَيْرَ مُحَبَّسَةٍ وَلاَ مُعَقَّلَةٍ، مَا يَقْتَحِمُ الخَطُّ مِنْهَا شَيْءٌ، ثُمَّ خَلاَّهَا فَجَالَتْ إِلَى أَنْ زَهِقَتْ أَرْوَاحُهَا. قَالَ قَيْسٌ: فَمَا رَأَيْتُ أَمْرَاً كَانَ أَفْظَعَ مِنْهُ، وَلاَ يَوْمَاً أَوْحَشَ مِنْهُ.

ثُمَّ قَالَ الأَسْوَدُ: أَحَقٌّ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ يَا فَيْرُوزُ؟ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْحَرَكَ فَأُلْحِقَكَ بِهَذِهِ البَهِيمَةِ، وَأَبْدَى لَهُ الحَرْبَةَ، فَقَالَ لَهُ فَيْرُوزُ: اخْتَرْتَنَا لِصِهْرِكَ، وَفَضَّلْتَنَا عَلَى الأَبْنَاءِ، فَلَوْ لَمْ تَكُنْ نَبِيّاً مَا بِعْنَا نَصِيبَنَا مِنْكَ بِشَيْءٍ، فَكَيْفَ وَقَدْ اجْتَمَعَ لَنَا بِكَ أَمْرُ الآخِرَةِ وَالدُّنْيَا؟ فَلاَ تَقْبَلُ عَلَيْنَا أَمْثَالَ مَا يَبْلُغُكَ؛ فَإِنَّا بِحَيْثُ تُحِبُّ.

فَرَضِيَ عَنْهُ، وَأَمَرَهُ بِقَسْمِ لُحُومِ تِلْكَ الأَنْعَامِ، فَفَرَّقَهَا فَيْرُوزُ فِي أَهْلِ صَنْعَاءِ، ثُمَّ أَسْرَعَ اللِّحَاقَ بِهِ، فَإِذَا رَجُلٌ يُحَرِّضُهُ عَلَى فَيْرُوزَ، وَيَسْعَى إِلَيْهِ فِيهِ، وَاسْتَمَعَ لَهُ فَيْرُوزُ، فَإِذَا الأَسْوَدُ يَقُولُ: أَنَا قَاتِلُهُ غَداً وَأَصْحَابَهُ، فَاغْدُ عَلَيَّ بِهِ، ثُمَّ الْتَفَتَ فَإِذَا بِفَيْرُوزَ، فَقَالَ: مَهٍ، فَأَخْبَرَهُ فَيْرُوزُ بِمَا صَنَعَ مِنْ قَسْمِ ذَلِكَ اللَّحْمِ، فَدَخَلَ الأَسْوَدُ دَارَهُ، وَرَجَعَ فَيْرُوزُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَأَعْلَمَهُمْ بِمَا سَمِعَ وَبِمَا قَالَ وَقِيلَ لَهُ، فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ عَاوَدُوا المَرْأَةَ فِي أَمْرِهِ، فَدَخَلَ أَحَدُهُمْ ـ وَهُوَ فَيْرُوزُ ـ إِلَيْهَا فَقَالَتْ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الدَّارِ بَيْتٌ إِلاَّ وَالحَرَسُ مُحِيطُونَ بِهِ، غَيْرَ هَذَا البَيْتِ؛ فَإِنَّ ظَهْرَهُ إِلَى مَكَانِ كَذَا وَكَذَا مِنَ الطَّرِيقِ، فَإِذَا أَمْسَيْتُمْ فَانْقُبُوا عَلَيْهِ فَإِنَّكُمْ مِنْ دُونِ الحَرَسِ، وَلَيْسَ مِنْ دُونِ قَتْلِهِ شَيْءٌ، وَإِنِّي سَأَضَعُ فِي البَيْتِ سِرَاجاً وَسِلاَحاً.

فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا تَلَقَّاهُ الأَسْوَدُ فَقَالَ لَهُ: مَا أَدْخَلَكَ عَلَى أَهْلِي؟ وَوَجَأَ رَأْسَهُ، وَكَانَ الأَسْوَدُ شَدِيداً. فَصَاحَتِ المَرْأَةُ فَأَدْهَشَتْهُ عَنْهُ، وَلَوْلاَ ذَلِكَ لَقَتَلَهُ، وَقَالَتْ: ابنُ عَمِّي جَاءَنِي زَائِراً، فَقَالَ: اسْكُتِي لاَ أَبَا لَكِ، قَدْ وَهَبْتُهُ لَكِ، فَخَرَجَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: النَّجَاءَ النَّجَاءَ، وَأَخْبَرَهُمُ الخَبَرَ، فَحَارُوا مَاذَا يَصْنَعُونَ؟ فَبَعَثَتِ المَرْأَةُ إِلَيْهِمْ تَقُولُ لَهُمْ: لاَ تَنْثَنُوا عَمَّا كُنْتُمْ

عَازِمِينَ عَلَيْهِ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا فَيْرُوزُ الدَّيْلَمِيُّ فَاسْتَثْبَتَ مِنْهَا الخَبَرَ، وَدَخَلُوا إِلَى ذَلِكَ البَيْتِ فَنَقَبُوا مِنْ دَاخِلِهِ بَطَائِنَ لِيَهُونَ عَلَيْهِمُ النَّقْبُ مِنَ الخَارِجِ، ثُمَّ جَلَسَ عِنْدَهَا جَهْرَةً كَالزَّائِرِ، فَدَخَلَ الأَسْوَدُ فَقَالَ: وَمَا هَذَا؟ فَقَالَتْ: إِنَّهُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي، فَنَهَرَهُ وَأَخْرَجَهُ فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ.

فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ نَقَبُوا ذَلِكَ البَيْتَ فَدَخَلُوا فَوَجَدُوا فِيهِ سِرَاجاً تَحتَ جَفْنَةٍ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ فَيْرُوزُ الدَّيْلَمِيُّ وَالأَسْوَدُ نَائِمٌ عَلَى فِرَاشٍ مِنْ حَرِيرٍ، قَدْ غَرِقَ رَأْسُهُ فِي جَسَدِهِ، وَهُوَ سَكْرَانُ يَغُطُّ، وَالمَرْأَةُ جَالِسَةٌ عِنْدَهُ، فَلَمَّا قَامَ فَيْرُوزُ عَلَى البَابِ أَجْلَسَهُ شَيْطَانُهُ، وَتَكَلَّمَ عَلَى لِسَانِهِ ـ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَغُطُّ ـ فَقَالَ: مَا لِي وَمَا لَكَ يَا فَيْرُوزُ؟ فَخَشِيَ إِنْ رَجَعَ أَنْ يَهْلِكَ وَتَهْلِكَ المَرْأَةُ، فَعَاجَلَهُ وَخَالَطَهُ، وَهُوَ مِثْلُ الجَمَلِ، فَأَخَذَ بِرَأْسِهِ فَدَقَّ عُنُقَهُ وَوَضَعَ رُكْبَتَيْهِ فِي ظَهْرِهِ حَتَّى قَتَلَهُ، ثُمَّ قَامَ لِيَخْرُجَ إِلَى أَصْحَابِهِ لِيُخْبِرَهُمْ، فَأَخَذَتِ المَرْأَةُ بِذَيْلِهِ، وَقَالَتْ: أَيْنَ تَذْهَبُ عَنْ حُرْمَتِكَ؟ فَظَنَّتْ أَنَّهُ لَمْ يَقْتُلْهُ، فَقَالَ: أَخْرُجُ لأُعْلِمَهُمْ بِقَتْلِهِ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ لِيَحْتَزُّوا رَأْسَهُ، فَحَرَّكَهُ شَيْطَانُهُ فَاضْطَرَبَ، فَلَمْ يَضْبِطُوا أَمْرَهُ حَتَّى جَلَسَ اثْنَانِ عَلَى صَدْرِهِ، وَأَخَذَتِ المَرْأَةُ بِشَعْرِهِ، وَجَعَلَ يُبَرْبِرُ بِلِسَانِهِ، فَاحْتَزَّ الآخَرُ رَقَبَتَهُ، فَخَارَ كَأَشَدِّ

خُوَارِ ثَوْرٍ سُمِعَ قَطُّ، فَابْتَدَرَ الحَرَسُ إِلَى المَقْصُورَةِ، فَقَالُوا: مَا هَذَا؟ مَا هَذَا؟ مَا هَذَا؟ فَقَالَتِ المَرْأَةُ: النَّبِيُّ يُوحَى إِلَيْهِ، فَرَجَعُوا، وَجَلَسَ قَيْسٌ، وَدَاذَوِيهْ، وَفَيْرُوزُ يَأْتَمِرُونَ كَيْفَ يُعْلِمُونَ أَشْيَاعَهُمْ؟ فَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهُ إِذَا كَانَ الصَّبَاحُ يُنَادُونَ بِشِعَارِهِمْ الَّذِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ المُسْلِمِينَ، فَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ قَامَ أَحَدُهُمْ ـ وَهُوَ قَيْسُ ـ عَلَى سُورِ الحِصْنِ فَنَادَى بِشِعَارِهِمْ، فَاجْتَمَعَ المُسْلِمُونَ وَالكَافِرُونَ حَوْلَ الحِصْنِ، فَنَادَى قَيْسٌ ـ وَيُقَالُ وَبَرُ بنُ يُحَنَّسَ ـ الأَذَانَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّ عَبْهَلَةَ كَذَّابٌ، وَأَلْقَى إِلَيْهِمْ رَأْسَهُ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ وَتَبِعَهُمُ النَّاسُ يَأْخُذُونَهُمْ وَيَرْصُدُونَهُمْ فِي كُلِّ طَرِيقٍ يَأْسِرُونَهُمْ، وَظَهَرَ الإِسْلاَمُ وَأَهْلُهُ، وَتَرَاجَعَ نُوَّابُ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، إِلَى أَعْمَالِهِمْ، وَتَنَازَعَ أُولَئِكَ الثَّلاَثَةُ فِي الإِمَارَةِ، ثُمَّ اتَّفَقُوا عَلَى مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، وَكَتَبُوا بِالخَبَرِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَقَدْ أَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَى الخَبَرِ مِنْ لَيْلَتِهِ. عَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَتَى الخَبَرُ إِلَى النَّبِيِّ، ﷺ، مِنَ السَّمَاءِ اللَّيْلَةَ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا العَنَسِيُّ لِيُبَشِّرَنَا، فَقَالَ: قُتِلَ العَنَسِيُّ البَارِحَةَ قَتَلَهُ رَجُلٌ مُبَارَكٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ مُبَارَكِينَ، قِيلَ: وَمَنْ؟ قَالَ: فَيْرُوزُ، فَازَ فَيْرُوزُ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مُدَّةَ مُلْكِهِ مُنْذُ ظَهَرَ إِلَى أَنْ قُتِلَ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ،

وَيُقَالُ: أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَالَ فَيْرُوزُ: قَتَلْنَا الأَسْوَدَ، وَعَادَ أَمْرُنَا فِي صَنْعَاء كَمَا كَانَ، إِلاَّ أَنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ فَتَرَاضَيْنَا عَلَيْهِ، فَكَانَ يُصَلِّي بِنَا فِي صَنْعَاءَ، فَوَاللَّهِ مَا صَلَّى بِنَا إِلاَّ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى أَتَانَا الخَبَرُ بِوَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، فَانْتَفَضَتِ الأُمُورُ، وَأَنْكَرْنَا كَثِيراً مِمَّا كُنَّا نَعْرِفُ، وَاضْطَرَبَتِ الأَرْضُ.

طَمِعَ قَيْسُ بنُ مَكْشُوحٍ فِي الإِمْرَةِ بِاليَمَنِ، فَعَمِلَ لِذَلِكَ، وَارْتَدَّ عَنِ الإِسْلاَمِ، وَتَابَعَهُ عَوَامُّ أَهْلِ اليَمَنِ، وَكَتَبَ الصِّدِّيقُ إِلَى الأُمَرَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ أَنْ يَكُونُوا عَوْناً إِلَى فَيْرُوزِ وَالأَبْنَاءِ عَلَى قَيْسِ بنِ مَكْشُوحٍ حَتَّى تَأْتِيَهُمْ جُنُودُهُ سَرِيعاً، وَحَرَص قَيْسٌ عَلَى قَتْلِ الأَمِيرَيْنِ ـ فَيْرُوز وَدَاذَوِيهْ ـ فَلَمْ يَقْدِرْ إِلاَّ عَلَى دَاذَوِيهْ، وَاحْتَرَزَ مِنْهُ فَيْرُوزُ الدَّيْلَمِيُّ، وَذَلِكَ أَنَّهُ عَمِلَ طَعَاماً وَأَرْسَلَ إِلَى دَاذَوِيهْ أَوَّلاً، فَلَمَّا جَاءَهُ عَجَّلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى فَيْرُوزَ لِيَحْضَرَ عِنْدَهُ، فَلَمَّا كَانَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ سَمِعَ امْرَأَةً تَقُولُ لأُخْرَى: وَهَذَا وَاللَّهِ مَقْتُولٌ كَمَا قُتِلَ صَاحِبُهُ، فَرَجَعَ مِنَ الطَّرِيقِ، وَأَخْبَرَ أَصْحَابَهُ بِقَتْلِ دَاذَوِيهْ، وَخَرَجَ إِلَى أَخْوَالِهِ خَوْلاَنَ، فَتَحَصَّنَ عِنْدَهُمْ، وَسَاعَدَتْهُ عُقَيْلٌ، وَعَكٌّ وَخَلْقٌ، وَعَمِلَ قَيْسٌ إِلَى ذَرَارِي فَيْرُوزَ وَدَاذَوِيهْ وَالأَبْنَاءِ فَأَجْلاَهُمْ عَنِ

اليَمَنِ، وَأَرْسَلَ طَائِفَةً فِي البَرِّ وَطَائِفَةً فِي البَحْرِ، فَاحْتَدَّ فَيْرُوزُ فَخَرَجَ فِي خَلْقٍ كَثِيرٍ فَتَصَافَّ هُوَ وَقَيْسٌ فَاقْتَتَلُوا قِتَالاً شَدِيدَاً فَهَزَمَ فَيْرُوزُ قَيْسَاً وَجُنْدَهُ مِنَ العَوَامِّ، وَبَقِيَّةَ جُنْدِ الأَسْوَدِ العَنْسِيِّ، فَهُزِمُوا فِي كُلِّ وَجْهٍ، وَأُسِرَ قَيْسٌ وَعَمْرُو بنُ مَعْدِي كَرِبٍ، وَكَانَ عَمْرٌو قَدِ ارْتَدَّ أَيْضَاً، وَبَايَعَ الأَسْوَدَ العَنْسِيَّ، وَبَعَثَ بِهِمَا المُهَاجِرُ بنُ أَبِي أُمَيَّةَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ أَسِيرَيْنِ فَعَنَّفَهُمَا وَأَنَّبَهُمَا، فَاعْتَذَرَا إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُمَا عَلاَنِيَتَهُمَا، وَوَكَّلَ سَرَائِرَهُمَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَطْلَقَ سَرَاحَهُمَا وَرَدَّهُمَا إِلَى قَوْمِهِمَا، وَرَجَعَتْ عُمَّالِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، الَّذِينَ كَانُوا بِاليَمَنِ إِلَى أَمَاكِنِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا فِي حَيَاتِهِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ بَعْدَ حُرُوبٍ طَوِيلَةٍ[1].

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ رَجَعَ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ مِنَ اليَمَنِ.

---

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير.

العَوْدَة مِنَ اليَمَنِ

بَقِيَ مُعَاذٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي اليَمَنِ، عَلَى إِقْلِيمِ جَنَدٍ، وَمَا عَادَ حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، قَدْ تُوفِّيَ. وَرَجَعَ مُبَاشَرَةً إِلَى الحَجِّ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، خَلِيفَةَ المُسْلِمِينَ، وَقَدِ اسْتَعْمَلَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ عَلَى الحَجِّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَالْتَقَى مُعَاذٌ بِعُمَرَ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ بِمِنىً فَاعْتَنَقَا وَعَزَّى كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ بِرَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، ثُمَّ أَخْلَدَا إِلَى الأَرْضِ يَتَحَدَّثَانِ، فَرَأَى عُمَرُ عِنْدَ مُعَاذٍ غِلْمَاناً فَقَالَ: مَا هَؤُلاَءِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمٰنِ؟ قَالَ: أَصَبْتُهُمْ فِي وَجْهِي هَذَا.

قَالَ عُمَرُ: مِنْ أَيِّ وَجْهٍ؟.

قَالَ مُعَاذٌ: أُهْدُوا إِلَيَّ وَأُكْرِمْتُ بِهِمْ.

قَالَ عُمَرُ: اذْكُرْهُمْ لأَبِي بَكْرٍ.

قَالَ مُعَاذٌ: مَا ذِكْرِي هَذَا لأَبِي بَكْرٍ.

وَنَامَ مُعَاذٌ فَرَأَى فِي النَّوْمِ كَأَنَّهُ عَلَى شَفِيرِ النَّارِ، وَعُمَرُ آخِذٌ

بِحُجْزَتِهِ مِنْ وَرَائِهِ يَمْنَعُهُ مِنْ أَنْ يَقَعَ فِي النَّارِ. فَفَزِعَ مُعَاذٌ فَقَالَ: هَذَا مَا أَمَرَنِي بِهِ عُمَرُ. فَقَدِمَ مُعَاذٌ فَذَكَرَهُمْ لأَبِي بَكْرٍ فَسَوَّغَهُ أَبُو بَكْرٍ ذَلِكَ، وَقَضَى بَقِيَّةَ غُرَمَائِهِ، وَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، يَقُولُ: لَعَلَّ اللَّهَ يَجْبُرُكَ[1].

وَرَوَى الزُّهْرِيُّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ كَعْبٍ، قَالَ: كَانَ مُعَاذُ شَابَاً جَمِيلاً سَمْحَاً مِنْ خِيرَةِ شَبَابِ قَوْمِهِ لاَ يُسأَلُ شَيْئَاً إِلاَّ أَعْطَاهُ، حَتَّى كَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ أَغْلَقَ مَالَهُ كُلَّهُ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، أَن يُكَلِّمَ لَهُ غُرَمَاءَهُ فَفعَلَ، فَلَمْ يَضَعُوا لَهُ شَيْئَاً، فَلَوْ تَرَكَ أَحَدٌ لِكَلاَمِ أَحَدٍ لَتَرَكَ لِمُعَاذٍ لِكَلاَمِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، فَدَعَاهُ النَّبِيُّ، ﷺ، فَلَمْ يَبْرَحْ حَتَّى بَاعَ مَالَهُ، وَقَسَّمَهُ بَيْنَهُمْ، فَقَامَ مُعَاذٌ وَلاَ مَالَ لَهُ، ثُمَّ بَعَثَهُ عَلَى اليَمَنِ لِيَجْبُرَهُ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ تَجَرَ فِي هَذَا المَالِ، فَقَدِمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: هَلْ لَكَ يَا مُعَاذُ أَنْ تُطِيعَنِي؟ تَدْفَعُ هَذَا المَالَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَإِنْ أَعْطَاكَهُ فَاقْبَلْهُ، فَقَالَ: لاَ أَدْفَعُهُ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا بَعَثَنِي نَبِيُّ اللَّهِ لِيَجْبُرَنِي، فَانْطَلَقَ عُمَرُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: خُذْ مِنْهُ وَدَعْ لَهُ، قَالَ: مَا كُنْتُ لأَفْعَلَ، وَإِنَّمَا بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، لِيَجْبُرَهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ مُعَاذٌ، انْطَلَقَ إِلَى عُمَرَ، فَقَالَ: مَا أَرَانِي إِلاَّ

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٨٨.

فَاعِلٌ الَّذِيْ قُلْتَ، لَقَدْ رَأَيْتَنِي البَارِحَةَ، أَظُنُّهُ قَالَ: أُجَرُّ إِلَى النَّارِ، وَأَنْتَ آخِذٌ بِحُجْزَتِي. فَانْطَلَقَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ، حَتَّى جَاءَ بِسَوْطِهِ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: هُوَ لَكَ لاَ آخُذُ مِنْهُ شَيْئَاً، وَفِي لَفْظٍ، قَدْ وَهَبْتُهُ لَكَ، فَقَالَ عُمَرُ: هَذَا حِيْنَ حَلَّ وَطَابَ، وَخَرَجَ مُعَاذٌ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الشَّامِ[1].

(١) سير أعلام النبلاء.

في الشَّام

اسْتَأْذَنَ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ الخَلِيفَةَ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ بِالخُرُوجِ إِلَى الشَّامِ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالمُشَارَكَةِ بِالفَتْحِ فَأَذِنَ لَهُ، وَخَرَجَ رَغْمَ أَنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ كَانَ يَرَى غَيْرَ ذَلِكَ حَيْثُ يَرْغَبُ أَنْ يَبْقَى مُعَاذٌ فِي المَدِينَةِ لِيَفِيدَ النَّاسُ مِنْ عِلْمِهِ. فَيَقُولُ الفَارُوقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَقَدْ أَخَلَّ خُرُوجُهُ بِالمَدِينَةِ وَأَهْلِهَا فِي الفِقْهِ وَفِيمَا كَانَ يُفْتِيهِمْ بِهِ، وَلَقَدْ كُنْتُ كَلَّمْتُ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يَحْبِسَهُ لِحَاجَةِ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَأَبَى عَلَيَّ، وَقَالَ: رَجُلٌ أَرَادَ وَجْهاً، يَعْنِي الشَّهَادَةَ، فَلاَ أَحْبِسُهُ. قُلْتُ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيُرْزَقُ الشَّهَادَةَ وَهُوَ عَلَى فِرَاشِهِ[١].

انْطَلَقَ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ إِلَى الشَّامِ، وَشَارَكَ فِي فَتْحِهَا، وَخَاضَ أَكْثَرَ المَعَارِكِ الَّتِي جَرَتْ عَلَى سَاحَتِهَا: اليَرْمُوكَ، وَفَتْحَ دِمَشْقَ، وَأَجْنَادِينَ، وَفِحْلَ. وَلَمَّا تَمَّ الفَتْحُ سَاهَمَ فِي تَعْلِيمِ المُسْلِمِينَ هُنَاكَ.

---

(١) سير أعلام النبلاء.

قَالَ أَبُو إِدْرِيسَ الخَوْلاَنِيُّ دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ فَإِذَا فَتىً بَرَّاقُ الثَّنَايَا، وَإِذَا نَاسٌ مَعَهُ إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَسْنَدُوهُ إِلَيْهِ، وَصَدَرُوا عَنْ رَأْيِهِ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقَالُوا: هَذَا مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ. فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ هَجَّرْتُ فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بِالتَهْجِيرِ فَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي، قَالَ: فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى قَضَى صَلاَتَهُ ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ: وَاللَّه إِنِّي لأُحِبُّكَ لِلّهِ، قَالَ: فَقَالَ: اللَّهُ، فَقُلْتُ: اللَّهُ، قَالَ: اللَّهُ، فَقُلْتُ اللَّهُ. قَالَ: فَأَخَذَ بِحَبْوَةِ رِدَائِي فَجَبَذَنِي إِلَيْهِ، وَقَالَ: أَبْشِرْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَجَبَتْ رَحْمَتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، وَالمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ(١).

وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ الخَوْلاَنِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ مَسْجِدَ حِمْصَ، فَإِذَا فِيْهِ نَحْوٌ مِنْ ثَلاَثِينَ كَهْلاً مِنَ الصَّحَابَةِ، فَإِذَا فِيْهِمْ شَابٌ، أَكْحَلُ العَيْنَيْنِ، بَرَّاقُ الثَّنَايَا، سَاكِتٌ، فَإِذَا امْتَرَى القَوْمُ، أَقْبَلُوا عَلَيْهِ، فَسَأَلُوهُ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ، فَوَقَعَتْ مَحَبَّتُهُ فِي قَلْبِي(٢).

كَانَ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ، سَاعِدَ أَبِي عُبَيْدَةَ الأَيْمَنَ فِي الشَّامِ. وَقَدْ

---

(١) طبقات ابن سعد.

(٢) سير أعلام النبلاء.

رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ عِنْدَمَا خَطَبَ فِي الجَابِيَةِ: مَنْ أَرَادَ الفِقْهَ فَلْيَأْتِ مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ. وَعِنْدَمَا يُرْسِلُ أَبُو عُبَيْدَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، القَائِدُ العَامُ لِلْجُيُوشِ الإِسْلاَمِيَّةِ فِي الشَّامِ رِسَالَةً، إِلَى أَمِيْرِ المُؤْمِنِينَ، عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَدْ تَكُونُ بِاسْمِ أَبِي عُبَيْدَةَ وَمُعَاذٍ مَعاً، وَكَذَا يَكُونُ الجَوَابُ إِلَيْهِمَا، وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الحِلْيَةِ إِحْدَى هَذِهِ الرَّسَائِلِ، وَقَدْ جَاءَ فِيْهَا:

مِنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بنِ الجَرَّاحِ وَمُعَاذِ بنِ جَبَلٍ إِلَى عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ: سَلاَمٌ عَلَيْكَ، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّا عَهِدْنَاكَ وَأَمْرُ نَفْسِكَ لَكَ مُهِمٌّ، فَأَصْبَحْتَ قَدْ وُلِّيتَ أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ، أَحْمَرِهَا وَأَسْوَدِهَا، يَجْلُسُ بَيْنَ يَدَيْكَ الشَّرِيفُ وَالوَضِيعُ، وَالعَدُوُّ وَالصَّدِيقُ، وَلِكُلٍّ حِصَّتُهُ مِنَ العَدْلِ، فَانْظُرْ كَيْفَ أَنْتَ عِنْدَ ذَلِكَ يَا عُمَرُ، فَإِنَّا نُحَذِّرُكَ يَوْماً تَعْنِي فِيْهِ الوُجُوهُ، وَتَجِفُّ فِيْهِ القُلُوبُ، وَتَنْقَطِعُ فِيْهِ الحُجَجُ لِحُجَّةِ مَلِكٍ قَهَرَهُمْ بِجَبَرُوتِهِ، فَالخَلْقُ دَاخِرُونَ لَهُ، يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ، وَيَخَافُونَ عِقَابَهُ. وَإِنَّا كُنَّا نُحَدَّثُ أَنَّ أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ سَيَرْجِعُ فِي آخِرِ زَمَانِهَا أَنْ يَكُونَ إِخْوَانُ العَلاَنِيَةِ أَعْدَاءَ السَّرِيرَةِ، وَإِنَّا نَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ يَنْزِلَ كِتَابُنَا إِلَيْكَ سِوَى المَنْزِلِ الَّذِي نَزَلَ مِنْ قُلُوبِنَا، فَإِنَّا كَتَبْنَا بِهِ نَصِيحَةً لَكَ، وَالسَّلاَمُ عَلَيْكَ.

وَأَجَابَهُمَا أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ بِكِتَابٍ جَاءَ فِيْهِ:

مِنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ وَمُعَاذٍ: سَلاَمٌ عَلَيْكُمَا، أَمَّا بَعْدُ:

أَتَانِي كِتَابُكُمَا تُذَكِّرَانِ فِيْهِ... وَكَتَبْتُمَا فِيْهِ: فَانْظُرْ كَيْفَ أَنْتَ عِنْدَ ذَلِكَ يَا عُمَرُ؛ وَإِنَّهُ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ لِعُمَرَ عِنْدَ ذَلِكَ إِلاَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَتَبْتُمَا تُحَذِّرَانِي مَا حُذِّرَتْ مِنْهُ الأُمَمُ قَبْلَنَا، وَقَدِيماً كَانَ اخْتِلاَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِآجَالِ النَّاسِ يُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ، وَيُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ، وَيَأْتِيَانِ بِكُلِّ مَوْعُودٍ حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى مَنَازِلِهِمْ مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ. وَكَتَبْتُمَا تُحَذِّرَانِي أَنَّ أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ سَيَرْجِعُ فِي آخِرِ زَمَانِهَا أَنْ يَكُونَ إِخْوَانُ العَلاَنِيَةِ أَعْدَاءَ السَّرِيرَةِ، وَلَسْتُمْ بِأُولَئِكَ وَلَيْسَ هَذَا بِزَمَانِ ذَاكَ، وَذَلِكَ زَمَانٌ تَظْهَرُ فِيْهِ الرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ، وَتَكُونُ رَغْبَةُ النَّاسِ إِلَى بَعْضِهِمْ لِصَلاَحِ دُنْيَاهُمْ. وَإِنَّكُمَا كَتَبْتُمَا نَصِيحَةً لِي وَقَدْ صَدَقْتُمَا فَلاَ تَدَعَا الكِتَابَ إِلَيَّ، فَإِنَّهُ لاَ غِنَى بِي عَنْكُمَا، وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمَا.

وَرُوِيَ أَنَّ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَخَذَ أَرْبَعَمِائَةِ دِينَارٍ، فَقَالَ لِغُلاَمٍ: اذْهَبْ بِهَا إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ، ثُمَّ تَلَهَّ سَاعَةً فِي البَيْتِ حَتَّى تَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ، قَالَ: فَذَهَبَ بِهَا الغُلاَمُ، فَقَالَ: يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ

المُؤْمِنِينَ: خُذْ هَذِهِ، فَقَالَ: وَصَلَهُ اللَّهُ وَرَحِمَهُ، ثُمَّ قَالَ: تَعَالَيْ يَا جَارِيَةُ! اذْهَبِي بِهَذِهِ السَّبْعَةِ إِلَى فُلاَنٍ، وَبِهَذِهِ الخَمْسَةِ إِلَى فُلاَنٍ، حَتَّى أَنْفَذَهَا، فَرَجَعَ الغُلاَمُ إِلَى عُمَرَ، وَأَخْبَرَهُ، فَوَجَدَهُ قَدْ أَعَدَّ مِثْلَهَا لِمُعَاذِ بنِ جَبَلٍ، فَأَرْسَلَهُ بِهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ مُعَاذُ: وَصَلَهُ اللَّهُ، يَا جَارِيَةُ اذْهَبِي إِلَى بَيْتِ فُلاَنٍ بِكَذَا، وَلِبَيْتِ فُلاَنٍ بِكَذَا. فَاطَّلَعَتْ امْرَأَةُ مُعَاذٍ، فَقَالَتْ: وَنَحْنُ وَاللَّهِ مَسَاكِينَ، فَأَعْطِنَا، وَلَمْ يَبْقَ فِي الخِرْقَةِ إِلاَّ دِينَارَانِ فَدَحَا بِهِمَا إِلَيْهَا. وَرَجَعَ الغُلاَمُ، فَأَخْبَرَ عُمَرَ، فَسُرَّ بِذَلِكَ، وَقَالَ: إِنَّهُمْ إِخْوَةٌ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ[1]. وَعِنْد ابْنِ سَعْدٍ، قَالَ عُمَرُ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي الإِسْلاَمِ مَنْ يَصْنَعُ هَذَا[2].

وَلَمَّا اشْتَدَّ الوَجَعُ عَلَى أَبِي عُبَيْدَةَ فِي طَاعُونِ عَمَوَاسَ اسْتَخْلَفَ مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ.

---

(١) سير أعلام النبلاء.

(٢) طبقات ابن سعد في ترجمة أبي عبيدة بن الجراح.

وَفَاةُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

لَمَّا أُصِيبَ أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ فِي طَاعُونِ عَموَاسَ اسْتَخْلَفَ مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ. وَاشْتَدَّ الوَجَعُ فَقَالَ النَّاسُ لِمُعَاذٍ: ادْعُ اللَّهَ يَرْفَعْ عَنَّا هَذَا الرِّجْزَ، قَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ بِرِجْزٍ، وَلَكِنَّهُ دَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ، ﷺ، وَمَوْتُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَشَهَادَةٌ يَخْتَصُّ بِهَا اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ مِنْكُمْ. أَيُّهَا النَّاسُ، أَرْبَعُ خِلاَلٍ مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ يُدْرِكُهُ شَيْءٌ مِنْهُنَّ فَلاَ يُدْرِكْهُ. قَالُوا: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: يَأْتِي زَمَانٌ يَظْهَرُ فِيْهِ البَاطِلُ، وَيُصْبِحُ الرَّجُلُ عَلَى دِينٍ وَيُمْسِي عَلَى آخَرَ، وَيَقُولُ الرَّجُلُ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي عَلَى مَا أَنَا، لاَ يَعِيشُ عَلَى بَصِيرَةٍ، وَلاَ يَمُوتُ عَلَى بَصِيرَةٍ، وَيُعْطَى الرَّجُلَ المَالَ مِنْ مَالِ اللَّهِ عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلاَمِ الزُّورِ الَّذِي يُسْخِطُ اللَّهَ. اللَّهُمَّ آتِ آلَ مُعَاذٍ نَصِيبَهُمْ الأَوْفَى مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ. فَطُعِنَ ابْنَاهُ فَقَالَ: كَيْفَ تَجِدَانِكُمَا، قَالاَ: يَا أَبَانَا الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ. قَالَ: وَأَنَا سَتَجِدَانِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ. ثُمَّ

طُعِنَتْ امْرَأَتَاهُ فَهَلَكَتَا، وَطُعِنَ هُوَ فِي إِبْهَامِهِ، فَجَعَلَ يَمَسُّهَا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّهَا صَغِيرَةٌ فَبَارِكْ فِيْهَا فَإِنَّكَ تُبَارِكُ فِي الصَّغِيرِ. حَتَّى هَلَكَ.

عَنِ الحَارِثِ بنِ عُمَيْرَةَ الزَّبِيدِيِّ قَالَ: إِنِّي لَجَالِسٌ عِنْدَ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ، وَهُوَ يَمُوتُ، فَهُوَ يُغْمَى عَلَيْهِ مَرَّةً، وَيُفِيقُ مَرَّةً، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ عِنْدَ إِفَاقَتِهِ؛ اخْنُقْ خَنِقَكَ. فَوَعِزَّتِكَ إِنِّي لأُحِبُّكَ.

وَرَوَى سَلَمَةُ بنُ كُهَيْل فَقَالَ: أَخَذَ مُعَاذاً الطَّاعُونُ فِي حَلْقِهِ فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنَّكَ لَتَخْنُقُنِي وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ.

وَعَنْ دَاوُدَ بنِ الحُصَيْنِ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّهُ لَمَا وَقَعَ الوَجَعُ عَامَ عَمَوَاسَ، قَالَ أَصْحَابُ مُعَاذٍ: هَذَا رِجْزٌ قَدْ وَقَعَ، فَقَالَ مُعَاذٌ: أَتَجعَلُونَ رَحْمَةً رَحِمَ اللَّهُ بِهَا عِبَادَهُ كَعَذَابٍ عَذَّبَ اللَّهُ بِهِ قَوْماً سَخِطَ عَلَيْهِمْ؟ إِنَّمَا هِيَ رَحْمَةٌ خَصَّكُمُ اللَّهُ بِهَا، وَشَهَادَةٌ خَصَّكُمُ اللَّهُ بِهَا، اللَّهُمَّ أَدْخِلْ عَلَى مُعَاذٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَمُوتَ فَلْيَمُتْ مِنْ قَبْلِ فِتَنٍ سَتَكُونُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَكْفُرَ المَرْءُ بَعْدَ إِسْلاَمِهِ، أَوْ يَقْتُلَ نَفْساً بِغَيْرِ حِلِّهَا، أَوْ يُظَاهِرَ أَهْلَ البَغْيِ، أَوْ يَقُولَ الرَّجُلُ مَا أَدْرِي عَلَى

مَا أَنَا إِنْ مِتُّ أَوْ عِشْتُ أَعَلَى حَقٍّ أَوْ عَلَى بَاطِلٍ[1].

وَمَا ذَلِكَ إِلاَّ لأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، قَالَ: (الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ إِذَا صَبَرَ وَرَضِيَ بِقَضَاءِ اللَّهِ)[2]. كَمَا رَوَى مُعَاذٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: (سَتُهَاجِرُونَ إِلَى الشَّامِ، فَيُفْتَحُ عَلَيْكُمْ، وَيَكُونُ فِيكُمْ دَاءٌ كَالدُّمَّلِ - أَوَ كَالحَزَّةِ - يَأْخُذُ بِمَرَاقِ الرَّجُلِ، يَسْتَشْهِدُ اللَّهُ بِهِ أَنْفُسَهُمْ، وَيُزَكِّي بِهَا أَعْمَالَهُمْ، قَالَ مُعَاذٌ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، فَأَعْطِهِ هُوَ وَأَهْلَ بَيْتِهِ الحَظَّ الأَوْفَرَ مِنْهُ) فَأَصَابَهُمُ الطَّاعُونُ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَطُعِنَ مُعَاذٌ فِي أَصْبُعِهِ السَّبَابَةِ، فَكَانَ يَقُولُ: مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي بِهَا حُمْرُ النَّعَمِ[3].

لَقَدْ كَانَ مُعَاذٌ يَخْشَى أَنْ تُدْرِكَهُ الفِتَنُ الَّتِي تَحَدَّثَ عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، لِذَا أَحَبَّ العَاجِلَةَ فِي المَوْتِ، وَرَجَا أَنْ تَكُونَ لَهُ الشَّهَادَةُ بِالطَّاعُونِ.

تُوفِّي مُعَاذٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي طَاعُونِ عَمَوَاسَ أَيَّ سَنَةَ

---

(١) طبقات ابن سعد.
(٢) متفق عليه.
(٣) مسند الإمام أحمد.

ثَمَانِيَ عَشْرَةَ، وَبِذَا يَكُونُ قَدْ عَاشَ ثَمَانِيَةً وَثَلَاثِينَ سَنَةً، لِأَنَّهُ وُلِدَ فِي السَّنَةِ العِشْرِينَ قَبْلَ الهِجْرَةِ، وَبِذَا يَكُونُ مَوْتُهُ وَهُو فِي بِدَايَةِ سَنَوَاتِ الكُهُولَةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أُسْـرَة مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

تَزَوَّجَ مُعَاذٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أُمَّ عَمْرٍو بِنْتَ خَالِدِ بنِ عَمْرٍو مِنْ بَنِي سَلَمَةَ، وَقَدْ أَنْجَبَتْ لَهُ فَتَاةً عُرِفَتْ بِاسْمِ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ، وَقَدْ بَايَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، رَغْمَ صِغَرِ سِنِّهَا حَيْثُ لَمْ تَتَجَاوَزِ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ عِنْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَعِنْدَمَا بُعِثَ مُعَاذٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى اليَمَنِ تَزَوَّجَ هُنَاكَ مِنْ قَبِيلَةِ السُّكُونِ، وَقَدْ نَاصَرَتْهُ هَذِهِ القَبِيلَةِ عِنْدَمَا وَقَعَتِ الفِتْنَةُ فِي اليَمَنِ.

وَكَانَ لَهُ وَلَدَانِ يُعْرَفُ أَحَدُهُمَا بِاسْمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَبِهِ يُكَنَّى مُعَاذٌ، وَلَمْ يُعْرَفِ اسْمُ الآخَرِ. وَذَلِكَ لأَنَّ الطَّاعُونَ قَدْ أَتَى عَلَى الأُسْرَةِ كُلِّهَا، فَلَمْ يَشْتَهِرِ الأَوْلاَدُ إِذْ مَاتُوا صِغَاراً.

كَلِمَةٌ أَخِيرَةٌ

لَقَدْ كَانَ مُعَاذٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَثَلاً يُحْتَذَى بِهِ فِي حِرْصِهِ عَلَى العِلْمِ، وَتَسْخِيرِ كُلِّ إِمْكَانَاتِهِ لِذَلِكَ حَتَّى غَدَا عَالِمَاً حُجَّةً يُرْجَعُ إِلَيْهِ عِنْدَ المُلِمَّاتِ، وَفِي حِرْصِهِ عَلَى البَذْلِ وَالعَطَاءِ مِمَّا حَصَلَ عَلَيْهِ مِنْ عِلْمٍ. وَفِي حِرْصِهِ عَلَى الجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِرَفْعِ رَايَةِ الإِسْلَامِ وَإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ، فَلَمْ يَتَوَانَ عَنْ غَزْوَةٍ، وَلَمْ يَتَأَخَّرْ عَنِ الالْتِحَاقِ بِسَرِيَّةٍ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ مَعْرَكَةٍ، وَثَبَتَ فِي كُلِّ لِقَاءٍ.

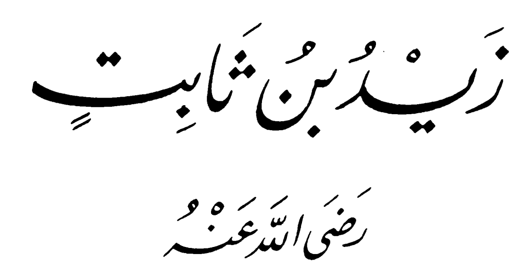
كَمَا كَانَ مَثَلاً فِي بُعْدِهِ عَنْ مَبَاهِجِ الدُّنْيَا وَمُغْرِيَاتِهَا، وَعَنْ حُطَامِهَا وَزَخَارِفِهَا، وَكَانَ حَرِيصاً عَلَى الوُصُولِ إِلَى الآخِرَةِ مُزَوَّداً بِالتَّقْوَى لِيَنَالَ الدَّرَجَاتِ العُلَى فِي الجَنَّةِ، غَيْرَ مُبَالٍ بِغَيْرِ هَذَا فَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ.

وَبِهَذَا كَانَ أَحَدَ بُنَاةِ دَوْلَةِ الإِسْلَامِ، وَعَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يُرِيدُ لِأُمَّتِهِ الرِّفْعَةَ أَنْ يَسْلُكَ السَّبِيلَ الَّتِي سَلَكَهَا مُعَاذٌ، رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُ، فِـي طَلَـبِ العِلْـمِ، وَالعَطَـاءِ، وَالجِهَـادِ، وَالسعـيِ إِلَـى الآخِرَةِ، وَالترَفُّعِ عَنِ المَظَاهِرِ الخَدَّاعَةِ البَرَّاقَةِ.

بُنَاةُ دَوْلَةِ الإِسْلَامِ

٦٩



مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه، ومن سار على دربه إلى يوم الدين **أما بعد**:

فإن الغراس لا تنمو ويترعرع سوقها إلاّ إذا تعهّدها الفلاّح، ولا تُعطي الثمر، وتُقدّم الإنتاج إلاّ إذا استمرّت رعاية المزارع لها، وتعهّدها بالسّقاية، ولا بدّ من ذلك لأنها ثروته، وعماد حياته.

وإن النشء لا يكون عطاؤه جيداً إلا إذا رُبّي التربية الصالحة، ووُجّه التوجيه القويم. وهو ثروة الأُمّة، وعطاؤه إنتاجها، فإذا ما اعتني به العناية الصحيحة قدّم الخير العميم في مرحلة شبابه.

وقد أحسن عمارة بن حزم تربية زيد بن ثابتٍ، وجاء رسول الله، ﷺ، فوجّهه وعلّمه، وكفى برسول الله مُعلّماً ومُوجّهاً، فكان عطاء زيدٍ، وكان عنصر بناءٍ في الأمة يُعلّم المسلمين، ويُبيّن لهم الحقّ بما أخذه من رسول الله، ﷺ.

فنرجو من الله أن نستطيع تقديم صورةٍ صادقةٍ مختصرةٍ عن حياة هذا الصّحابي الجليل وما قدّمه لأُمّته. والله نسأل العون فهو نعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

٢٩ رمضان ١٤١٥ هـ.

نَشْأَةُ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

هُوَ زَيْدُ بنُ ثَابِتِ بنِ زَيْدِ بنِ لُوذَانَ بنِ عَمْرِو بنِ عَبْدِ عَوْفِ بنِ غَنَمِ بنِ مَالِكِ بنِ النَّجَّارِ بنِ ثَعْلَبَةَ الخَزْرَجِيُّ. فَهُوَ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ مِنَ الخَزْرَجِ.

قُتِلَ أَبُوهُ ثَابِتٌ يَوْمَ بُعَاثِ الَّذِيْ هُوَ آخِرُ أَيَّامِ الجَاهِلِيَّةِ بَيْنَ الأَوْسِ وَالخَزْرَجِ، وَكَانَ لِصَالِحِ الأَوْسِ، وَذَلِكَ قَبْلَ الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ بِخَمْسِ سَنَوَاتٍ، وَكَانَ عُمْرُ زَيْدٍ يَوْمَذَاكَ سِتَّ سَنَوَاتٍ، فَيَكُونُ زَيْدٌ قَدْ وُلِدَ قَبْلَ الهِجْرَةِ بِأَحَدَ عَشَرَ عَاماً.

وَأُمُّهُ هِيَ النُّوَارُ بِنْتُ مَالِكِ بنِ صَرْمَةَ بنِ عَدِيٍّ، مِنَ الخَزْرَجِ أَيْضاً، وَقَدْ أَدْرَكَتِ الإِسْلَامَ، وَأَسْلَمَتْ، وَبَايَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، وَرَوَتْ عَنْهُ، وَرَوَتْ عَنْهَا أُمُّ سَعْدٍ بِنْتُ أَسْعَدَ بنِ زُرَارَةَ، حَيْثُ كَانَتْ زَوْجَةَ ثَابِتِ بنِ زَيْدٍ الأُولَى، وَأَنْجَبَتْ لَهُ.

عَاشَتِ النُّوَارُ بِنْتُ مَالِكٍ عِدَّةَ سَنَوَاتٍ مَعَ زَوْجِهَا ثَابِتِ بنِ

زَيْدٍ، وَبَعْدَ أَنْ قُتِلَ يَوْمَ بُعَاثٍ تَزَوّجَتْ عُمَارَةَ بنَ حَزْمٍ، وَهُوَ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ أَيْضاً. فَانْتَقَلَ زَيْدُ بنُ ثَابِتٍ مَعَ أُمِّهِ إِلَى بَيْتِ زَوْجِهَا عُمَارَةَ بنِ حَزْمٍ، وَعَاشَ فِي كَنَفِهِ.

وَعُمَارَةُ بنُ حَزْمٍ مِنْ سَادَاتِ بَنِي مَالِكِ بنِ النَّجَّارِ، وَكَانَ فِي طَلِيعَةِ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الأَنْصَارِ، وَشَهِدَ بَيْعَةَ العَقَبَةِ الثَّانِيَةِ، وَحَضَرَ بَدْراً، وَالمَشَاهِدَ كُلَّهَا، وَاسْتُشْهِدَ يَوْمَ اليَمَامَةِ. وَحَمَلَ رَايَةَ بَنِي مَالِكِ بنِ النَّجَّارِ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، الرَّايَةَ مِنْهُ، وَأَعْطَاهَا لِزَيْدِ بنِ ثَابِتٍ. فَقَالَ عُمَارَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَلَغَكَ عَنِّي شَيْءٌ؟ قَالَ: لاَ، وَلَـكِنَّ القُرْآنَ يُقَدَّمُ، وَكَانَ زَيْدٌ أَكْثَرَ أَخْذاً مِنْكَ لِلْقُرْآنِ.

وَعُمَارَةُ بنُ حَزْمٍ أَخٌ لِسَعِيدِ بنِ زَيْدِ بنِ عَمْرِو بنِ نَفِيلٍ، أَحَدِ العَشَرَةِ المُبَشَّرِينَ بِالجَنَّةِ، وابْنِ عَمِّ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، أَخٌ مِنْ أُمِّهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ بَعْجَةَ بنِ أُمَيَّةَ مِنْ خُزَاعَةَ.

وَكَانَ عُمَارَةُ بنُ حَزْمٍ جَاراً لِرَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، فِي المَدِينَةِ لِذَا كَانَ كَثِيرَ التَّرَدُّدِ عَلَيْهِ.

أَنْجَبَتِ النُّوَارُ أُمُّ زَيْدٍ لِعُمَارَةَ بنِ حَزْمٍ وَلَدَاً اسْمُهُ مَالِكُ، فَهُوَ أَخٌ لِزَيْدٍ مِنْ أُمِّهِ.

إِذَنْ نَشَأَ زَيْدُ بنُ ثَابِتٍ فِي كَنَفِ زَوْجِ أُمِّهِ عُمَارَةَ بنِ حَزْمٍ، وَكَانَ كَثِيرَ الإِكْرَامِ لَهُ.

وَلَما شَبَّ زَيْدٌ، تُوفِّيَتْ أُمُّهُ، وَصَلَّى عَلَيْهَا.

وَلِزَيْدِ بنِ ثَابِتٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَخَّانِ مِنْ أَبِيه هُمَا: يَزِيدُ، وَزَيْدٌ، وَأُمُّهُمَا أُمُّ سَعْدِ بِنْتُ أَسْعَدَ بنِ زُرَارَةَ.

إِسْلَامُ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

كَانَ زَيْدُ بنُ ثَابِتٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَعِيشُ فِي كَنَفِ زَوْجِ أُمِّهِ عُمَارَةَ بنِ حَزْمٍ، وَيَجِدُ عِنْدَهُ الرِّعَايَةَ وَالإِكْرَامَ، وَالعِنَايَةَ وَالمَحَبَّةَ، وَهَذَا مَا أَثَّرَ فِي نَفْسِهِ فَكَانَ يُبَادِلُهُ الحُبَّ بِحُبٍّ مِثْلِهِ، وَيُحَاوِلُ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِ لِمَا يَرَى فِيْهِ مِنْ خُلُقٍ طَيِّبٍ.

وَأَسْلَمَ عُمَارَةُ بنُ حَزْمٍ، وَشَهِدَ بَيْعَةَ العَقَبَةِ الثَّانِيَةَ، وَرَجَعَ إِلَى المَدِينَةِ مَعَ بَقِيَّةِ الرَّكْبِ، وَمَا أَنْ وَصَلَ المُسْلِمُونَ مِنْهُمْ إِلَى مَوْطِنِهِمْ، وَالْتَقَوْا بِأَهْلِيهِمْ حَتَّى أَخَذُوا بِدَعْوَتِهِمْ إِلَى مَا آمَنُوا بِهِ. فَالمَرْءُ يُحِبُّ لأَحْبَابِهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَمَا يَجِدُ فِيْهِ الخَيْرَ، وَلَيْسَ أَحَبَّ لِلْمُسْلِمِ مِنَ الإِيمَانِ، وَلاَ أَفْضَلَ عِنْدَهُ مِنْ نُورِ الحَقِّ، وَلاَ أَجْدَى مِنَ النَّجَاةِ مِنَ النَّارِ وَالفَوْزِ بِالجَنَّةِ. وَلَيْسَ أَحَبَّ لَهُ مِنْ أَهْلِهِ الَّذِينَ يعِيشُونَ مَعَهُ، وَيُشَاطِرُونَهُ حَيَاتَهُ حُلْوَهَا وَمُرَّهَا فَيُرِيدُ أَنْ يَكُونُوا مِثْلَهُ مُؤْمِنِينَ لِيُصْبِحُوا أَهْلَهُ حَقّاً. فَأَخَذَ عُمَارَةُ دَعْوَةَ أَهْلِهِ إِلَى الَّذِي آمَنَ بِهِ، أَخَذَ عُمَارَةُ بِدَعْوَةِ زَوْجِهِ

النُّوَارِ بِنْتِ مَالِكٍ، فَأَسْلَمَتْ مِثْلَهُ، فَهِيَ الَّتِي تَرَى فِيْهِ الرَّجُلَ الصَّادِقَ، وَالزَّوْجَ المُخْلِصَ، وَالرَّاعِيَ المُؤْتَمَنَ، وَالحَبِيبَ العَطُوفَ. وَدَعَا عُمَارَةُ بنُ حَزْمٍ كَذَلِكَ وَلَدَ زَوْجِهِ زَيْدَ بنَ ثَابِتٍ الَّذِيْ يَعِيشُ فِي بَيْتِهِ إِلَى جَانِبِ أُمِّهِ فَأَسْلَمَ حَيْثُ يَرَى فِي عُمَارَةَ الخُلُقِ الحَسَنِ، وَالأَدَبَ الفَاضِلَ، وَالمُرَبِّيَ المُحِبَّ، فَهُوَ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يَدْعُوَ إِلاَّ إِلَى خَيْرٍ، وَلاَ يَقْبَلُ إِلاَّ خَيْرَاً، وَلاَ يَأْمُرُ إِلاَّ بِمَعْرُوفٍ، وَلاَ يَنْهَى إِلاَّ عَنْ مُنْكَرٍ. وَهَكَذَا أَصْبَحَ بَيْتُ عُمَارَةَ بنِ حَزْمٍ مُسْلِمَاً. وَيُمْكِنُ هُنَا أَنْ نَقِفَ عِنْدَ نُقْطَتَيْنِ: أُولاَهُمَا أَنَّ مَا فَعَلَهُ عُمَارَةُ لَمْ يَكُنْ إِلاَّ اقْتِدَاءً بِرَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، حَيْثُ بَدَأَ بِزَوْجِهِ خَدِيجَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَمَنْ كَانَ يَعِيشُ فِي كَنَفِهِ، ابْنِ عَمِّهِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ، وَمَوْلاَهُ زَيدِ بنِ حَارِثَةَ. وَثَانِيَتُهُمَا أَنْ يَكُونَ الدَّاعِي مَعْرُوفَاً عِنْدَ أَهْلِهِ أَوَّلاً وَعِنْدَ إِخْوَانِهِ وَأَقْرِبَائِهِ وَعَشِيرَتِهِ بِالصِّدْقِ، وَالخُلُقِ، وَمُحَاكَمَةِ الأُمُورِ بِصُورَةٍ جَيِّدَةٍ لِيَكُونَ قُدْوَةً، وَلِيَقْبَلَ الَّذِينَ يَدْعُوهُمْ كَلاَمَهُ، وَلِيَثِقُوا بِدَعْوَتِهِ. وَقَدْ أُمِرَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، أَنْ يَبْدَأَ بِعَشِيرَتِهِ الأَقْرَبِينَ الَّذِينَ يَعْرِفُونَهُ حَقَّ المَعْرِفَةِ لِقُرْبِهِمْ مِنْهُ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾[1].

(١) سورة الشعراء/ الآية: ٢١٤.

وَإِذَا كَانَ الدَّاعِي غَيْرَ ذَلِكَ فَإِنَّ دَعْوَتَهُ تَلْقَى الصَّدَّ وَالنُّفُورَ، وَقَدْ رَأَيْنَا أَنَّ مُعَاذَ بن جَبَلٍ، كَانَ يَعِيشُ أَيْضاً فِي كَنَفِ زَوْجِ أُمِّهِ الجَدِّ بنِ قَيْسٍ الَّذِيْ كَانَ بَخِيلاً شَحِيحاً، الأَمْرُ الَّذِيْ جَعَلَ مُعَاذاً يَنْفِرُ مِنْهُ وَلاَ يَقْبَلُ مِنْهُ شَيْئاً، فَفِي الوَقْتِ الَّذِيْ وَقَفَ فِيْهِ الجَدُّ بنُ قَيْسٍ مَوْقِفاً مُعَادِياً لِلدَّعْوَةِ وَفِي صَفِّ المُنَافِقِينَ فَإِنَّ مُعَاذاً قَدْ أَسْلَمَ، وَانْصَرَفَ بِكُلِّ جَوَارِحِهِ لِلإِسْلاَمِ، وَوَهَبَ حَيَاتَهُ لَهُ، وَسَخَّرَ طَاقَاتِهِ كُلَّهَا لِخِدْمَتِهِ، وَعَادَى زَوْجَ أُمِّهِ، رَغْمَ حَيَاتِهِ مَعَهُ. فَالقَرابَةُ بِالإِيمَانِ وَالمَحَبَّةُ فِي اللَّهِ، وَلاَ يَدْخُلُ حُبُّ مُنَافِقٍ فِي قَلْبِ مُؤْمِنٍ. وَلاَ يَعْنِي هَذَا أَنَّ إِسْلاَمَ مُعَاذٍ كَانَ رَدَّ فِعْلٍ ضِدَّ زَوْجِ أُمِّهِ بَلْ لِمَا وَجَدَ فِي الإِسْلاَمِ مِنْ انْسِجَامٍ مَعَ الفِطْرَةِ، وَلِمَا رَأَى فِيْهِ مِنْ حَقٍّ وَسُمُوٍّ بِاتِّبَاعِهِ، وَهَذَا مَا أَكَّدَ لَهُ الخَطَأَ فِي طَبِيعَةِ تَفْكِيرِ زَوْجِ أُمِّهِ.

أَسْلَمَ زَيْدٌ وَهُوَ فِي العَاشِرَةِ مِنْ عُمْرِهِ، وَلَمْ يَمْضِ إِلاَّ عَامٌ وَقَلِيلٌ مِنْ عَامٍ حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، قَدْ هَاجَرَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى المَدِينَةِ. وَكَانَ زَيْدٌ قَدْ حَفِظَ سُوَراً مِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ. وَوَصَلَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، إِلَى المَدِينَةِ، وَنَزَلَ فِي دَارِ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ.

وَجَاءَ المُسْلِمُونَ فِي المَدِينَةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، لِيُسَلِّمُوا عَلَيْهِ، وَلِيَشْرُفُوا بِلِقَائِهِ. وَأَتَى زَيْدُ بنُ ثَابِتٍ مَعَ أَهْلِهِ، وَقُدِّمَ لِرَسُولِ اللَّهِ، ﷺ. فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا غُلَامٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، وَقَدْ قَرَأَ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَيْكَ سَبْعَ عَشَرَةَ سُورَةً. فَاسْتَقْرَأَهُ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، فَقَرَأَ لَهُ سُورَةَ «ق»، فَأَعْجَبَتْ قِرَاءَتُهُ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، وَوَجَدَ فِيهِ ذَكَاءً، وَإِمْكَانِيَّةً لِلْتَعَلُّمِ والاسْتِيعَابِ، وَنُبُوغاً بِالفِطْرَةِ فَقَالَ لَهُ: «يَا زَيْدُ تَعَلَّمْ لِيَ كِتَابَ يَهُودَ، فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُهُمْ عَلَى كِتَابِي». فَتَعَلَّمَهَا زَيْدٌ، وَأَصْبَحَ يَكْتُبُ لِرَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، إِذَا كَتَبَ لَهُمْ.

وَكَذَلِكَ فَقَدْ تَعَلَّمَ زَيْدٌ السُّرْيَانِيَّةَ، حَيْثُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ: «أَتُحسِنُ السُّرِيَانِيَّةَ إِنَّهَا تَأْتِينِي»؟ فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ: لاَ. فَقَالَ: «فَتَعَلَّمْهَا»، فَتَعَلَّمَهَا زَيْدٌ بِسُرْعَةٍ.

انْصَرَفَ زَيْدُ بنُ ثَابِتٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى تَعَلُّمِ لُغَةِ يَهُودَ انْصِرَافاً كَامِلاً بِجَوَارِحِهِ كُلِّهَا تَنْفِيذاً لأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَتَحْقِيقاً لِرَغْبَتِهِ، فَهَذَا نَوْعٌ مِنَ العِبَادَةِ الَّتِي تَحْمِلُ صَاحِبَهَا إِلَى الجَنَّةِ، فَهِيَ طَاعَةٌ لِنَبِيِّهِ الَّذِيْ يَشْهَدُ لَهُ بِالرِّسَالَةِ. وَقَدْ سَاعَدَهُ عَلَى هَذَا التَّعَلُّمِ السَّرِيعِ نُبُوغُهُ وَذَكَاؤُهُ الفِطْرِيُّ، وَانْدِفَاعُهُ نَحْوَ العِلْمِ، وَدُعَاءُ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، لَهُ، بَعْدَ اخْتِيَارِهِ لِهَذِهِ المُهِمَّةِ

لِمَا وَجَدَ فِيْهِ مِنْ أَهْلِيَّةٍ وَتَوَقُّدِ ذَكَاءٍ. هَذَا بِالإِضَافَةِ إِلَى تَعَلُّمِهِ كِتَابَ اللَّهِ، وَعِلْمَ الفَرَائِضِ الَّذِيْ فَاقَ بِهِ غَيْرَهُ.

جِهَادُ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

لَمْ يَصْرِفْ زَيْدَاً عَنِ الجِهَادِ وَالتَّفْكِيرِ بِهِ انْصِرَافُهُ إِلَى العِلْمِ، وَتَوَجُّهُهُ إِلَى تَعَلُّمِ لُغَةِ يَهُودَ، وَاللُّغَةِ السُّرْيَانِيَّةِ حَسْبَ تَوْجِيهِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، إِلَيْهِ. وَرَغْمَ صِغَرِ سِنِّهِ فَقَدْ خَرَجَ مَعَ المُسْلِمِينَ يُرِيدُونَ بَدْرَاً، غَيْرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، قَدْ رَدَّهُ، إِذْ لَمْ يَكُنْ قَدْ تَجَاوَزَ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ. فَرَجَعَ الفَتَى كَئِيباً حَزِيناً لِمَا حُرِمَهُ مِنْ أَجْرٍ فِي جِهَادِ الكُفَّارِ، وَلِمَا قَدْ يَنَالُهُ مِنْ أَجْرٍ عَظِيمٍ فِيمَا إِذَا كُتِبَتْ لَهُ الشَّهَادَةُ.

وَخَرَجَ يَوْمَ أُحُدٍ يُرِيدُ الجِهَادَ، وَخَرَجَ أَيْضاً أَمْثَالُهُ مِنَ الفِتْيَانِ كَرَافِعِ بنِ خُدَيْجٍ، وَسَمُرَةَ بنِ جُنْدُبٍ، وَأُسَامَةَ بنِ زَيْدٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، وَعَمْرِو بنِ حَزْمٍ، وَأُسَيْدِ بنِ ظُهَيرٍ، وَسَعْدِ بنِ حَبْتَةَ، وَسَعْدِ بنِ بُجَيْرٍ، وَعُرَابَةَ بنِ أَوْسٍ، وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، أَشْفَقَ عَلَيْهِمْ، وَرَدَّهُمْ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ حَرَسُ المَدِينَةِ أَثْنَاءَ غِيَابِ المُجَاهِدِينَ إِرْضَاءً لَهُمْ، وَرَفْعاً

لِمَعْنَوِيَتِهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ عُمْرُ زَيْدٍ يَوْمَ أُحُدٍ لِيَزِيدَ عَلَى الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ. وَبَعْدَ مَعْرَكَةِ أُحُدٍ تَفَقَّدَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، أَصْحَابَهُ، فَلَمْ يَجِدْ سَعْدَ بنَ الرَّبِيعِ، وَكَانَ فِي عَدَادِ المُجَاهِدِينَ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، زَيْدَ بنَ ثَابِتٍ يَطْلُبُهُ، يَقُولُ زَيْدٌ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، يَوْمَ أُحُدٍ، لِطَلَبِ سَعْدِ بنِ الرَّبِيعِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالَ لِي: إِنْ رَأَيْتَهُ فَأَقْرِئْهُ مِنِّيَ السَّلاَمَ، وَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ: كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قَالَ: فَجَعَلْتُ أَطُوفُ بَيْنَ القَتْلَى، فَأَصَبْتُهُ وَهُوَ فِي آخِرِ رَمَقٍ، وَبِهِ سَبْعُونَ ضَرْبَةً مَا بَيْنَ طَعْنَةٍ بِرُمْحٍ، وَضَرْبَةٍ بِسَيْفٍ، وَرَمْيَةٍ بِسَهْمٍ. فَقُلْتُ لَهُ: يَا سَعْدُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلاَمَ، وَيَقُولَ لَكَ أَخْبِرْنِي كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قَالَ: عَلَى رَسُولِ اللَّهِ السَّلاَمُ، وَعَلَيْكَ السَّلاَمُ. قُلْ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَجِدُنِي أَجِدُ رِيحَ الجَنَّةِ، وَقُلْ لِقَوْمِيَ الأَنْصَارِ: لاَ عُذْرَ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ إِنْ يُخْلَصَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَفِيكُمْ جَفْنٌ يَطْرِفُ. قَالَ: وَفَاضَتْ نَفْسُهُ، رَحِمَهُ اللَّهُ. وَرَجَعَ زَيْدٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَقَدْ أَدَّى مُهِمَّتَهُ، وَبَلَّغَهَا لَهُ.

وَشَهِدَ زَيْدٌ الخَنْدَقَ، وَهِيَ أَوَّلُ غَزْوَةٍ شَارَكَ فِيهَا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ سُرَّ سُرُوراً بَالِغاً، وَعُمْرُهُ لاَ يَزِيدُ كَثِيراً عَلَى الخَامِسَةَ عَشْرَةَ، وَأَرَادَ إِظْهَارَ إِمْكَانَاتِهِ، فَعَمِلَ بِجِدٍّ فِي حَفْرِ الخَنْدَقِ،

وَنَقْلِ التُّرَابِ، وَأَجْهَدَ نَفْسَهُ، حَتَّى أَعْيَاهُ التَّعَبُ، وَغَلَبَهُ النَّوْمُ، فَجَاءَ زَوْجُ أُمِّهِ عُمَارَةُ بنُ حَزْمٍ فَأَخَذَ مِنْهُ سِلاَحَهُ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ لِاسْتِغْرَاقِهِ بِالنَوْمِ وَتَعَبِهِ، يُرِيدُ مُدَاعَبَتَهُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ: «يَا أَبَا رُقَادٍ نِمْتَ حَتَّى ذَهَبَ سِلاَحُكَ». ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لَهُ عِلْمٌ بِسِلاَحِ هَذَا الغُلاَمِ». فَقَالَ عُمَارَةُ بنُ حَزْمٍ أَنَا أَخَذْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ» فَأَمَرَهُ أَنْ يَرُدَّهُ، وَنَهَى أَنْ يُرَوَّعَ المُؤْمِنُ، وَأَنْ يُؤْخَذَ مَتَاعَهُ لاَ لَعِباً وَلاَ جِدّاً.

وَبَعْدَ غَزْوَةِ الخَنْدَقِ شَهِدَ زَيْدُ بنُ ثَابِتٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، المَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ. وَذَكَرْنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، عِنْدَ فَتْحِ مَكَّةَ قَدْ أَخَذَ رَايَةَ مَالِكِ بنِ النَّجَّارِ مِنْ عُمَارَةَ بنِ حَزْمٍ، وَدَفَعَهَا إِلَى زَيْدِ بنِ ثَابِتٍ. فَقَالَ عُمَارَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَلَغَكَ عَنِّي شَيْءٌ؟ قَالَ: «لاَ، وَلَكِنَّ القُرْآنَ يُقَدَّمُ، وَكَانَ زَيْدٌ أَكْثَرَ أَخْذاً مِنْكَ لِلقُرْآنِ».

وَانْتَقَلَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، مِنْ هَذِهِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا إِلَى الحَيَاةِ الآخِرَةِ، وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ.

وَشَارَكَ زَيْدٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي قِتَالِ المُرْتَدِّينَ، وَحَضَرَ مَعْرَكَةَ اليَمَامَةِ، وَأَصَابَهُ سَهْمٌ، فَجَرَحَهُ جُرْحاً طَفِيفاً، عَلَى حِينَ نَالَ زَوْجُ أُمِّهِ عُمَارَةُ بنُ حَزْمٍ الشَّهَادَةَ فِي تِلْكَ المَوْقِعَةِ.

وَانْتَقَلَ إِلَى سَاحَاتِ القِتَالِ فِي الشَّامِ، وَشَهِدَ مَعْرَكَةَ اليَرْمُوكِ، وَتَوَلَّى قِسْمَةَ غَنَائِمِهَا بَيْنَ المُسْلِمِينَ.

كِتَابَةُ زَيْدٍ لِلْوَحْيِ

تَعَلَّمَ زَيْدٌ الكِتَابَةَ، وَحَثَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، عَلَى ذَلِكَ وَيُرْوَى أَنَّهُ قَدْ تَعَلَّمَ فِيمَنْ تَعَلَّمَ مِنْ صِبْيَةِ المُسْلِمِينَ عَلَى أَيْدِي أَسْرَى بَدْرٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ الَّذِينَ لَمْ يَجِدُوا مَا يَفْتَدُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ فَتَعَهَّدُوا بِتَعْلِيمِ كُلِّ وَاحِدٍ لِعَشَرَةٍ مِنْ أَبْنَاءِ المُسْلِمِينَ مُقَابِلَ الفِدَاءِ، حَسْبَ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ.

وَكَانَ زَيْدٌ حَرِيصاً عَلَى ذَلِكَ العِلْمِ تَنْفِيذاً لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، إِضَافَةً إِلَى نُبُوغِهِ وَإِمْكَانَاتِهِ.

وَكَمَا حَثَّ رَسُولُ اللَّهِ زَيْداً عَلَى تَعَلُّمِ الكِتَابَةِ حَثَّهُ عَلَى تَعَلُّمِ العِبْرَانِيَّةِ والسُّرْيَانِيَّةِ، فَأَتْقَنَهُمَا بِسُرْعَةٍ، وَسَاعَدَهُ عَلَى ذَلِكَ ذَكَاؤُهُ، وَوُجُودُ اليَهُودِ فِي المَدِينَةِ فَكَانَ يَسْمَعُ بَعْضَ العِبَارَاتِ، وَيَتَعَلَّمُ بَعْضَ الكَلِمَاتِ مِنَ الوَسَطِ الَّذِي هُوَ فِيْهِ.

وَلَمَّا كَانَ بَيْتُ عُمَارَةَ بنِ حَزْمٍ الَّذِي يَعِيشُ فِيْهِ زَيْدُ بنُ ثَابِتٍ

قَــرِيبَــاً مِــنْ مَسْجِــدِ رَسُــولِ اللَّــهِ، ﷺ، لِــذَا كَــانَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، إِنْ جَاءَهُ الوَحْيُ وَانْتَهَى دَعَا زَيْدَاً وَأَمْلَى عَلَيْهِ مَا جَاءَهُ.

كَمَا أَنَّ زَيْدَاً كَانَ حَرِيصَاً عَلَى مُلاَزَمَةِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، هَذِهِ الرَّغْبَةَ عِنْدَ زَيْدٍ، لِذَا كَانَ كَثِيرَاً مَا يَأْخُذُهُ مَعَهُ، وَيُجْلِسُهُ إِلَى جَانِبِهِ فِي المَسْجِدِ. وَلِصِغْرِ سِنِّ زَيْدٍ لَمْ تَكُنْ لَدَيْهِ تِلْكَ المَسْؤُولِيَّاتُ المُنَاطَةُ بِكِبَارِ السِّنِّ، وَأَصْحَابِ العَائِلاَتِ.

وَلَيْسَ مَعْنَى هَذَا أَنَّ زَيْدَ بنَ ثَابِتٍ كَانَ الكَاتِبَ الوَحِيدَ لِلْوَحْيِ بَلْ كَانَ هُنَاكَ عَدَدٌ آخَرُ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، يَكْتُبُونَ الوَحْيَ.

وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَمَلُ زَيْدٍ عَلَى كِتَابَةِ الوَحْيِ بَلْ كَانَ يَكْتُبُ لِرَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، رَسَائِلَ لِلْيَهُودِ إِنْ كَتَبَ لَهُمْ، إِذْ يَعْرِفُ زَيْدٌ لُغَتَهُمْ، وَإِلَى السُّرْيَانِ فِي الشَّامِ وَالعِرَاقِ حَيْثُ تَعَلَّمَ لُغَتَهُمْ. كَمَا كَانَ يُتَرْجِمُ لِرَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، مَا يَأْتِيهِ مِنْ رَسَائِلَ بِهَاتَيْنِ اللُّغَتَيْنِ، أَوْ إِنْ جَاءَتْ وُفُودٌ إِلَى المَدِينَةِ يَعْرِفُونَ تِلْكُمَا اللُّغَتَيْنِ، وَكَذَا يَقُومُ بِالمُهِمَّةِ نَفْسِهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى لُغَاتِ الفُرْسِ، وَالرُّومِ، وَالأَحْبَاشِ، وَالقِبْطِ إِذْ تَعَلَّمَهَا

مِمَّنْ كَانَ يَعِيشُ مِنْ أَهْلِهَا عَبِيدَاً أَوْ مُرْتَحِلِينَ وَرُبَمَا كَانَ بَعْضُهُمْ مِنَ المُسْلِمِينَ كَبِلَالٍ، وَسَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

مَعَ الخليفة الصِّدِّيق رضي الله عنه

لَمَّا تُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، اجْتَمَعَ الأَنْصَارُ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَأَرَادُوا بَيْعَةَ سَعْدِ بنِ عُبَادَةَ الأَنْصَارِيِّ، وَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ مِنَ المُهَاجِرِينَ، وَدَخَلُوا السَّقِيفَةَ، وَجَرَتْ أَحَادِيثُ حَوْلَ الخِلافَةِ، وَعُرِضَتْ آرَاءٌ. وَتَمَسَّكَ الأَنْصَارُ بِمَوْقِفِهِمْ فِي بِدَايَةِ الأَمْرِ. ثُمَّ تَكَلَّمَ زَيْدُ بنُ ثَابِتٍ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، كَانَ مِنَ المُهَاجِرِينَ، وَإِنَّ الإِمَامَ يَكُونُ مِنَ المُهَاجِرِينَ، وَنَحْنُ أَنْصَارُهُ كَمَا كُنَّا أَنْصَارَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَسَبَقَ أَنْ قَالَ مِثْلُ ذَلِكَ بَشِيرُ بنُ سَعْدٍ، وَأُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ. فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالَ: جَزَاكُمُ اللَّهُ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ خَيْراً، وَثَبَّتَ قَائِلَكُمْ، وَوَاللَّهِ لَوْ قُلْتُمْ غَيْرَ ذَلِكَ لَمَا صَالَحْنَاكُمْ. فَبَايَعَ عُمَرُ أَبَا بَكْرٍ، وَبَايَعَ بَشِيرُ بنُ سَعْدٍ، وَأُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ، وَهَبَّ مَنْ فِي السَّقِيفَةِ يُبَايِعُونَ، فَأَخَذَ زَيْدُ بنُ ثَابِتٍ بِيَدِ أَبِي بَكْرٍ، وَقَالَ: هَذَا صَاحِبُكُمْ فَبَايِعُوهُ، فَبَايَعَ الجَمِيعُ إِلاَّ سَعْدَ بنَ عُبَادَةَ

لِمَرَضِهِ، وَمَوْقِفِهِ.

وَشَارَكَ زَيْدٌ فِي قِتَالِ المُرْتَدِّينَ، وَجُرِحَ فِي مَعْرَكَةِ اليَمَامَةِ الَّتِي قُتِلَ فِيْهَا عَدُوُّ اللَّهِ مُسَيْلَمَةُ الكَذَّابُ، وَهُزِمَ بَنُو حَنِيفَةَ.

وَعَادَ زَيْدٌ إِلَى المَدِينَةِ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الشُّورَى، فَكَانَ الصِّدِّيقُ إِذَا نَزَلَ بِهِ أَمْرٌ يُرِيدُ بِهِ مَشُورَةَ أَهْلِ الرَّأْيِ وَالفِقْهِ دَعَا رِجَالاً مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، فَدَعَا عُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَعَلِيّاً، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بنَ عَوْفٍ، وَمُعَاذَ بنَ جَبَلٍ، وَأُبَيَّ بنَ كَعْبٍ، وَزَيْدَ بنَ ثَابِتٍ.

وَعَمِلَ زَيْدٌ أَيَّامَ أَبِي بَكْرٍ عَلَى جَمْعِ القُرْآنِ الكَرِيمِ، وَقَدْ كَانَ مَكْتُوباً كُلُّهُ أَيَّامَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَمُرَتَّباً فِي مَوَاضِعِهِ لأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، كَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ شَيْءٌ يَدْعُو بَعْضَ كَتَبَةِ الوَحْيِ فَيَقُولُ لَهُ: «ضَعْ هَذَا فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيْهَا كَذَا وَكَذَا» وَيُحَدِّدُ ﷺ المَوْضِعَ الَّذِيْ تُوضَعُ فِيْهِ. وَانْتَقَلَ رَسُولُ اللَّهِ، عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَلَمْ يَكُنِ القُرْآنُ مَجْمُوعَاً عِنْدَ وَاحِدٍ مِنَ الكَتَبَةِ أَوْ عِنْدَ أَحَدِ الصَّحَابَةِ. بَلْ كَانَ عِنْدَ عَدَدٍ مِنْهُمْ، وَمَحْفُوظَاً فِي صُدُورِ عَدَدٍ مِنَ القُرَّاءِ.

فَلَمَّا كَانَتْ مَعْرَكَةُ اليَمَامَةِ وَاسْتَحَرَّ القَتْلُ بِالقُرَّاءِ تَنَبَّهَ

المُسْلِمُونَ إِلَى ضَرُورَةِ جَمْعِ القُرْآنِ. وَيُرْوَى أَنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سَأَلَ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، فَقِيلَ لَهُ: كَانَتْ مَعَ فُلَانٍ فَقُتِلَ يَوْمَ اليَمَامَةِ، فَقَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَأَشَارَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ بِجَمْعِ القُرْآنِ، فَأَجَابَهُ أَبُو بَكْرٍ لِمَا اقْتَرَحَ، وَاخْتَارَ زَيْداً لِيَقُومَ بِالجَمْعِ، وَفِي ذَلِكَ يَرْوِي زَيْدُ فَيَقُولُ: أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ إِثْرَ مَقْتَلِ أَهْلِ اليَمَامَةِ، فَإِذَا عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ عِنْدَهُ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي، فَقَالَ: إِنَّ القَتْلَ قَدِ اسْتَحَرَّ يَوْمَ اليَمَامَةِ بِقُرَّاءِ القُرْآنِ، وَإِنِّي أَخْشَى إِنِ اسْتَحَرَّ القَتْلُ بِالقُرَّاءِ بِالمَوَاطِنِ، فَيَذْهَبُ كَثِيرٌ مِنَ القُرْآنِ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ القُرْآنِ.

قُلْتُ لِعُمَرَ: كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئَاً لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟.

قَالَ عُمَرُ: هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِذَلِكَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ.

قَالَ زَيْدٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌ عَاقِلٌ لاَ نَتَّهِمُكَ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، فَتَتَبَّعِ القُرْآنَ فَاجْمَعْهُ.

فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الجِبَالَ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ القُرْآنِ.

قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئَاً لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟.

قَالَ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. فَتَتَبَّعْتُ القُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ العُسُبِ واللِّخَافِ[1] وَصُدُورِ الرِّجَالِ، حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الأَنْصَارِيِّ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ حَتَّى آخِرِ السُّورَةِ. فَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ.

وَاخْتِيرَ زَيْدٌ لِأَنَّهُ كَانَ أَحَدَ الأَرْبَعَةِ الَّذِينَ حَفِظُوا القُرْآنَ فِي صُدُورِهِمْ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ، عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَهُمْ: أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ، وَمُعَاذُ بنُ جَبَلٍ، وَزَيْدُ بنُ ثَابِتٍ، وَأَبُو زَيْدٍ.

وَكَانَتِ الطَّرِيقَةُ الَّتِي اتَّبَعَهَا زَيْدٌ فِي جَمْعِ القُرْآنِ أَنَّهُ لاَ يُثْبِتُ شَيْئَاً إِلاَّ إِذَا كَانَ مَكْتُوبَاً بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَمَحْفُوظَاً

---

(١) اللخاف: الحجارة البيض الرقاق.

مِنَ الصَّحَابَةِ، فَكَانَ لاَ يَكْتَفِي بِالْحِفْظِ دُونَ الكِتَابَةِ خَوْفَاً مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي الْحِفْظِ خَطَأٌ أَوْ وَهْمٌ. وَلاَ يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ شَيْئَاً إِلاَّ إِذَا أَتَى مَعَهُ شَاهِدَانِ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مَكْتُوبَاً بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَأَنَّهُ مِنَ الوُجُوهِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا القُرْآنُ. هَذَا رَغْمَ حِفْظِ زَيْدٍ لِكِتَابِ اللَّهِ كُلِّهِ. وَكَانَ لاَ يُثْبِتُ مَا حَفِظَهُ هُوَ فَقَطْ حَتَّى يَتَأَكَّدَ مِنْهُ وَمِنْ إِثْبَاتِهِ بِمَا هُوَ مَكْتُوبٌ.

وَيُذْكَرُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ لِعُمَرَ وَلِزَيْدٍ: اقْعُدَا عَلَى بَابِ المَسْجِدِ، فَمَنْ جَاءَكُمَا بِشَاهِدَيْنِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَاكْتُبَاهُ.

وَلَمَّا أَكْمَلَ زَيْدٌ مَا أُمِرَ بِهِ، وَانْتَظَمَ المُصْحَفُ كُلُّهُ فِي الصُّحُفِ وَالأَوْرَاقِ، سَلَّمَهُ إِلَى الخَلِيفَةِ الصِّدِّيقِ، فَبَقِيَ عِنْدَهُ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ.

وَشَارَكَ فِي جَمْعِ القُرْآنِ الصَّحَابَةُ، فَكُلُّ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنَ القُرْآنِ جَاءَ بِهِ إِلَى زَيْدٍ سَوَاءٌ أَكَانَ مَكْتُوبَاً أَمْ مَحْفُوظَاً. وَهَكَذَا جُمِعَ القُرْآنُ فِي مَكَانٍ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُفَرَّقَاً فِي الرِّقَاعِ وَالعُسُبِ.

وَسَارَ زَيْدٌ أَيَّامَ أَبِي بَكْرٍ مَعَ جُيُوشِ الفَتْحِ مُجَاهِدَاً فِي سَبِيلِ

اللَّهِ، وَشَهِدَ اليَرْمُوكَ، وَهُوَ الَّذِي تَوَلَّى قِسْمَةَ الغَنَائِمِ مِنْهَا بَيْنَ المُسْلِمِينَ.

بَقِيَتْ مَكَانَةُ زَيْدٍ عَالِيَةً أَيَّامَ الفَارُوقِ، إِذْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشُّورَى، وَمِنَ الَّذِينَ يُسْأَلُونَ، وَيَقْضُونَ. وَقَدْ فَرَّقَ عُمَرُ الصَّحَابَةَ فِي البُلْدَانِ وَنَهَاهُمْ أَن يُفْتُوا بِرَأْيِهِمْ، وَحَبَسَ زَيْدَ بنَ ثَابِتٍ بِالمَدِينَةِ يُفْتِي أَهْلَهَا، وَغَيْرَهُمْ مِمَّنْ يَقْدُمُ عَلَيْهَا.

وَإِذَا خَرَجَ عُمَرُ مِنَ المَدِينَةِ، وَلَمْ يَسْتَخْلِفْ عَلِيّاً عَلَيْهَا اسْتَخْلَفَ زَيْداً. فَقَدِ اسْتَخْلَفَهُ عِنْدَمَا حَجَّ فِي عَامَيْ ١٦ و ٢١ هـ، وَعِنْدَمَا اعْتَمَرَ وَعَمِلَ عَلَى تَوْسِعَةِ المَسْجِدِ الحَرَامِ عَامَ ١٧ هـ، وَقَدْ بَقِيَ عُمَرُ بِمَكَّةَ عِشْرِينَ يَوْماً.

وَأَرْسَلَهُ فِي مُهِمَّةٍ دَقِيقَةٍ إِلَى فَدَكَ مَعَ أَبِي الهَيْثَمِ بنِ التَّيِّهَانِ، وَسَهْلِ بنِ أَبِي خَيْثَمَةَ لِتَقْوِيمِ نِصْفِ أَرْضِهَا، فَدَفَعَ عُمَرُ لِلْيَهُودِ قِيمَةَ ذَلِكَ النِّصْفِ، وَأَجْلاَهُمْ إِلَى الشَّامِ. وَذَلِكَ أَنَّ النِّصْفَ الثَّانِي كَانَ أَهْلُهَا قَدْ صَالَحُوا عَلَيْهِ مَحَيِّصَةَ بنَ مَسْعُودٍ الَّذِي بَعَثَهُ

إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، بَعْدَ فَتْحِ خَيْبَرَ. فَكَانَ ذَلِكَ النِّصْفُ خَالِصاً لِرَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، حَيْثُ حَصَلَ عَلَيْهِ دُونَ أَنْ يُسَيِّرَ عَلَيْهِ خَيْلاً وَلاَ رِكَاباً، وَلاَ أَصَابَ المُسْلِمِينَ فِي ذَلِكَ تَعَبٌ فِي قِتَالٍ ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ... ﴿٦﴾﴾[1].

كَانَ مَا جَمَعَهُ زَيْدٌ مِنَ القُرْآنِ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ، فَلَمَّا تُوفِّيَ أَبُو بَكْرٍ وَآلَتِ الخِلاَفَةُ إِلَى عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، انْتَقَلَتِ الرِّقَاقُ وَالأَلْوَاحُ إِلَى الخَلِيفَةِ الجَدِيدِ، وَأَرَادَ عُمَرُ أَنْ يُعِيدَ الجَمْعَ كَنَوْعٍ مِنَ التَّثَبُّتِ، وَالتَّدْقِيقِ، وَرَأَى أَنْ تُعَادَ الكِتَابَةُ مِنْ جَدِيدٍ لِتَكُونَ كُلُّهَا بِلَهْجَةِ قُرَيْشٍ، وَبَدَأَ نَافِعُ بنُ طَرِيفٍ بِالكِتَابَةِ حَسْبَ أَمْرِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ، غَيْرَ أَنَّ المَنِيَّةَ قَدْ عَاجَلَتِ الخَلِيفَةَ، فَطُعِنَ، وَتَوَقَّفَ العَمَلُ بِالجَمْعِ وَالكِتَابَةِ.

وَبَقِيَتْ رِقَاقُ القُرْآنِ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بَعْدَ وَفَاةِ وَالِدِهَا.

---

(١) سورة الحشر/ الآية: ٦.

مَعَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ ذِي النُّورَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

آلَتِ الخِلاَفَةُ إِلَى عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ، وَتَابَعَتِ الفُتُوحُ خَطَّ سَيْرِهَا تُقَوِّضُ مَعَالِمَ الكُفْرِ وَالوَثَنِيَّةِ، وَغَزَا حَبِيبُ بنُ مَسْلَمَةَ الفِهْرِيُّ أَرْمِينْيَا، وَكَانَ مَعَهُ حُذَيْفَةُ بنُ اليَمَانِ، الَّذِي كَانَ قَدْ صَالَحَ أَهْلَ أَرْمِينْيَا أَيَّامَ خِلاَفَةِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، إِلاَّ أَنَّهُمْ لَمْ يَلْبَثُوا أَنْ مَنَعُوا مَا عَاهَدُوا عَلَيْهِ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ حَبِيبُ بنُ مَسْلَمَةَ مِنْ نَاحِيَةِ الغَرْبِ، فَاجْتَمَعَ لَهُ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْ جُنْدِ الرُّومِ فَخَافَهُمْ وَطَلَبَ النَّجْدَةَ، فَأَنْجَدَهُ الوَلِيدُ بنُ عُقْبَةَ مِنَ الكُوفَةِ بِمَدَدٍ عَلَيْهِ سَلْمَانُ بنُ رَبِيعَةَ البَاهِلِيُّ. فَالتَقَى أَهْلُ الشَّامِ وَأَهْلُ العِرَاقِ بِهَذَا الغَزْوِ. فَوَجَدَ حُذَيْفَةُ بنُ اليَمَانِ خِلاَفاً فِي لَفْظِ بَعْضِ كَلِمَاتِ كِتَابِ اللَّهِ بَيْنَ أَهْلِ المِصْرَيْنِ، إِذْ كَانَ أَهْلُ الكُوفَةِ يَقْرَؤُونَ بِقِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ، بَيْنَمَا يَقْرَأُ أَهْلُ الشَّامِ بِقِرَاءَةِ أُبَيِّ بنِ

كَعْبٍ، فَأَخَافَ هَذَا الاخْتِلَافُ فِي القِرَاءَةِ حُذَيْفَةَ بنَ اليَمَانِ، فَقَدِمَ عَلَى الخَلِيفَةِ فِي المَدِينَةِ، وَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ أَدْرِكْ هَـذِهِ الأُمَّـةَ قَبْـلَ أَنْ يَخْتَلِفُـوا فِـي الكِتَـابِ اخْتِـلَافَ اليَهُـودِ وَالنَّصَارَى.

صَعِدَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ المِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا عَهْدُكُمْ بِنَبِيِّـكُمْ، ﷺ، ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، لِمَ أَنْتُمْ تَخْتَلِفُونَ فِي القِرَاءَةِ؟. يَقُولُ أَحَدُكُمْ لِصَاحِبِهِ: مَا تَتِمُّ قَرَاءَتُكَ.

قَالَ: فَعَزَمَ عَلَى كُلِّ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنَ القُرْآنِ إِلاَّ جَاءَ بِهِ، قَالَ: فَجَاءَ النَّاسُ بِمَا عِنْدَهُمْ، فَجَعَلَ يَسْأَلُهُمْ البَيِّنَةَ أَنَّهُمْ سَمِعُوهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ أَعْرَبُ النَّاسِ؟ قَالُوا: زَيْدُ بنُ ثَابِتٍ كَاتِبُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ: فَلْيُمِلَّ سَعِيدُ بنُ العَاصِ، وَلْيَـكْتُبْ زَيْدٌ.

وَقَدْ أَرْسَلَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ إِلَى حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ: أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي المَصَاحِفِ، ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ. فَـأَرْسَلَـتْ بِهَـا حَفْصَـةُ إِلَـى عُثْمَـانَ، فَـأَمَـرَ زَيْـدَ بـنَ ثَـابِـتٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بنَ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدَ بنَ العَاصِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بنَ الحَارِثِ بنِ هِشَامٍ، فَنَسَخُوهَا فِي المَصَاحِفِ. وَقَالَ عُثْمَانُ

لِلْرَّهْطِ القُرَشِيينَ الثَّلاَثَةِ: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ القُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ، فَفَعَلُوا. حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي المَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانَ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، فَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمِصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ القُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ[1].

وَكَانَ أَوَّلُ الأَمْرِ لِزَيْدِ بنِ ثَابِتٍ إِذْ أَمَرَهُ الخَلِيفَةُ عُثْمَانُ أَنْ يَجْمَعَ القُرْآنَ مَرَّةً أُخْرَى، ثُمَّ أَمَرَهُ بِكِتَابَتِهِ فَكَتَبَهُ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ عَرَضَهُ. ثُمَّ شَكَّلَ اللَّجْنَةَ الَّتِي تَكَلَّمْنَا عَنْهَا: زَيْدٌ وَثَلاَثَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ. هَذَا بِالإِضَافَةِ إِلَى ثَلاَثَةٍ مِنْ كُتَّابِ المَدِينَةِ، وَهُمْ نَافِعُ بنُ طَرِيفٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ الوَلِيدِ الخُزَاعِيُّ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبِي لُبَابَةَ، وَكَذَلِكَ أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ، وَكُثَيِّرُ بنُ أَفْلَحَ، وَأَنَسُ بنُ مَالِكٍ، وَمَالِكُ بنُ أَبِي عَامِرٍ جَدُّ إِمَامِ أَهْلِ المَدِينَةِ مَالِكِ بنِ أَنَسٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ عَبَّاسٍ. وَبِذَا أَصْبَحَتِ اللَّجْنَةُ تَضَمُّ اثْنَيْ عَشَرَ صَحَابِيّاً أَرْبَعَةً مِنْ قُرَيْشٍ وَثَمَانِيَةً مِنَ الأَنْصَارِ. وَكَانَ الخَلِيفَةُ يَتَعَاهَدُهُمْ، وَجَعَلَ زَيْداً وَأُبَيَّ بنَ كَعْبٍ يَكْتُبَانِ، وَجَعَلَ سَعِيدَ بنَ

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل القرآن، باب جمع القرآن. فتح الباري ١١/٩.

العَاصِ يُقِيمُ عَرَبِيَّتَهُ، وَالبَاقِي يُسَاعِدُونَ.

وَإِنَّمَا أُقِيمَتْ عَرَبِيَّةُ القُرْآنِ عَلَى لِسَانِ سَعِيدِ بنِ العَاصِ لِأَنَّهُ كَانَ أَشْبَهَهُمْ لَهْجَةً بِرَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَقَدْ أَدْرَكَ تِسْعَ سَنَوَاتٍ مِنْ حَيَاةِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

زَيْدٌ وَالفِتْنَةُ:

رَأَى أَعْدَاءُ الإِسْلَامِ مَا حَقَّقَ المُسْلِمُونَ من انْتِصَارَاتٍ، وَمَا تَمَّ عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنْ فُتُوحَاتٍ فِي عَهْدِ عُثْمَانَ، فَتَحَرَّكَتْ أَحْقَادُ الأَعْدَاءِ، وَكَما خَطَّطُوا لِقَتْلِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ، عَمِلُوا عَلَى قَتْلِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ، فَأَثَارَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ سَبَأٍ اليَهُودِيُّ الَّذِيْ تَظَاهَرَ بِالإِسْلَامِ فِتْنَةً سَارَ فِيْهَا حَاقِدُونَ، وَجَهَلَةٌ، وَمُغَفَّلُونَ، وَحَاصَرُوا الخَلِيفَةَ فِي دَارِهِ فَجَاءَ زَيْدُ بنُ ثَابِتٍ وَدَخَلَ الدَّارَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: أَنْتَ خَارِجَ الدَّارِ أَنْفَعُ لِي مِنْكَ فِي دَاخِلِهَا، فَخَرَجَ فَكَانَ يَدْفَعُ عَنْهُ. «وَلَمَّا جَاءَتِ الجُمْعَةُ الَّتِي عَلَى أَثَرِ دُخُولِهِمُ المَدِينَةَ خَرَجَ عُثْمَانُ فَصَلَّى بِالنَّاسِ، ثُمَّ قَامَ عَلَى المِنْبَرِ فَقَالَ: يَا هَؤُلَاءِ. اللَّهَ. اللَّهَ فَوَاللَّهِ إِنَّ أَهْلَ المَدِينَةِ لَيَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ مَلْعُونُونَ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ، ﷺ، فَامْحُوا الخَطَأَ بِالصَّوَابِ. فَقَامَ مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ: أَنَا أَشْهَدُ بِذَلِكَ فَأَقْعَدَهُ حَكِيمُ بنُ جَبَلَةَ. وَقَامَ زَيْدُ بنُ ثَابِتٍ فَأَقْعَدَهُ مُحَمَّدُ بنُ أَبِي قُتَيْرَةَ،

وَثَارَ القَوْمُ بِأَجْمَعِهِمْ فَحَصَبُوا النَّاسَ حَتَّى أَخْرَجُوهُمْ مِنَ المَسْجِدِ، وَحَصَبُوا عُثْمَانَ حَتَّى صُرِعَ عَنِ المِنْبَرِ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، فَأُدْخِلَ دَارَهُ، وَاسْتَقْتَلَ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ مَعَ عُثْمَانَ مِنْهُمْ سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَالحُسَيْنُ بنُ عَلِيٍّ، وَزَيْدُ بنُ ثَابِتٍ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ عُثْمَانُ يَعْزِمُ عَلَيْهِمْ بِالانْصِرَافِ فَانْصَرَفُوا. وَأَقْبَلَ عَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ فَدَخَلُوا عَلَى عُثْمَانَ يَعُودُونَهُ مِنْ صَرْعَتِهِ، وَيَشْكُونَ إِلَيْهِ مَا يَجِدُونَ»[1].

وَقُتِلَ عُثْمَانُ شَهِيدًا، وَدُفِنَ فِي أَيَّامٍ عَابِسَةٍ كَئِيبَةٍ وَحَضَرَ جَنَازَتَهُ عَلِيٌّ، وَالزُّبَيْرُ، وَطَلْحَةُ، وَالحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ، وَزَيْدُ بنُ ثَابِتٍ، وَكَعْبُ بنُ مَالِكٍ، وَصَلَّى عَلَيْهِ جُبَيْرُ بنُ مُطْعِمٍ، وَقِيلَ: حَكِيمُ بنُ حِزَامٍ.

وَكَانَ زَيْدٌ عَلَى الدِّيوَانِ وَبَيْتِ المَالِ أَيَّامَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) الكامل: ابن الأثير ٣/ ٨١ دار الكتاب العربي ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ.

تَـأَثَّـرَ زَيْـدُ بـنُ ثَـابِـتٍ، رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ، لِمَقْتَـلِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لِذَا قَرَّرَ اعْتِـزَالَ الفِتْنَـةِ، وَلَـمْ يُبَـايِـعْ أَمِيـرَ المُـؤْمِنِيـنَ عَلِـيَّ بـنَ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَلَكِنْ لاَ يَعْنِي عَدَمُ البَيْعَةِ مُخَالَفَتَهُ وَالوُقُوفَ ضِدَّهُ وَإِنَّمَا كَانَ يَحْتَرِمُهُ وَيُعْطِيهِ قَدْرَهُ، وَيَعْرِفُ لَهُ مَكَانَتَهُ وَدَوْرَهُ فِي الإِسْلاَمِ. وَفِي الوَقْتِ نَفْسِهِ لَمْ يَكُنْ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ يَنْظُر لِزَيْدٍ أَيَّةَ نَظْرَةِ سُوءٍ لِعَدَمِ مُبَايَعَتِهِ بَلْ لَمْ يَعُدَّ ذَلِكَ شَيْئَاً، وَبَقِيَ زَيْدٌ فِي المَدِينَةِ يَسْأَلُهُ المُسْلِمُونَ وَيَأْخُذُونَ بِرَأْيِهِ سَوَاءٌ فِي الأَيَّامِ الَّتِي كَانَ فِيْهَا أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ فِي المَدِينَةِ أَمْ فِي الأَيَّامِ الَّتِي خَرَجَ فِيْهَا مِنَ المَدِينَةِ. فَالخِلاَفُ فِي الرَّأْيِ لاَ يُفْسِدُ الوُدَّ.

وَقُتِلَ عَلِيٌّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، شَهِيداً، وَزِيْدٌ فِي المَدِينَةِ لَمْ يَخْرجْ مَعَهُ، وَلاَ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا يُؤَدِّي دَوْرَهُ بِالعِلْمِ الَّذِيْ آتَاهُ اللَّهُ.

مَعَ الخَليفَةِ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

تَنَازَلَ الحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، لِمُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأَصْلَحَ بِذَلِكَ بَيْنَ المُسْلِمِينَ، وَأَعَادَ لَهُمُ الوَحْدَةَ فِي صَفِّهِمْ، وَلَمْ يَتَبَدَّلْ مَوْقِفُ زَيْدٍ. إِذْ بَقِيَ فِي المَدِينَةِ لِلْعِلْمِ، وَكَانَ أُمَرَاءُ مُعَاوِيَةَ عَلَى المَدِينَةِ يَسْأَلُونَ زَيْداً، وَيَسْتَشِيرُونَهُ فَيُقَدِّمُ لَهُمُ النُّصْحَ، وَيُعْطِيهِمُ العِلْمَ، وَيُبْدُونَ لَهُ الاحْتِرَامَ.

وَتُوفِّيَ زَيْدٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَامَ ٤٥ هـ، وَمَرْوَانُ بنُ الحَكَمِ أَمِيرُ المَدِينَةِ، فَصَلَّى مَرْوَانُ عَلَى زَيْدٍ. وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ لَمَّا دُفِنَ زَيْدٌ: هَكَذَا يَذْهَبُ العِلْمُ[١].

تُوفِّيَ زَيْدٌ، وَعُمْرُهُ سِتٌّ وَخَمْسُونَ سَنَةً، إِذْ وُلِدَ فِي السَّنَةِ الحَادِيَةَ عَشَرَةَ قَبْلَ الهِجْرَةِ، وَتُوفِّيَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ.

---

(١) طبقات ابن سعد ٢/ ٣٦١.

أُسْرَةُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

تَزَوَّجَ زَيْدٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أُمَّ جَمِيلٍ بِنْتَ المُجَلِّلِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ العَامِرِيِّ، وَكَانَتْ قَدْ أَسْلَمَتْ قَدِيماً، وَهَاجَرَتْ إِلَى الحَبَشَةِ مَعَ زَوْجِهَا حَاطِبِ بنِ الحَارِثِ الجُمَحِيِّ، وَأَنْجَبَتْ لَهُ فِي الحَبَشَةِ وَلَدَيْنِ هُمَا: مُحَمَّدٌ، وَالحَارِثُ، وَتُوفِّيَ زَوْجُهَا فِي الحَبَشَةِ، وَانْتَقَلَتْ بَعْدَهَا مَعَ وَلَدَيْهَا إِلَى المَدِينَةِ، فَتَزَوَّجَهَا زَيْدٌ، وَعَاشَ وَلَدَا زَوْجَتِهِ فِي كَنَفِهِ، فَأَحْسَنَ تَرْبِيَتَهُمَا، كَمَا رَعَاهُ زَوْجُ أُمِّهِ عُمَارَةُ بنُ حَزْمٍ. وَأَنْجَبَتْ أُمُّ جَمِيلٍ لِزَيْدٍ وَلَدَهُ سَعِيداً، وَبِهِ يُكَنَّى.

وَتَزَوَّجَ زَيْدٌ أَيْضاً أُمَّ سَعْدٍ بِنْتَ سَعْدِ بنِ الرَّبِيعِ، وَقَدِ اسْتُشْهِدَ وَالِدُهَا فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ فَرَعَاهَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَتَّى تَزَوَّجَهَا زَيْدٌ. فَأَنْجَبَتْ لِزَيْدٍ خَارِجَةَ، وَبِهِ يُكَنَّى أَيْضاً، وَسُلَيْمَانَ، وَيَحْيَى، وَعُمَارَةَ، وَإِسْمَاعِيلَ، وَأَسْعَدَ، وَعُبَادَةَ، وَإِسْحَاقَ، وَحَسَنَةَ، وَعَمْرَةَ، وَأُمَّ إِسْحَاقَ، وَأُمَّ كُلْثُومٍ.

وَتَزَوَّجَ عَمْرَةَ بِنْتَ مُعَاذِ بنِ أَنَسٍ فَأَنْجَبَتْ لَهُ: إِبْرَاهِيمَ، وَمُحَمَّداً، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَأُمَّ حَسَنٍ.

وَلِزَيْدٍ مِنَ الأَوْلاَدِ أَيْضاً: زَيْدٌ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ، وَأُمُّ كُلْثُوم، وَسُلَيْطُ، وَعِمْرَانُ، وَالْحَارِثُ، وَثَابِتُ، وَصَفِيَّةُ، وَقُرَيْبَةُ، وَأُمُّ مُحَمَّدٍ، وَهُمْ مِنْ أُمَّهَاتِ وَلَدٍ.

وَنَبَغَ مِنْ أَوْلاَدِهِ «خَارِجَةُ» الَّذِيْ وُلِدَ عَامَ ٣٠ هـ، وَكَانَ أَحَدَ الفُقَهَاءِ السَّبْعَةِ فِي المَدِينَةِ، وَحَدَّثَ عَنْ أَبِيهِ، وَعَنْ أُمِّهِ، وَعَنْ أُسَامَةَ بنِ زَيْدٍ. وَقَدْ تُوفِّيَ عَامَ ١٠٠ هـ.

بُنَاة دَوْلَةِ الإِسْلام

٧٠

أُبَيُّ بن كَعْبٍ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد بن عبد الله، وعلى إخوانه رسل الله وأنبيائه، وعلى آله وصحبه، ومن سار على دربه إلى يوم الدين.

أما بعد، فعن عائشة، رضي الله عنها، أنَّ النبيّ، ﷺ، قال: «إنَّ الله يحبُّ إذا عمل أحدكم عملاً أن يُتقنه». فقد انصرف أُبَيّ بن كعبٍ، رضي الله عنه، إلى حفظ القرآن، ودراسته حتى أتقنه، وبذلَ جهده في تعليمه فأجاد، وفي الوقت نفسه لم ينسَ واجباته في مجالات العمل الإسلامي الأُخرى من الجهاد وغيره، وبهذا الإتقان استطاع أن يكون عنصر بناءٍ من عناصر الأمَّة الفعّالة، فنهضت الأمَّة، وارتفع شأنها عالياً، فأدَّت دورها، وقدَّمت خيراً كبيراً للناس جميعاً.

وعلى المسلم الذي يريد العزّة لأمته اليوم، ويرغب للناس الخير أن يُتقن عمله خير الإتقان حتى يبرز، ويكون في طليعة العاملين في الميدان نفسه، وعليه أن يبذل جهده ليُؤدّي دوره، ويكون في رأس قائمة المتفوّقين، يُرجع إليه في اختصاصه،

ويُشار إليه في عمله، ويكون عنصر بناءٍ في المجتمع، ومن هؤلاء المسلمين تعمّ الفائدة، وينعم الناس بالسعادة، ويخرجون من ظلمات الظلم والطغيان، ومن كابوس الجهالة، وتظهر الحقائق واضحةً فيُشرق نور الإسلام على العالم، ويعمّ الخير، ويعيش العباد في الضياء كما أراد الله لهم. في الوقت الذي يعمل فيه الطغاة وأصحاب المصالح والشهوات على إخفاء الحقائق وطمسها كي يخيّم الظلام ليرتعوا في العتمة كما يحلو لهم.

نسأل الله أن نُوفّق في إعطاء لمحةٍ موجزةٍ عن حياة الصحابي الجليل أُبَيٍّ بن كعبٍ الذي اهتدى كإخوانه الصحابة بهدي رسول الله، ﷺ، فأتقن عمله، فكان عنصر بناءٍ في دولة الإسلام.

والله وحده الهادي إلى سواء السبيل، وهو نعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

هُوَ أُبَيُّ بنُ كَعْبِ بنِ قَيْسِ بنِ عُبَيْدِ بنِ زَيْدِ بنِ مُعَاوِيَةَ بنِ عَمْرِوِ بنِ مَالِكِ بنِ النَّجَّارِ.

وَأُمُّهُ صُهَيْلَةُ بِنْتُ الأَسْوَدِ بنِ حَرَامِ بنِ عَمْرِو مِنْ بَنِي مَالِكِ بنِ النَّجَّارِ. فَأَبُوهُ وَأُمُّهُ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، وَهُمْ خَيْرُ دُورِ الأَنْصَارِ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ: «خَيْرُ دُورِ الأَنْصَارِ بَنُو النَّجَّارِ»(١).

تَعَلَّمَ أُبَيُّ الكِتَابَةَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَتْ قَلِيلَةً عِنْدَ العَرَبِ، فَلَمَّا جَاءَ الإِسْلَامُ، كَانَ أُبَيُّ أَحَدَ الَّذِينَ كَتَبُوا الوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَصَرَفُوا جُهْدَهُمْ لِقِرَاءَةِ القُرْآنِ، وَحِفْظِهِ، وَتَعَلُّمِهِ.

إِسْلَامُ أُبَيٍّ:

بَعْدَ بَيْعَةِ العَقَبَةِ الأُولَى وَقَبْلَ الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ بِسَنَتَيْنِ أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، مَعَ مَنْ بَايَعَ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ مُصْعَبَ بنَ عُمَيْرٍ، يُعَلِّمُهُمُ الإِسْلَامَ، وَيَدْعُو لَهُ، وَيُفَقِّهُهُمْ فِي الدِّينِ، فَنَزَلَ

(١) متفق عليه.

مُصْعَبٌ فِي المَدِينَةِ عَلَى أَسْعَدِ بنِ زُرَارَةَ، وَفِي هَذِهِ الأَثْنَاءِ أَسْلَمَ أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ، وَانْصَرَفَ إِلَى قِرَاءَةِ القُرْآنِ وَدِرَاسَتِهِ.

وَاسْتَدَارَ العَامُ، وَرَجَعَ مُصْعَبٌ إِلَى مَكَّةَ، وَجَاءَ المَوْسِمُ، وَاسْتَعَدَّ الحُجَّاجُ، وَتَهَيَّأَ أُبَيٌّ لِلْحَجِّ إِذْ كَانَتْ نَفْسُهُ تَتُوقُ لِرُؤْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ. وَفِي المَوْسِمِ وَاعَدَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، مُسْلِمِي المَدِينَةِ العَقَبَةَ، مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ لَيْلاً بَعْدَ الثُّلْثِ مِنْهُ، وَتَمَّ اللِّقَاءُ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ العَقَبَةِ الثَّانِيَةِ، وَهِيَ بَيْعَةُ الحَرْبِ، وَكَانَ الأَنْصَارُ ثَلاَثَةً وَسَبْعِينَ رَجُلاً، مِنْهُمُ اثْنَانِ وَسِتُّونَ مِنَ الخَزْرَجِ مِنْ بَيْنِهِمْ أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ، وَأَحَدَ عَشَرَ مِنَ الأَوْسِ، وَمَعَ الرِّجَالِ امْرَأَتَانِ مِنَ الخَزْرَجِ.

وَغَمَرَتِ الفَرْحَةُ قَلْبَ أُبَيٍّ بِلِقَائِهِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَشَعَرَ بِالسَّعَادَةِ، وَتَمَنَّى لَوْ طَالَ المَوْسِمُ، وَلَـكِنْ انْتَهَى، وَلَمْ يَلْبَثِ الرَّكْبُ أَنِ ارْتَحَلَ، وَسَارَ مَعَهُ أُبَيٌّ، غَيْرَ أَنَّ نَفْسَهُ ارْتَبَطَتْ بِمَكَّةَ لِوُجُودِ مَنْ يَسْكُنْ فِيْهَا.

وَرَجَعَ الأَنْصَارُ إِلَى مَوْطِنِهِمْ، وَأَخَذُوا يَعْمَلُونَ بِالدَّعْوَةِ لِلإِسْلاَمِ، وَنَشْرِهِ، وَكَانَ أُبَيٌّ إِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ يَعْمَلُ عَلَى الحِفْظِ وَالدِّرَاسَةِ لِمَا نَزَلَ عَلَى قَلْبِ رَسُولِ اللَّهِ.

وَوَصَلَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، إِلَى المَدِينَةِ مُهَاجِراً، وَكَانَ أَهْلُهَا فِي فَرْحَةٍ لاَ تُوصَفُ، وَنَزَلَ الرَّسُولُ، ﷺ، فِي دَارِ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ، خَالِدِ بنِ زَيْدٍ، وَهُوَ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ أَيْضاً، وَالحَيُّ وَاحِدٌ.

كَانَ أُبَيٌّ يَتَرَدَّدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، شَوْقاً وَمَحَبَّةً، وَلِكِتَابَةِ الوَحْيِ، وَلِسَمَاعِ القُرْآنِ مِنْهُ، وَكَانَ القُرْبُ يُسَاعِدُهُ عَلَى ذَلِكَ.

جِهَادُ أُبَيٍّ:

شَهِدَ أُبَيٌّ بَدْراً وَأُحُداً، وَالمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ حَوَادِثُ بَارِزَةٌ، وَهَذَا مَا جَعَلَ بَعْضَهُمْ يُغْفِلُونَ دَوْرَهُ فِي الجِهَادِ، وَيَظُنُّونَ أَنَّ انْصِرَافَهُ إِلَى القُرْآنِ قَدْ شَغَلَهُ عَنِ الجِهَادِ، وَنَسُوا الإِيمَانَ، وَحُبَّ الشَّهَادَةِ، وَالرَّغْبَةَ فِي كَسْبِ الأَجْرِ، كَمَا نَسُوا أَنَّهُ لاَ يَحِقُّ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنِ الجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، دُونَ عُذْرٍ قَاهِرٍ ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾[1].

وَأُبَيُّ بنُ كَعْبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَكُلِّ مُسْلِمٍ حَرِيصٌ عَلَى طَلَبِ

(١) سورة التوبة/ الآية: ١٢٠.

الشَّهَادَةِ وَنَوَالِ الأَجْرِ، وَرُبَّمَا يَـكُونُ عَلَى دَرَجَةٍ أَكْبَرَ لأَنَّهُ يَعِيشُ مَعَ القُرْآنِ فَيَسْتَشْعِرُ بِالجَنَّةِ وَمَا فِيْهَا مِنْ نَعِيمٍ فَيَرَى أَنَّ الشَّهَادَةَ أَقْرَبُ طَرِيقٍ مُوصِلٍ إِلَيْهَا، وَأَقْوَى وَسِيلَةٍ مُبْعِدَةٍ عَنِ النَّارِ وَمَا فِيْهَا مِنْ خِزْيٍ وَذُلٍّ وَعَذَابٍ. لِذَا فَأُبَيُّ بنُ كَعْبٍ قَدْ شَهِدَ المَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَلَكِنْ حَجَبَهُ عَنِ الرُّؤْيَةِ مَا قَامَ بِهِ غَيْرُهُ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْ أَدْوَارٍ بَارِزَةٍ أَظْهَرَتْهُمْ وَحَجَبَتْهُ.

زَوَاجُ أُبَيٍّ:

وَيَبْدُو أَنَّ انْصِرَافَهُ إِلَى القُرْآنِ قَدْ شَغَلَهُ فِعْلاً عَنِ الزَّوَاجِ، حَيْثُ تَأَخَّرَ عَنِ السِّنِّ الَّتِي كَانَ يَتَزَوَّجُ فِي مِثْلِهَا الشَّبَابُ يَوْمَذَاكَ. لَقَدْ تَأَخَّرَ إِلَى مَا بَعْدِ السَّنَةِ السَّابِعَةِ لِلْهِجْرَةِ، وَهِيَ السَّنَةُ الَّتِي جَاءَ فِيهَا الطُّفَيْلُ بنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ مِنْ مَوْطِنِ قَبِيلَتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَعَ سَبْعِينَ أَوْ ثَمَانِينَ بَيْتاً مِنْ دَوْسٍ. وَأَقْرَأَ أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ القُرْآنَ لِلطُّفَيْلِ بنِ عَمْرٍو، وَكَانَتْ بَيْنَهُمَا صِلَةٌ. وَكَانَ قَدْ قَارَبَ الثَّلاَثِينَ مِنَ العُمْرِ. فَتَزَوَّجَ أُبَيُّ ابْنَةَ الطُّفَيْلِ، وَهِيَ أُمُّ الطُّفَيْلِ فَأَنْجَبَتْ لَهُ الطُّفَيْلَ، وَمُحَمَّداً. كَمَا كَانَتْ لَهُ ابْنَةٌ هِيَ أُمَّ عَمْرٍو بِنْتُ أُبَيٍّ مِنْ أُمِّ وَلَدٍ. وَيُكَنَّى بِاسْمِ وَلَدِهِ البِكْرِ الطُّفَيْلِ، وَيُطْلِقُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ «أَبَا المُنْذِرِ».

كَانَتْ أُم الطُّفَيْلِ امْرَأَةً ذَاتَ عِلْمٍ، وَلاَ غَرَابَةَ فِي ذَلِكَ فَهِيَ

تَعِيشُ فِي بَيْتِ أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ. فَقَدْ رَوَتْ بَعْضَ الأَحَادِيثِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَنَاقَشَتْ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي زَوَاجِ الحَامِلِ الَّتِي تُوفِّي عَنْهَا زَوْجُهَا. فَقَالَتْ: تَتَزَوَّجُ بَعْدَ أَنْ تَضَعَ حَمْلَهَا، وَاسْتَشْهَدَتْ بِـ (سُبَيْعَةَ الأَسْلَمِيَّةِ) الَّتِي تُوفِّيَ عَنْهَا زَوْجُهَا وَهِيَ حَامِلٌ، وَوَضَعَتْ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ، فَأَنْكَحَهَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

مَكَانَةُ أُبَيٍّ:

آخَى رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، بَيْنَ أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ وَبَيْنَ طَلْحَةَ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ أَحَدِ المُبَشَّرِينَ بِالجَنَّةِ، وَهُوَ مِنْ سَادَاتِ تَيْمٍ، وَأَشْرَافِ قُرَيْشٍ، وَقِيلَ: بَلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعِيدِ بنِ زَيْدِ بنِ عَمْرِو بنِ نَفِيلِ بنِ عَمِّ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، وَهُوَ أَيْضاً مِنَ المُبَشَّرِينَ بِالجَنَّةِ.

أَقْرَأَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، أُبَيّاً القُرْآنَ. وَرَوَى أَنَسُ بنُ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، دَعَا أُبَيَ بنَ كَعْبٍ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ، قَالَ: اللَّهُ سَمَّانِي لَكَ؟ قَالَ: اللَّهُ سَمَّاكَ لِي. قَالَ: فَجَعَلَ أُبَيٌّ يَبْكِي، قَالَ هَمَّامُ: نُبِّئْتُ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَيْهِ: «لَمْ يَكُن...»[1].

وَيُرْوَى عَنْ أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ أَنَّهُ كَانَ يَخْتِمُ القُرْآنَ فِي ثَمَانِ لَيَالٍ،

(١) طبقات ابن سعد. وسير أعلام النبلاء.

وَكَانَ تَمِيمُ الدَّارِيُّ يَخْتِمُهُ فِي سَبْعٍ[1].

وَلَمَّا سَأَلَ النَّبِيَّ، ﷺ، أُبَيّاً عَنْ أَيِّ آيَةٍ فِي القُرْآنِ أَعْظَمُ، فَقَالَ أُبَيٌّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢٥٥﴾[2] ضَرَبَ النَّبِيُّ، ﷺ، فِي صَدْرِهِ، وَقَالَ: لِيَهْنِكَ العِلْمُ أَبَا المُنْذِرِ[3].

قَالَ عُتْبَةُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَمْرِو بنِ العَاصِ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، فِي يَوْمِ عِيدٍ، فَقَالَ: «ادْعُوا لِي سَيِّدَ الأَنْصَارِ» فَدَعَوْا أُبَيَّ بنَ كَعْبٍ، فَقَالَ: «يَا أُبَيُّ، ائتِ بَقِيعَ المُصَلَّى، فَأْمُرْ بِكَنْسِهِ، وَأْمُرِ النَّاسَ أَنْ يَخْرُجُوا» فَلَمَّا بَلَغَ البَابَ رَجَعَ. قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالنِّسَاءَ؟ فَقَالَ: «وَالعَوَاتِقَ، وَالحُيَّضَ، يَكُنَّ فِي النَّاسِ يَشْهَدْنَ الدَّعْوَةَ»[4].

وَقَالَ أَنَسُ بنُ مَالِكٍ: جَمَعَ القُرْآنَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ مِنَ الأَنْصَارِ: أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ، وَمُعَاذُ بنُ جَبَلٍ، وَزَيْدُ بنُ ثَابِتٍ، وَأَبُو زَيْدٍ أَحَدُ عُمُومَتِي[5].

---

(١) طبقات ابن سعد.

(٢) سورة البقرة/ الآية: ٢٥٥.

(٣) سير أعلام النبلاء.

(٤) المصدر السابق نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ عُمَرُ: أَقْضَانَا عَلِيٌّ، وَأَقْرَؤُنَا أُبَيُّ بنَ كَعْبٍ[١].

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ أُبَيٌّ لِعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ: إِنِّي تَلَقَّيْتُ القُرْآنَ مِمَّنْ تَلَقَّاهُ مِنْ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَهُوَ رَطِبٌ[٢].

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ: «أَقْرَأُ أُمَّتِي أُبَيٌّ»[٣].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو مَرْفُوعاً: اسْتَقْرِئُوا القُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِن ابْنِ مَسْعُودٍ، وَأُبَيٍّ، وَمُعَاذٍ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ.

وَكَانَ عُمَرُ يُجِلُّ أُبَيّاً، وَيَتَأَدَّبُ مَعَهُ، وَيَتَحَاكَمُ إِلَيْهِ.

قَالَ مُعَمَّرُ: عَامَّةُ عِلْمِ ابنِ عَبَّاسٍ مِنْ ثَلاَثَةٍ: عُمَرَ، وَعَليٍّ، وَأُبَيٍّ.

قَالَ أَبُو نَضْرَةَ العَبْدِيُّ: قَالَ رَجُلٌ مِنَّا يُقَالَ لَهُ جَابِرٌ أَوْ جُوَيْبِرُ طَلَبْتُ حَاجَةً إِلَى عُمَرَ وَإِلَى جَنْبِهِ رَجُلٌ أَبْيَضُ الثِّيَابِ وَالشَّعْرِ، فَقَالَ: إِنَّ الدُّنْيَا فِيْهَا بَلاَغُنَا، وَزَادُنَا إِلَى الآخِرَةِ، وَفِيْهَا أَعْمَالُنَا الَّتِي نُجْزَى بِهَا فِي الآخِرَةِ. فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ؟

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

قَالَ: هَذَا سَيِّدُ المُسْلِمِينَ أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ.

وَفَاةُ أُبَيٍّ بن كَعب:

كَانَ أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَبْعَةً، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلاَ بِالقَصِيرِ. نَحِيفاً، أَبْيَضَ الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ. تُوفِّيَ فِي خِلاَفَةِ عُثْمَانَ، سَنَةَ ثَلاَثِينَ مِنَ الهِجْرَةِ، وَهُوَ أَثْبَتُ الأَقَاوِيلِ، وَذَلِكَ أَنَّ عُثْمَانَ جَمَعَ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلاً مِنْ قُرَيْشٍ وَالأَنْصَارِ فِيْهِمْ زَيْدُ بنُ ثَابِتٍ، وَأُبَيُّ بنُ كَعْبٍ فِي جَمْعِ القُرْآنِ. وَهُنَاكَ رُوَايَاتٌ تَقُولُ: إِنَّهُ تُوفِّيَ فِي خِلاَفَةِ عُمَرَ سَنَةَ ١٩ هـ، وَبَعْضُهَا فِي سَنَةِ ٢٢ هـ، وَرِوَايَاتٌ أُخْرَى تَقُولُ: إِنَّهُ تُوفِّيَ فِي خِلاَفَةِ عُثْمَانَ سَنَةَ ٣٢ هـ، وَفِي بَعْضِهَا فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِ عُثْمَانَ فِي الجُمْعَةِ الَّتِي سَبَقَتْ حِصَارَ أَصْحَابِ الفِتْنَةِ لِلْخَلِيفَةِ فِي دَارِهِ.

وَاهْتَزَّ النَّاسُ لِمَوْتِ أُبيٍّ، قَالَ عَوْفُ بنُ أَبِي جَمِيلَةَ: حَدَّثَنِي عُتَيُّ بنُ ضَمْرَةَ قَالَ: رَأَيْتُ أَهْلَ المَدِينَةِ يَمُوجُونَ فِي سِكَكِهِمْ. فَقُلْتُ: مَا شَأْنُ هَؤُلاَءِ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَا أَنْتَ مِنْ أَهْلِ البَلَدِ؟ قُلْتُ: لاَ. قَالَ: فَإِنَّهُ قَدْ مَاتَ اليَوْمَ سَيِّدُ المُسْلِمِينَ أُبيُّ بنُ كَعْبٍ.

المحتوى

كتب للمؤلف

بناة دولة الإسلام ١ - ٧

المجموعة الأُولى: (١ - ١٠)

١ - أبو سُبرة ابن أبي رُهْم.
٢ - أبو سلمة عبد الله المخزومي.
٣ - عبد الله بن جحش.
٤ - الزبير بن العوام.
٥ - زهير ابن أبي أمية.
٦ - سهيل بن عمرو.
٧ - سعد بن معاذ.
٨ - عباد بن بشر.
٩ - محمد بن مسلمة.
١٠ - أُسيد بن الحضير.

المجموعة الثانية: (١١ - ٢٠)

١١ - الفضل بن العباس.
١٢ - جعفر ابن أبي طالب.
١٣ - عبد الله بن الزبير.
١٤ - عبد الله بن حذافة.
١٥ - المقداد بن عمرو.
١٦ - عقيل ابن أبي طالب.
١٧ - صخر بن حرب.
١٨ - زيد بن حارثة.
١٩ - أبو العاص ابن ربيع.
٢٠ - ثابت بن قيس.

المجموعة الثالثة: (٢١ - ٣٠)

٢١ - العباس بن عبد المطلب.
٢٢ - سعد بن الربيع.
٢٣ - عبادة بن الصامت.
٢٤ - عبد الله بن رواحة.
٢٥ - أبو حذيفة ابن عتبة.
٢٦ - سالم مولى أبي حذيفة.
٢٧ - أبو عبيدة ابن الجراح.
٢٨ - سعيد بن زيد.
٢٩ - سعد بن عبادة.
٣٠ - قيس بن سعد.

المجموعة الرابعة: (٣١ - ٤٠)

٣١ - مصعب بن عمير.
٣٢ - كعب بن مالك.
٣٣ - أبو أيوب الأنصاري.
٣٤ - سعد ابن أبي وقاص.
٣٥ - حمزة بن عبد المطلب.
٣٦ - عاصم بن ثابت.
٣٧ - عبد الله بن عبد الله.
٣٨ - طلحة بن عبيد الله.
٣٩ - أبو طلحة زيد بن سهل.
٤٠ - أبو دجانة سماك بن خرشة.

المجموعة الخامسة : (٤١ - ٥٠)

٤١ - عمرو بن العاص .
٤٢ - عكرمة بن عمرو بن هشام .
٤٣ - شرحبيل بن حسنة .
٤٤ - أبو موسى الأشعري .
٤٥ - عياض بن غنم .
٤٦ - جرير بن عبد الله البجلي .
٤٧ - المثنى بن حارثة الشيباني .
٤٨ - خالد بن الوليد المخزومي .
٤٩ - عديّ بن حاتم الطائي .
٥٠ - ثمامة بن أثال .

المجموعة السادسة : (٥١ - ٦٠)

٥١ - خبّاب بن الأرتّ .
٥٢ - صُهيب بن سنان .
٥٣ - بلال بن رباح .
٥٤ - عمار بن ياسر .
٥٥ - عامر بن فُهيرة .
٥٦ - مرثد ابن أبي مرثد .
٥٧ - سلمان الفارسي .
٥٨ - أبو ذر الغفاري .
٥٩ - عبد الله بن مسعود .
٦٠ - عبد الرحمن بن عوف .

المجموعة السابعة : (٦١ - ٧٠)

٦١ - أنس بن مالِك .
٦٢ - البراء بن مالِك .
٦٣ - جابر بن عبد الله .
٦٤ - الطُّفيل بن عمرو الدُّوسي .
٦٥ - أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر .
٦٦ - أبو أُمامة أسعد بن زرارة .
٦٧ - عُتبة بن غزوان .
٦٨ - مُعاذ بن جبل .
٦٩ - زيد بن ثابت .
٧٠ - أُبي بن كعب .

سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية

(في آسيا)

١ - تركستان الغربية.
٢ - تركستان الشرقية.
٣ - قفقاسيا.
٤ - باكستان.
٥ - أندونيسيا.
٦ - اتحاد ماليزيا.
٧ - فطاني.
٨ - المسلمون في قبرص.
٩ - المسلمون في الفيليبين ودولة مورو.
١٠ - جزر المالديف.
١١ - أفغانستان.
١٢ - تركية.
١٣ - إيران.
١٤ - شبه جزيرة العرب.
- عسير.
- نجد.
- الحجاز.
- البحرين والإحساء والكويت وقطر.
١٥ - المسلمون في الهند الصينية.
١٦ - خراسان.

(في إفريقية)

١ - غينيا.
٢ - نيجيريا.
٣ - الصومال.
٤ - موريتانيا.
٥ - أريترية والحبشة.
٦ - تشاد.
٧ - تانزانيا.
٨ - السنغال.
٩ - أوغندة.
١٠ - ليبيا.
١١ - السودان.
١٢ - جزائر القُمُر.
١٣ - المسلمون في بورندي.
١٤ - مالي.
١٥ - سيراليون.